طريقة السيّد
تحضير العقل للإندماج مع آليات ووظائف القوى الخارقة
الجزء الأوّل
الحالة المأساوية للعقل في وضعه الراهن
علاء الحلبي

طريقة السيّد

تحضير العقل للاندماج مع آليات ووظائف القوى الخارقة

الجزء الأوّل

الحالة المأساوية للعقل في وضعه الراهن

تأليف

علاء الحلبي

الفهرس

مقدمة ٥
من هو السيّد؟ ١٧

الرشد كما نعرفه هو وهم كبير ٢٥
التعليم دون تنوير هو أمر خطير ٥٩
غوامض العقل ٨٢
أنظمة التأمّل الروحية ١١٠
مسألة البحث عن معلم روحي ١٣٦
الغاية النهائية لكافة الأنظمة الروحية ١٦٥
الغاية النهائية هي تجلّي النفحة الإلهية ١٧٠

يوم عاشت الآلهة مع الإنسان على الأرض ١٧٨
ما هو مصير المعرفة المتطورة؟ ١٨٩
الغاية الأساسية من منظومات التدريب التجاوزية ١٩٥
التحوّل العقلي ١٩٧
المنظومة الأنسب للتدريب ٢٠٢
نظرة مختلفة إلى موضوع الإيمان ٢٠٥
كتاب توث ٢١١
وصف مختصر لورق التاروت ٢١٣
ورقة الأبله ٢١٩
ورقة الساحر ٢٢٣
ورقة الكاهنة العليا ٢٢٧
ورقة الامبراطور ٢٣١
ورقة العاشقان ٢٣٤

ورقة الامبراطورة ٢٣٨
ورقة المقدرة ٢٤١
ورقة العربة ٢٤٥
ورقة الكاهن الأعلى ٢٤٨
ورقة الناسك ٢٥٢
ورقة دولاب الحظ ٢٥٥
ورقة العدالة ٢٥٨
ورقة الموت ٢٦١
ورقة الشيطان ٢٦٥
ورقة الرجل المعلق ٢٦٩
ورقة الاعتدال ٢٧٣
ورقة القمر ٢٧٦
ورقة البرج ٢٧٩
ورقة النجم ٢٨٢
ورقة الولادة من جديد ٢٨٦
ورقة عالم النور ٢٨٩
ورقة الشمس ٢٩٢

في الجزء التالي ٢٩٦
الفلسفة الهرمزية تهدف أولاً وأخيراً للإرتقاء الروحي ٣٠٦

الخاتمة ٣٠٨

مقدمة

إذا نظرنا إلى الإنسان في وضعه الحالي، ونرى كيف يسوح هنا وهناك في الحياة متسائلاً متعجباً، عام بعد عام وجيل بعد جيل وعصر بعد عصر... مرتكباً تلك الأخطاء ذاتها التي شوهت التاريخ وحرّفته منذ البداية، فنكتشف بأن للإنسان قدرة مذهلة على الاستمرار في فعل الأشياء التي يفعلها دائماً، الاستمرار في الإجراءات المنحرفة التي صارت بالنسبة له طبيعية ومألوفة. لكن إذا أصبح هذا الإنسان متنوراً، إذا صار واحداً مع القوة الإلهية، فلا بد أن يستمر بإصرار على هذا التوجّه الجديد أيضاً، واجداً طريقة حياة مجيدة وسعيدة وواسعة بشكل يفوق مستوى حياته البائسة الحالية. سوف يلاحظ بعدها بأن كافة المؤسسات الضرورية لخيره سوف تزدهر، وأن حياته وعالمه سوف يعززان ويُثريان، وسوف يأتيه السلام وسيختفي أعداءه الممثلين بالخطيئة والموت، أو على الأقل يختفي تأثيرهما السلبي عليه، لأنه ليس الموت بل الخوف من الموت هو الذي يستعبد الإنسان ويمنعه من التحرر والعيش في الأبدية. كل الأشياء عديمة الخير سوف تختفي بحضور نور الخير. وإنه لأمر ممكن وقابل للاستيعاب إمكانية أن يعيش الإنسان بطريقة جيدة يفوق مستواها الطريقة الحالية السيئة. لكن لا يمكن لهذا أن يتحقق إلا من خلال إحراز ذلك الذي هو حقيقي وضروري. الفطنة وحسن التمييز يمنحان الإنسان هذه الصورة. صورة عن حسن

الحال والصوابية والتوافق والتلاؤم مع كل شيء آخر، تذكره بأنه إنسان، وأنه من بين كل المخلوقات الأخرى موهوب داخلياً، موهوب بالتفهم والبصيرة والمهارة وبملكات وقوى متنوعة وأيضاً بالذاكرة والخيال والحس والحدس والبديهة، ولديه الحرية في استخدام كل هذه القوى والملكات والسمات العجيبة بلا قيود أو حدود. فكرة أن هذه الملكات محدودة في نطاق ضيّق محصور ضمن النشاطات الدنيوية المادية هي فكرة واهية وغير عقلانية.

حتى لو استخدم الإنسان عشرة بالمئة من هذه القوى والملكات فقط، سوف يستطيع حينها أن يصير منتج وفعال كما حالة النملة التي تنتمي إلى حضارة عظيمة تفوق الحضارة البشرية الحالية بمستويات عديدة. لكن في الحقيقة إن للإنسان غايات أخرى مختلفة عن النملة أو أي كائن آخر في هذا الكوكب، لديه أسباب أخرى مختلفة لوجوده. رغم حوزته على كل تلك القوى والملكات في داخله دون أن يدرك حقيقة أنها تمثل محفزات تدعوه إلى الإرتقاء والنمو فهذا أمر عجيب فعلاً. وجب على الإنسان أن ينظر حوله ويرى بأنه أكثر عظمة من الحيوان، لكن رغم ذلك، ليس لديه أي رغبة في التفوق على ذلك الحيوان، من ناحية الأمور الجوهرية على الأقل، فإن هذا لأمر مذهل ويتجاوز الاستيعاب.

بعد أن رأينا تلك الإنجازات العظيمة لبشر مثلنا عاشوا يوماً على هذه الأرض، وبعد أن تأملنا في الإحرازات الرائعة لأولئك الأشخاص العجيبين الذين نعتبرهم مقدسين، ورغم ذلك لم يتكون لدينا أي دافع يحفزنا على تقليدهم أو حتى مضاهاتهم. ودون أن ننتبه أنه في داخلنا يوجد باب مفتوح يؤدي إلى التكامل مع الكون وعظمته. إن عدم قدرتنا على رؤية كل هذا يعني أننا عاجزين ومقيدين منذ زمن بعيد بآراء ومعتقدات خاطئة. منذ أكثر من ستة وعشرين قرناً، سعت مدرسة فيثاغورث إلى الكشف عن هذه الحقائق للإنسان. بما أن الإنسان يعتبر بوضوح أنبل مخلوق نعرفه حتى الآن، لا بد من أن يكون له مصير نبيل. لكن هذا المصير لا يمكن تحقيقه عبر الحروب والمنافسات والكفاح الهمجي لتحقيق غايات دنيوية مؤقتة وتافهة، إذ هذه الأمور لا تؤدي إلى الغاية التي وجد من أجلها الإنسان. هذه الأمور لا تجعله على تواصل مع

الإله الأعلى، هي لن تعيده إلى حالته الأبدية الأصلية، كما أنها لن تحرره من الجهل والخطيئة والخوف.

من أجل تحقيق المصير الحقيقي للإنسان، فهذا بحاجة إلى مقومات خاصة، وهذه الأخيرة لا يمكن أن نجدها خارج أنفسنا بل في داخلنا. وبما أن الإنسان ممنوح القدرة على الإحراز فلا بد من أن يحرز في النهاية، بشرط أن يبذل المجهود اللازم والصادق. لكن هذا المجهود يواجه دائماً حالة عطالة مستمرة. لأنه يتملكنا دائماً ذلك الشعور بأننا لا نستطيع فعل هذا ولا نستطيع فعل ذاك، وهذا يجعلنا محرومين من ذلك الدافع العظيم.

الطبيعة منحتنا قوة دافعة مميزة، وذلك من خلال وضع المشاكل في دربنا ثم تخيّرنا، إما علينا حل تلك المشاكل فنتابع المسير والارتقاء أو نبقى مكاننا بؤساء. ماذا تعتقد ستكون استجابتنا لتلك المشاكل الطارئة؟ رغم كل تلك القدرات والملكات التي نحوزها نختار أن نبقى على حالنا بؤساء. يبقى الإنسان على حاله رافضاً أي حلول. فقط لأن هذه الحلول تتطلب مجهود. وحضارتنا الحالية قد أضعفت تدريجياً رغبتنا في استخدام مصادرنا المتوفرة لتحقيق أي غاية تتعلق بحياتنا الداخلية. مع أنه في غياب هذا الاستخدام لمصادرنا الداخلية سوف لن تحل أي من مشاكل حياتنا الخارجية.

لطالما نادت المدارس الفلسفية القديمة، كما مدرسة فيثاغورث، إلى البحث عن الفردوس بداخلنا، حيث عندما يلتفت الإنسان إلى الداخل يكون بذلك قد التفت إلى مهجع الكائن المقدس. يمكنه الجلوس بسلام، يمكنه الحلم والأمل، يكون إيمانه أقوى من أي شك، وتكون قراراته متوافقة دائماً مع الإله الأعلى، وعندما يتخذ قراراته بهذه الطريقة سوف يجد الإنسان بأن القوة الإلهية مرافقة له في كل أفعاله. هذا الوجود الدائم مع الإله الأعلى، والإلتزام المستمر بالقانون الإلهي، والتمتع بالشجاعة والبصيرة والمحبة، وتكريس كل قوانا ومهاراتنا لذلك الذي هو الخير الأعظم، هذا القرار وهذه البصيرة يجلبان معهما مواساة الروح والتفهّم اللامحدود. حينها فقط ووفق هذه الشروط، نجد أن كل تلك الأشياء السوداء المظلمة تزول وتندثر. لن نعد ننظر

إلى الأمور عبر زجاجة معتمة، بل نقف أمامها وجهاً لوجه. وسوف نكتشف عبر هذه الرؤية وجهاً لوجه بأن الحياة تصبح بسيطة جداً، حتى الفلسفة تصبح بسيطة جداً، ومن بين كل العلوم يبقى ذلك الذي يتطلب مجهود بسيط لنتعلمه.

إنها غايتنا الطبيعية وحقنا الطبيعي أن نفعل تلك الاشياء التي هي صحيحة والعيش بهدوء في النور الدائم لحضور الحقيقة. إن الإنسان، من خلال إصلاح حياته وتوجيهها وتكريسها بشكل صحيح، ومن خلال تقديم نفسه على مذبح الخير لخدمة الحقيقة، عن طريق هذه الأمور يمكن له أن يصيغ لنفسه حياة جيدة. مهما كانت الأحوال والظروف ومهما بدت الأمور معاكسة، فإن ما يستحقه سوف يناله، وما يخدمه سوف يأتي إليه، ووظيفته في الحياة سوف تُكشق له، وسوف يعيش بسلام مع الإله الأعلى إلى الأبد.

سبب وجودنا هنا يعود إلى غاية خاصة في ذاتنا الأبدية. نحن هنا لأننا عمال مجتهدين في مؤسسة كونية هائلة تتجاوز مستوى إدراكنا واستيعابنا. صحوة الكون بكامله تعتمد على نشاطات مخلوقاته الحية. رغم كل هذا تجدنا جالسين ونتأمّل لماذا لا يحصل لنا أي شيء أفضل في حياتنا. نحن لا نتعامل مع هذه الحالة الكونية العظيمة بالطريقة السليمة. نحن لا نقبل بهذا التحدّي. التحدي المتمثل بالتعامل الصحيح مع هذه الحقائق الكبرى. رغم ظهور الكثير من الأشخاص عبر التاريخ والذين أحسنوا التعامل مع هذه الحقائق، وقد تمكنوا من الإشارة لنا إلى أي درب نختاره في حياتنا. إنه ممكن لنا أن نفهم الفلسفة أو الدين، فهذه المواضيع تم تصميمها في الماضي وانحدرت إلينا من زمن بعيد. لقد تم ترتيب أفكارها في نصوص مكتوبة بشكل منظم ورتيب. لكن إذا فككنا شيفرتها وفهمنا معانيها الباطنية جيداً فسوف لن يبقى أي سبب يجعلنا ننظر إليها باستغراب ونتوصل إلى استنتاجات تجعلها تبدو مستحيلة منطقياً.

يمكننا مقابل مبلغ من المال أن ننخرط في دورة تعليم الرقص مثلاً، أو دورة تعليم طريقة مجدية لتخفيف الوزن، أو نتعليم الخياطة أو النجارة، وغيرها من دورات كثيرة

أخرى. لكن السؤال هو: لماذا لا نرغب في الأمور التي هي أكثر أهمية بالنسبة لنا؟ لماذا لا ندرك الأهمية الهائلة لعملية إطلاق القوى في داخلنا والتي هي وحدها تمثل الحل الأنسب لمشاكلنا الحياتية؟ لماذا لم نمنح الروح أي فرصة للسيطرة على حياتنا الدنيوية؟ السبب يشبه تماماً ما يحصل مع الأولاد الصغار: نحن لا نرغب في التخلي عن حوزة ملكاتنا الدنيوية وتقبل فكرة أن أحكامنا في الحياة هي غير جديرة. نحن لا نرغب في السماح للأرقى بداخلنا أن يحكم الدنيء والوضيع في كياننا. نحن لا نمثل القسم الأرقى من كياننا، وبالتالي فذلك القسم الراقي ليس له أي تجلي في كياننا. نحن بالتالي نرغب في الاستمرار بالعيش على طريقتنا الخاصة ونرتكب ذات الأخطاء دائماً وأبداً، وهذا يمثل بالنسبة لنا برهان على أننا أحرار، لكننا في الحقيقة لسنا أحرار، وبالتالي ليس هناك أي مكسب من أي نوع كما نظنه.

ها قد وصلنا إلى نهاية جيل قديم وبداية آخر جديد. يوجد الكثير من النقاشات التي دارت حول ما سيحصل في القرن الواحد وعشرين. كلما نظرنا حولنا نجد ما يثير الشؤم الذي يتزايد باطراد. يوجد شيء غامض في الأفق، شيء مخيف، شيء يثير القلق والاضطراب، ووسط هذه الحالة الطارئة تخرج مجموعات من الناس ويدرسون بعمق المشاكل التي نواجهها. أحد الاكتشافات المهمة التي حصلت هي أن لا أحد استطاع تحديد المشكلة بالضبط. لطالما تحدثنا عن هذه المشكلة الغامضة، حتى منذ زمن اختراع الكتابة، لكن مجرّد أن طرحها أحدهم ووجدنا أنها تتدخل في طريقتنا المنحرفة في فعل ما يحلو لنا، فنقرر إسكات الشخص الذي طرحها بدلاً من البدء في محاولة تصحيح طريقة حياتنا. لطالما عشنا حياتنا هكذا، نفعل ما يحلو لنا، دون أي محاولة لتصحيح الأخطاء. يمكننا مناقشة الموضوع ونتقبل فكرة أن طريقة حياتنا خاطئة وغير سليمة، لكن مهما كانت استنتاجاتنا بخصوص الأمر، إن كان صح أو خطأ، فهذا لن يمنعنا من الاستمرار في طريقة حياتنا المعهودة.

ها نحن صرنا في بدايات القرن الجديد، ولازلنا نتمسك بنفس طريقة الحياة المنحرفة والتي عشناها منذ قرون عديدة، وهذه الاستمرارية تزيد تدريجياً من خطورة وصعوبة الوضع. نحن نستنزف العالم المحيط بنا وبنفس الوقت نجفّف العالم الداخلي في

جوهر كياننا. نحن نقوم بكل مجهود ممكن لكي نعزل أنفسنا عن مصدر بقائنا، وبنفس الوقت تجدنا نتوسل بيأس للمحافظة على هذا البقاء. نحن في الوقت الحالي نجهد تفكيرنا في التخطيط للسفر عبر الفضاء بهدف الهجرة إلى كواكب أخرى، بدلاً من الاجتهاد لتنظيف كوكبنا الحالي من نفاياتنا التي راكمناها عبر العصور. قرأت مقالة ساخرة من فترة، يقول فيها الكاتب بأن الطريقة الوحيدة للتخلص من هذا التلوث والفساد الحاصل في كوكب الأرض هي الانتقال إلى كوكب آخر وترك كوكبنا كحاوية نفايات.

لقد بدأنا نفطن لهذه المسألة، لكن ليس لدرجة تجعلنا نضطر إلى إحداث تغييرات جذرية داخل أنفسنا. على الناس أن يعملوا أفضل من ذلك. لكن السؤال هو: لماذا لا نتغيّر؟ الجواب بسيط: لأنه بوجد طريقة واحدة فقط لحصول التغيير، وهي تغيير حالة هذا الشيء في داخلنا. لكن معظم الناس لا يؤمنون بوجود هذا الشيء أصلاً، وإذا كانوا يؤمنون بوجوده فيتتمنون لو بقي صامتاً لكي لا يخرّب عليهم حياتهم المنحرفة التي يتمتعون بعيشها. في الحقيقة، الطريقة الوحيدة لحل كل هذه المشاكل هي إعادة تفعيل استقامتنا الأخلاقية. علينا فعل الأشياء التي تجعل الحياة أفضل لنا وللآخرين. وعندما نواجه موضوع مثل موضوع الموسيقى الصاخبة، كالروك أند رول مثلاً، علينا الانتباه إلى أنه عميقاً في أرواحنا يوجد شيء يقول لنا بأن هذا ليس أمر صائب وأننا نخرّب أنفسنا ونخرّب الآخرين. كل مجال الترفيه لدينا اليوم هو غير صائب، فهو يخرّب أخلاقياتنا ويخرّب مبدأ سلوكنا. لماذا نقوم بهذه الأشياء؟ ربما لأننا نرغب في ذلك، أو لأن هذا يسمح لنا بفعل ما نرغبه تماماً.

كل شيء مرتكز على منظومة استحقاق في الطبيعة. وتقول لنا هذه المنظومة بأن الحاكم الأعلى لحياتنا هو ليس نحن، كما نعتبره بالمفهوم الشائع. هو ليس تلك الأنا التي تجوع، هو ليس تلك الأنا التي تلتف على القوانين من أجل الحصول على مبتغاها الذي غالباً ما يكون عبارة عن إرضاء لشهوة دنيوية معينة. الذات الحقيقية التي تقبع في أعلى امتدادنا الباطني هي مجهولة لدينا، وهي كامنة على المستوى الجسدي في القلب. هي كامنة في ذلك القسم المقدس. لقد تجلت في المستوى

الجسدي، في أجسامنا التي تمثل ظلال شاحبة لكياننا الحقيقي، ذلك من أجل أن تصبح البذرة التي تنمو منها زهور أمم الأرض. في الحقيقة، وجب علينا أن نتوقف للحظة وندرك بأنه لدينا مساهمة يمكن تقديمها. وهذه المساهمة لا تتطلب أن ندفع الأموال لشراء كتب أو الانخراط في دورات تدريبية مع جهلنا لما سنفعله بعدها. علينا بكل بساطة أن نكون أشخاص صدوقين ومحسنين وصادقين.

علينا أن نتذكر أهمية هذه القوة الروحية داخل أنفسنا. هذا يساعدنا مثلاً على تجاوز محنة الرسوب في إحدى الصفوف الدراسية والتعرض بعدها للانتقاد والسخرية. الأمر لا يتطلب خلفية ثقافية كبيرة لكي ندرك حقيقة أن العقل الكسول، رغم نجاحه في الصفوف الدراسية فسوف لن يكون مجدياً أو يذهب إلى أي مكان ذو معنى أو أهمية. لدينا الكثير من الفرص والكثير من المواد الأولية لتحقيق الكثير من الأمور التي هي أهم من الدراسة المدرسية. لكن في طريقة عيشنا المنحرفة والفاسدة نحن نفسد هذه المواد الأولية، خصوصاً عبر الأفكار والمعلومات الأكاديمية التي تساهم في المزيد من إفساد هذه المواد الأولية الكامنة داخلنا. كما أننا نساهم في إفساد المنتوج الذي قد تصنعه هذه المواد الأولية، وذلك من خلال جعلها تُستثمر من قبل أشخاص مجردين من الأخلاق ومحكومين تماماً بالرغبة في الربح المادي والازدهار الدنيوي المنحرف.

مع أخذ كل هذه الأمور السابقة بعين الاعتبار، من المهم أن نعود إلى أقوال الفلاسفة القدامى والذين أشاروا إلى أنه من بين كافة التعاملات والتداولات والمجريات في العالم، أعظمها هو المحبة. وأن الحب وحده يستطيع تصحيح معظم المشاكل والانحرافات. فنحن مثلاً إذا أحببنا أحدهم يستحيل أن نؤذيه. إذا كنا نحب فعلاً لما تجوزنا الأشخاص الخطأ بين الحين والآخر. إذا كنا نحب بصدق لما تركنا الأيتام أمام المأوى بهذه الأعداد الكبيرة. كل هذه الأمور أساسها هو الأنانية. فنحن نفعل ما نرغبه، نفعل ما نريده، والشيطان هو المستفيد الأكبر والوحيد من نتائج أفعالنا. كل هذه الأمور وجب معالجتها بطريقة أفضل.

أجلس بهدوء في أحد الأيام وحاول التفكّر في منافعك ومسؤولياتك، ما لك وما عليك، تأمّل في حقيقة أنك من جانبك الخارجي تمثّل مخلوق قابل للزوال بحيث فترة بقائك تعد بسنوات قليلة في هذا العالم المادي. الجانب الخارجي إذاً هو قابل للفناء وقابل للإفساد وغير عقلاني. بينما على الجانب الآخر لديك الجانب الباطني من كيانك، والذي يقبع فيه ذلك الذي هو عقلاني ومنطقي وقابل للتبصر والحدس، هذا الكيان الخفي العظيم هو الآن في حالة شلل دائماً وأبداً. لقد بذلت جهود كبيرة وعبر عصور مديدة لكي تمحي هذا الجانب الباطني من الوجود. واليوم نرى كيف تبذل الجهود لكي تحفّز هذا الجانب الباطني على صناعة شخص ذو توجه علماني مادي، يؤمن بأنه شخص فاني ولن يدوم بقاءه في الوجود أكثر من ستين أو سبعين سنة ثم يزول ويندثر دون أن يكون له أثر في أي مكان. يحفزون هذا الجانب الباطني على صناعة شخص يؤمن بكل ثقة أنه مفروض على كل إنسان أن يعيش من أجل النجاح المادي، وهذا في عالم لا يعرف ما هو النجاح المادي أصلاً. في الحقيقة، ليس هناك أي نجاح فعلي من هذا النوع. نقرأ في الصحف مثلاً عن شخص ناجح جداً لكن بعد سنوات قليلة نقرأ عن موته.

ليس هناك أي طريقة للانتصار على هذا النموذج العالمي الذي جعلناه ممتعاً ومذهلاً بالنسبة لنا. نحن ننبهر دائماً باكتشاف جديد، فنقرأ مثلاً عن اكتشاف مبيد حشري جديد يقضي بالكامل على الصراصير، لكن بعدها بقليل نكتشف أنه قتل أشخاص بنفس عدد الصراصير. لا يمكننا إيجاد حلول بهذه الطريقة. الحل الوحيد هو محبة بعضنا البعض، بحيث علينا أن نجعل حياة الآخرين جزءاً من مسؤوليتنا. ليس لأننا نرغب في السيطرة عليهم، وليس لأننا نرغب في قيادتهم، ليس لكي نجعلهم خدماً لنا، بل لأنه أينما وجد إنسان فهناك إمكانية لوجود صديق، هناك إمكانية لشريك عمل مجدي بحيث يساعد على تحقيق غاية خيرة.

هناك الكثيرون الذين يمكننا مساعدتهم بطرق كثيرة لإنهاء المشاكل التي تسبب الحروب وتسبب الجريمة. أحد الأشياء التي أعتقد بأن معظم الناس بدؤا يلاحظونها هو أن المبادئ الأخلاقية ليست ملقنة لهم بشكل جيد. الفرد لم يُعطى خيارات

متساوية عن ما يمكنه فعله وتحقيقه. يوجد القليل من الأشخاص الذين تكون حياتهم مكرّسة للمبادئ الحقيقية والمجدية. بين الحين والآخر نشاهد أحد هؤلاء يأتي إلى حياتنا ونقدرهم وحتى نقدسهم ويمكن أن نصنع لهم تماثيل لتمجيدهم لكنهم بالمقابل يكونوا ممتنين لرحيلهم مبكراً عن الحياة، والسبب هو أنهم يجدون بأننا لا نريد أن نتغير كما يريدون منا، إذ نحن لا نريد أن نكون أفضل بل فقط نريد أن نكون أكثر ثراء وبحبوحة لكي يتسنى لنا تلبية رغباتنا الدنيوية المختلفة. إلى هذا الحد فقط يمكن أن تصل محاولات تنويرنا وارتقاءنا روحياً.

هناك الكثير من الاشخاص، ومن كافة مجالات الحياة، يمكنهم تلقيننا الدروس التي نحتاجها، حتى الفنانين يمكنهم تنويرنا بأعمالهم. لكن في النهاية، فإن الفنان الأعظم والعالِم الأعظم والصوفي الأعظم واللاهوتي الأعظم والمثقف الأعظم... جميعهم موجودون في داخلنا. موجودون بهيئة ملكات وقوى مختلفة. علينا أن نطور هذه الملكات والقوى لكي يتسنى لنا الاستفادة منها. الكائن البشري هو مخلوق غير محدود، لا متناهي، أبدي وخالد، بالتالي له إمكانية غير محدودة على النمو والتكشّف. وعلى هذا النمو أن يكون صحيحاً وسليماً، وعليه أن يكون نمو مستمر ومنتظم وموزون. علينا أن ننمو طبيعياً وبسعادة، نرتقي من درجة وعي إلى أخرى. وجب أن لا يكون هناك أي نزاعات أو تناقضات في حياتنا. لدينا قوى وطاقات مختلفة، وكل ما هو ضروري لتنظيم حياتنا. لدينا كل شيء ما عدا شيئين: الإرادة لفعل ما علينا فعله، ورؤية واضحة للطريق الذي علينا سلوكه. والمشكلة الرئيسية التي نواجهها ونحاول معالجتها منذ زمن بعيد ولم نصل إلى حل نهائي وحاسم هي: أي طريق علينا اتباعه؟

إذا كنا مستعدين لتكريس كل ما لدينا في مجهود يهدف إلى تحسننا، فما علينا فعله لتحقيق الغاية؟ حسناً، لا بد من سؤال أحدهم عن الموضوع. هناك من يجري محاضرات عن الموضوع، والكثيرون يؤلفون الكتب حول هذا الموضع. لكن في النهاية، بعد قراءة الكثير من الكتب وحضور الكثير من المحاضرات، نقرر أن نقيم تجربة عملية تخص الموضوع فتفشل التجربة فنصاب بالإحباط ثم نعود إلى حياتنا

السابقة وكأن شيئاً لم يكن. الجواب الحقيقي للسؤال السابق هو: على الإجابة الشافية أن تخرج من داخلنا، ولا ننتظرها أن تأتينا من الخارج. لكن هذه الإجابة لن تخرج إلا بعد أن تكون نيتنا صادقة وجدية بأن نرتقي ونتحسّن. سوف تأتينا التعليمات تلقائياً وبشكل متسلسل بالتوافق مع مراحل ارتقائنا الطبيعي. لأنه في كل يوم يمر، إذا كنا أكثر صدقاً ولطفاً وأقل أنانية عن اليوم السابق، فسوف تحصل التغييرات تلقائياً بداخلنا. مجرّد أن قررنا التغيير نحو الأفضل فسوف يبدأ ذلك الشيء بداخلنا بالنشاط والعمل، ومع مرور الأيام، إذا حافظنا على استمراريتنا في مسيرة التغيير، سوف نلاحظ ظهور دلالات على تحسن حالتنا. وسوف تستمر عملية التحسن إلى النهاية لو حافظنا على التوجه الجديد الذي اتخذناه.

إذا أصبحنا أشخاص أفضل فسوف يتولّد لدينا أفكار أفضل. وإذا أجرينا المزيد من التفكير لفترة أطول فسوف يتطور لدينا وجهات نظر واضحة. وفي النهاية سوف نتوصل إلى حلول أفضل لمشاكلنا والمشاكل العالمية. كل حل نحتاجه ونسعى إليه وجب أن يأتي من داخلنا وليس من خارجنا. وهذه الحلول تأتي من داخلنا لأننا نمونا وارتقينا إلى درجة تجعلنا نستحقها. عندما نصل إلى نقطة بحيث يمثل ذلك الحل المرحلة التالية من تفكيرنا فسوف يتجلى الحل في ذهننا بكل سهولة وبساطة. لكن طالما نحن راضين بالوضع الحالي كما هو، دون أي محاولة لإحداث تغيير، ونقرر أن نسير مع التيار باحثين فقط عن الطرق السهلة، ونرى أنفسنا نتعرض للاستغلال ليلاً نهاراً بسبب هوسنا بإرضاء رغباتنا وإشباع شهواتنا الدنيوية، إذا استمرينا على هذه الحالة فهذا يعني أن كل أنواع الصوفية والتصوف وكافة العلوم التجاوزية وغيرها من أمور درسناها لن تعني شيئاً ولن تجدي نفعاً.

مهما كان عدد الكتب التي قرأناها في هذا المجال، إذا لم ينمو شيئاً بداخلنا فهذا المجهود الذي بذلناه ليس له معنى. إذا تعلمنا كل الدروس التي يمكن لمدرسة أن تقدمها، ثم تخرجنا من النظام التعليمي ونبقى بنفس المستوى الأخلاقي الذي كنا فيه عندما دخلنا في البداية فهذا يجعلنا لم نكتسب شيء على الإطلاق. كل من يسعى لأن يصبح أكثر مما هو عليه، ثم يرضي نفسه من خلال الاكتفاء بتطوير جسمه

ومظهره الخارجي، فهو أيضاً شارد تماماً عن الحقيقة. نحن لسنا هنا من أجل تطوير شخصية ممتعة وساحرة تستحوذ على إعجاب العالم بأسره. جئنا إلى هذه الحياة من أجل تطوير مبادئ أخلاقية راسخة ودائمة. لكن الأمر المثير هو أن الجانبين يعملان معاً بشكل تلقائي. الفرد الذي يلتزم بالاستقامة الأخلاقية والارتقاء الروحي نجد لديه بعض التحسينات في بعض جوانبه الخارجية أيضاً، مثل طريقة تعامله مع الآخرين وطريقة حياته عموماً، وحتى وجهه يصبح مع الوقت نظراً وجميلاً. الجمال الداخلي يخرج ويتجلى في المظهر الخارجي. أما الذي يهتم بجماله الخارجي فقط فهذا الجمال لن يدخل إلى الداخل وبالتالي فهذه عملية عديمة الفائدة. مع العلم أن هذا الجمال الخارجي وحده هو الذي نكافح جميعاً من أجله اليوم، حيث الجمال الداخلي لا قيمة له ولا حتى له وجود بالنسبة لنا.

لقد أصبحت المشاكل العالمية تتزايد باطراد في هذا القرن الجديد. كلما تخلصنا من حرب قديمة تبدأ أخرى جديدة. وكل هذه الحالات رغم تعقيد أسبابها سياسياً واستراتيجياً لكنها في الحقيقة تمثل نتيجة حتمية للأنانية. بالإضافة إلى وجود عامل ديني وجب الإنتباه له. إنه صحيح، ودون أدنى شكّ، بأن القوة الأكثر تدميراً في العالم هي ذات صبغة دينية. إذا عدنا إلى الوراء في التاريخ سوف نجد بأن النزاعات الدينية قد قتلت أناساً يفوق عددها ضحايا الحروب العالمية في العصر الحديث. ولازالت الحروب الدينية تنشب بين الحين والأخرى وحتى الآن. المشكلة مع المتطرفين، من كافة الأديان، هي أنهم يحاولون إلغاء موضوع الأخلاق من قاموسهم لأنه يمثل عقبة في طريقهم الدموي نحو غاياتهم المنشودة. على الجانب الآخر نجد بأن كافة الأمم العصرية تحاول أن تكون علمانية مادية. لكن كافة الدراسات تشير إلى أن هذه الأنظمة العلمانية واقعة في مشكلة كبيرة بحيث لم يعد بإمكانها الاستمرار في هذا الطريق. العلمانية المادية تمثل حل عديم الجدوى والأمل، وأصبحنا واثقين من هذا الأمر الآن. وبالرغم من ذلك لازلنا نجد من يشجع على هذا التوجه، يظنون بأنهم يستطيعون خرق القوانين الإلهية والقوانين الطبيعية. لكن من يخرق قوانين الطبيعة يموت مبكراً، والذي يخرق القانون الإلهي ينهار ويندثر مبكراً. الأمور بكل بساطة لا تنجح بهذه الطريقة.

لدينا إذاً الآن مشاكل عظيمة تبرز إلى السطح، والسؤال هو: كيف علينا حل هذه المشاكل بطريقة سليمة؟ هل سنحلها عن طريق الحروب العالمية العظمى؟ أو إقامة مجلس عموم عالمي؟ أو لجنة إدارة أزمات عالمية؟ مهما كانت الإجراءات التي سوف نتخذها، لا أحد لديه جواب شافي على المشاكل العالمية. والسبب هو بسيط: لا أحد يبحث عن الجواب في المكان الصحيح. إذا أردت حل مناسب لأي مشكلة، أجلس ساكناً ثم ابدأ في البحث داخل نفسك.

....

من هو السيّد؟

في هذا الكتاب سوف نتعرف على موضوع مهم نادراً ما تناوله الباحثون بطريقة جدية ومستقيمة. في الوقت الذي تهتم أكاديمياتنا العصرية اليوم في تخريج الأساتذة والخبراء من كافة المجالات التقنية والعلمية والأدبية، إلا أنه يوجد مجال واحد مفقود من المنهج التعليمي الأكاديمي وهو المجال الوحيد الذي اهتمت به الحضارات القديمة، وهو تنمية الملكات والقوى الباطنية في الإنسان والسعي للإرتقاء بمستواه الفكري والأخلاقي إلى أقصى الحدود. الفرد الذي نجح في إحراز تلك المرتبة السامية يستحق أن ينال شرف تسمية السيد. لأنه صار سيداً على نفسه وعلى قوى الطبيعة. لقد احترفت مدارس القدماء في صناعة الأسياد، أنظروا إلى الآثار العملاقة في كل مكان في العالم، أنظروا إلى الاهرامات، هل تظنوا بأن من بناها هم مهندسون من مستوى مهندسينا الحاليين؟ هل رفعت تلك الحجارة العملاقة بواسطة تقنيات ميكانيكية مشابهة لتلك التي نستخدمها اليوم؟ كل تلك الخلطات المعدنية العجيبة والحجارة المتوهجة وغيرها من أشياء عجيبة ننبشها من مواقع أثرية مختلفة لا يمكن لأحد التعامل معها سوى الأسياد.

لكن من هو السيّد؟ هو من كرس نفسه لفهم واستيعاب القوى الخفية في الطبيعة والقوانين الخاصة بالعالم الباطني، وكل ذلك لغاية التعاون مع الطبيعة والعالم التجاوزي في سبيل إنتاج تأثيرات تخدمه وتخدم أخيه الإنسان. السيّد هو فقيه في الشؤون الخفية للطبيعة وكذلك في المبادئ التجاوزية التي تحكم الطبيعة من جوهرها. لقد درس العلاقات التي تربط بين تلك المبادئ والخاصيات وكيف تتفاعل مع بعضها وكيف يمكن تطبيق هذه التفاعلات لإنتاج ظواهر تخدم غاياته وغايات البشرية.

يُشار إلى السيد أحياناً باسم الحكيم. لكن حكمته فريدة ولها فعاليات ومزايا تتجاوز استيعاب أولئك الذين يجهلون، كما أنها تتجاوز دائرة النور الضيقة التي خلقتها العلوم المادية والتي يمرح وسطها الجميع باكتفاء ورضا.

الصورة التي وضعتها على غلاف الكتاب هي رمزية أكثر من كونها تعبير فعلي عن السيد. فهو لا يتصرف أبداً بكبرياء وفخامة، هو لا يقبل أن يجلس على عرش، هو لا يتصرف كسيد كما نألف هذه الكلمة وفق مفهومنا الحالي. لكن رغم ذلك فهو يستحق أكثر من كل هذه التشريفات، وذلك تقديراً لمقامه السامي.

إذا كان ذِكر هذه الممارسة التجاوزية يستحضر صورة المشعوذ الشرير الذي يستخدم السحر الأسود لأذية الآخرين، وغائب عن ذهنكم أي جانب إيجابي يمكن أن تقدمه هذه الممارسة، وجب المعرفة بأن هذا العلم بمفهومه البسيط والنقي هو العلم الروحاني الأرقى والأكثر جوهرية بين فروع الفلسفة الطبيعية. هو متقدم بطريقة صناعته وعملياته الفاتنة إذا توفرت المعرفة والفهم الصحيح لمحتوى الأشياء وفعالياتها الخفية. أي إذا طُبقت القُوى المناسبة على الأشياء المناسبة، سوف تُنتج التأثيرات العجيبة المرغوبة. لذلك فالممارسون التجاوزيون (المستقيمون طبعاً) هم باحثون مجتهدون وعميقون في الطبيعة. هم يعرفون، بفضل مهارتهم، كيف يحدثون تأثيراً، وهذا التأثير سيبدو بالنسبة للشخص العادي بأنه معجزة.

إنها معرفة استثنائية بكل ما تعنيها الكلمة من معنى، لكن يعود سبب دخولها عالم الأسرار إلى ملاحقة ممارسيها وإنزال أشدّ العقاب بهم، ونُعت كل من تعامل بها بالمشعوذين والمهرطقين وغيرها من صفات وتهم وإدانات. صحيح أن الدجالين وجدوا بهذه المجالات مرتعاً خصباً، لكن هذا لا يعني أنه لم يعمل بها شخصيات شريفة تُعتبر من أنبل أنواع البشرية وأكثرهم صدقاً وإخلاصاً. لقد مثّلت هذه العلوم في إحدى الفترات العلم المنهجي للحضارات القديمة، أي الأرضية العلمية التي انطلقت منها التكنولوجيا على أنواعها وعلوم الطب والهندسة والزراعة.. إلى آخره.

الشعوذة هي من عمل المشعوذين وهم نوعية معيّنة من الأشخاص، وليس شريحة كاملة من البشر. ليس هناك مهنة تُسمى شعوذة، أي المشعوذين ليسوا متخصصين في مجال قائم بذاته. إنهم أفراد يميلون للخداع والدجل والغدر، وهم موجودون في كافة المجتمعات ومنذ بداية ظهور الإنسان على وجه الأرض. وأصبحوا في عصرنا هذا موجودين في كل الاختصاصات والمجالات الأكثر احتراماً كالطب والمحاماة والهندسة وغيرها من مجالات مهمة في المجتمع. فنحن نقرأ ونسمع عن الفضائح التي تحصل في هذه المجالات كل يوم، جميعنا نرى أبنية ضخمة تنهار على رؤوس سكانها الآمنين الذين وضعوا كل ثقتهم بيد المهندسين. ونرى تجارة مزدهرة في أيامنا هذه التي تتمثّل بتجارة الأعضاء الجسدية، والمسؤول عنها هو بعض من الأطباء

الذين أقسموا اليمين على القيام بأعمال إنسانية لكنهم متواطئون مع العصابات والمافيات الدولية. وهناك الأطباء الذين راحوا يوصفون الدواء الفاسد أو الكبسولات الفارغة لمعالجة المرضى المساكين. وقد سمعنا عن الكثير من المحامين الذين تآمروا على موكّليهم الأبرياء فأوصلوهم لحبل المشنقة أو الحكم المؤبّد مقابل رزمة من الأوراق المالية. وها نحن الآن نرى هذا النوع من المشعوذين يحتلّون مناصب سياسية محترمة وهم في الحقيقة لا يمارسون سوى سياسة "الطقوس في الظلام". ورغم ذلك كله، فلم نرى الحكومات أو المؤسّسات الدينية أو الاجتماعية أو غيرها، قد أمرت بمنع مهنة المحاماة أو الطب أو السياسة أو غيرها من مجالات رسمية مختلفة بسبب تلك الأعمال الشّاذة التي قام بها بعض الدجالين الذين اخترقوها.

وهذا بالذات ما حصل للحكمة الأصيلة (التي أصبحنا نعتبرها "سحراً") عندما استولى المشعوذون عليها واحتكروها لأنفسهم دون غيرهم. وقد أقاموا جمعيات ومحافل سريّة للمحافظة على هذه المعرفة التي يحتكرونها ضمن دوائر ضيّقة جداً، ومع مرور الزمن، استُخدمت هذه الجمعيات السريّة للسيطرة على الشؤون البشرية العامة والخاصة، حيث ساهمت في إنشاء مؤسسات ومنظمات ذات تركيبة هرمية (تسلسل مناصب) في كافة الميادين العامة بغية الحؤول دون رواج هذه المعرفة وانتشارها بين الناس.

في الوقت الذي يتم فيه تجاهل هذا المجال بشكل شبه كامل، حيث انتُزع من ساحة الحياة اليومية للشعوب عن طريق الحظر والتحريم والتحريف والتشويه والتدمير والإخفاء.. إلى آخره، نرى أن النخبة العالمية المسيطرة كانت ولازالت تستعين به طوال الوقت لمؤازرتها في تحقيق غاياتها المبيّتة. صحيح أنهم أنشؤوا حركات فكرية ودينية وسياسية كثيرة عبر التاريخ ساهمت في إقصاء الفلسفة التجاوزية من ساحة المعرفة الإنسانية وسُحبت تدريجياً من التداول الشعبي بحجة أنها من أعمال الشيطان أو أنها مجال خرافي ليس له أي أساس من الصحة وغيرها من ذرائع، إلا أن النخبة العالمية حافظت على هذه المعرفة طوال الوقت وليس هذا فحسب بل هي

تعلم جيداً أن الفلسفة التي تستند عليها هذه المعرفة هي الفلسفة الأصيلة والوحيدة التي يمكنها تفسير وشرح كل أسرار الكون وألغازه.

إذاً، فالممارسة التجاوزية ليست شعوذة أو شراً من أعمال الشيطان، بل هي معرفة وإلمام كامل بسنن الطبيعة.. إنه منهج علمي كامل متكامل له فلسفته ونظرته الخاصة للكون والحياة، والكهنة القدامى الذين تعاملوا به كانوا يمثلون المجتمع العلمي الرسمي وليس مسوّقين للخرافات كما هي الحال مع رجال الدين اليوم.

ما ذنب هذا المجال إذا انحدرت استخداماته إلى أهداف شاذة مؤذية وشريرة في الوقت الذي يمكن أن نسخّر عجائبه الاستثنائية لاستخدامات مفيدة لصالحنا؟ أنا أعلم بأن الفرد، بعد أن يطلع على محتويات الكتب السحرية الشعبية وينظر في عناوينها ومواضيعها الشاذة سوف يشعر بالاشمئزاز والقرف، لكن ما ذنب هذا العلم إذا كانت المواضيع التي شغلت السحرة عبر قرون الانحطاط لا ترقى إلى المستوى الذي يرضي اهتمامات الإنسان العصري، إن كان من الناحية الأخلاقية أو العلمية؟

بعد أن تعرفنا على المبادئ الأساسية لهذه الممارسة التجاوزية (ونسميها سحر) وتوضّح الكثير من الغوامض المتعلقة بها، أصبحنا الآن بحاجة للمعرفة المناسبة التي تمكنا من التعامل بها بشكله السليم. إن كل ما تعرفنا عليه في الكتب السابقة (خصوصاً مجموعة كتب "من نحن") لا يمثّل علوم تجاوزية بحد ذاتها، بل عبارة عن وصف مُختصر لبعض الظواهر الطبيعية التي كنا نجهلها وبالإضافة إلى القدرة العظيمة التي نتمتع بها ككائنات بشرية. وبالتالي السؤال هو: كيف نستطيع تسخير هذه الظواهر والقدرات التي اكتشفناها بطريقة سليمة ومناسبة لتحقيق غاياتنا المختلفة. هنا بالذات يدخل دور التعاليم التجاوزية، والتي تمكن الفرد من توظيف وتسخير هذه الظواهر والقدرات بأشكال وصيغ مناسبة وصحيحة. في الحقيقة هناك الكثير من التعاليم الروحية (ونسميها علوم خفية Occult knowledge) التي يمكن ممارستها لتحقيق ذلك.

من خلال الاطلاع على المواضيع المتعلقة بالممارسة التجاوزية، أوّل ما نستنتجه هو أنها تمثّل "معرفة" قائمة بذاتها، أو مجموعة من العلوم المستندة على منطق معيّن ونظرة معيّنة للطبيعة والوجود بشكل عام. إنها تمثّل فلسفة قائمة بذاتها. وكما نعرف جميعاً، فإن المعرفة بحد ذاتها ليست مضرّة أو مفيدة، بل إنها مجرّد معرفة، لكن يمكنك تحديد صفتها إن كانت خيّرة أو شرّيرة من خلال طريقة استخدامك لها، حيث يمكن استخدامها بطريقة سلبية أو إيجابية حسب الغاية والهدف. فإذا استخدمت هذه المعرفة بطريقة إيجابية، تكون معرفة مفيدة ولصالح الإنسان، وبالتالي وجب دعمها وتشجيعها. وإذا استخدمت بطريقة سلبية، حينها يترتب على الإنسان محاربتها ومنعها أو تجنّبها على الأقلّ. لكن السؤال الكبير هو، لماذا مُنعت العلوم التجاوزية بالمطلق بحيث سُميت "سحرية" وأُلحق الصالح منها بالطالح، واعتبرت شراً من شرور الدنيا وشعوذة ملعونة من أعمال الشيطان؟..

سوف تكتشف بأن هذا العلم بعيد كل البعد عن ما يعتقده الناس، بل بالعكس، حيث يمثّل حقيقة أكثر سمواً ونبلاً. بعد اطلاعك على الحقائق المتعلقة بهذا المجال، ستكتشف بأن ما نسميه "العلوم التجاوزية" يمكن تعريفها على الشكل التالي: *".. هي معرفة صحيحة وإلمام كامل بسنن وقوانين الطبيعة، وإتقان التعامل معها بناءً على هذا الأساس.."*

إن نظرة الإنسان تجاه نفسه ككيان ضعيف ومنفصل عن الكون تمثّل سدّ منيع يعزله ويحرمه من التحكم بتياراته وقواه المختلفة. ليس هناك حدود من ناحية العلاقات التي توصل الإنسان بالكون بشكل جوهري ووثيق، حيث مجرّد أن جعل الإنسان نفسه موحداً مع أي فكرة أو أي شيء، سوف تزول الحواجز الزمنية والمكانية بينهما. لكن مدى قدرته في السيطرة على ما يستهدفه بتفكيره تعتمد على درجة قوته العقلية، وكذلك على ظروف البيئة الإنسانية التي نشأ فيها (برمجة الوعي). يستطيع الإنسان أن يكون (يتقمّص) أو يسخّر أي شيء يدركه أو يستهدفه بتفكيره.. حيث أن كل شيء يدركه هو بطريقة معيّنة جزءاً منه أصلاً. كل شيء في الكون موصول ببعضه البعض ليشكّل في النهاية كيان واحد موحّد. وبالتالي، وبناءً على هذا المبدأ، يستطيع

الإنسان أن يخضع كامل الواقع الذي يدركه ويألفه لإرادته الفردية إذا عرف كيف يحقق ذلك.

في الحالة الطبيعية، وبناء على الطبيعة الاستثنائية للكائن البشري، وكذلك موقعه المميّز في الكون، يمكن اعتبار كل عمل متعمّد يقوم به بأنه عمل سحري. أي كل إنسان يصنع السحر بشكل طبيعي في كل مرّة يتصرّف أو يفكّر فيها، وذلك دون أن يدري طبعاً، لأنه يجهل حقيقة أن كل فكرة تخطر في ذهنه تمثّل إما فعل معيّن أو كينونة معيّنة، وتؤثّر في النهاية على شيء معيّن، مع أن هذا التأثير لا يتجسّد في ذات اللحظة أو ذات الفترة، لكنه يتجسّد في النهاية.

وبناء على ما سبق، تُعتبر الممارسة التجاوزية (التي نسميها اليوم "السحر") بأنها علم أو فنّ إحداث تغيير يتوافق مع الإرادة لأن حصول أي تغيير مرغوب قد يتأثّر نتيجة تطبيق النوع المناسب لقوة معيّنة على الهدف المناسب، وذلك بالدرجة المناسبة، وبطريقة مناسبة، وعبر الوسيط المناسب. وإذا نجح الشخص بمراعاة هذه الشروط، فنياً (ابتكر وسيلة جديدة) أو علمياً (انتهج وسيلة سابقة)، سيُعتبر ساحراً محترفاً.

كل إنسان يدرك ضمنياً، أكثر أو أقلّ، بأن كينونته تتألف من عدة مستويات للوجود، حتى لو كان من العلمانيين/الماديين الذين يعتقدون بأن ذلك الجانب الخفي للإنسان هو مجرّد مظهر من مظاهر جسده المادي. والطبيعة أيضاً تتألف من عدة مستويات للوجود، لكن مع ذلك، الإنسان يجهل الطبيعة الحقيقية لكينونته وقدراته. حتى قناعاته بخصوص هذه المحدودية في النظر إلى نفسه تعتمد على تجاربه في الحياة، وكل خطوة إلى الأمام في استكشاف نفسه تساهم في توسّع إمبراطوريته الوجودية. وبالتالي، ليس هناك أي سبب لوضع حدود نظرية لهويته الحقيقية أو ما يستطيع إنجازه.

قبل أن نتعرف على العلم الذي يستخدمه السيّد، علينا أولاً التعرف على العلم الذي يصنع السيّد. علينا بالتالي التعرف على مجموعة من المواضيع التي قد تفيدنا في هذا المجال. إن الفكرة السائدة التي تقول بأن قراءة كتاب واحد أو الانخراط في دورة تدريبية واحدة يكفي لكي نحصل على النتيجة المرجوة هي فكرة واهية وبعيدة كل البعد عن الواقع. نحن بحاجة إلى التعرف على الكثير من الحقائق التأسيسية أولاً. المواضيع التالية في هذا الكتاب توضح الفكرة جيداً بخصوص الطريقة التي يعمل ويفكر وفقها المريد. يمكننا اعتبار الجزء الأول بأنه الجانب النظري والضروري من الموضوع، أما التطبيق العملي فتركناه للجزء الثاني والثالث.

الرشد كما نعرفه هو وهم كبير

لدينا مجموعة من المفاهيم والمصطلحات العامة والسائدة في عالمنا والتي لا تكشف عن الحقيقة التي من المفروض أن تكشفها، وكنتيجة لذلك توصلنا إلى استنتاج خاطئ تماماً يقول بأننا بالغين أخلاقياً وعقلياً وعاطفياً بقدر ما نحن بالغين جسدياً. أي أنه عندما يبلغ جسدنا نتيجة كبر السن فهذا يعني أننا أصبحنا حكماء. وأصبح لدينا كلمة الرشد التي تُستخدم عموماً للإشارة إلى حالة جسدية بالغة، مع أن هذه الكلمة في الحقيقة تشير إلى الاستقامة الأخلاقية أو حالة بلوغ لعقولنا وعواطفنا وقناعاتنا الداخلية. نحن نستخدم اليوم كلمة راشد للإشارة إلى الشخص الذي أصبح سنه يخوله الانتخاب أو قيادة السيارة مثلاً، لكن في الحقيقة هذه الفكرة هي خاطئة تماماً.

الراشد الحقيقي هو الشخص الذي يعيش على مستوى واقع نزيه ومستقيم فيما يتعلق بإنسانيته. نحن كائنات بشرية، وككائنات بشرية نحن نخضع لقانون كوني، وردود أفعالنا لهذا القانون الكوني هي التي تحدد درجة الرشد التي أحرزناها. أما اليوم، يُعتبر الراشد بأنه الشخص الذي يسمح له القانون بمشاهدة الأفلام الإباحية مثلاً، أو هو الذي يُسمح له قانونياً بأن يكون مدمن خمر وارتكاب كل أنواع الأعمال والأفعال المسيئة التي يُمنع على الأولاد القيام بها. لذلك نلاحظ بأن الكثير من الشباب اليافعين اليوم ينتظرون بتشوّق لأن يصبحوا بالغين شرعيين لكي يتسنى لهم ارتكاب مجموعة واسعة من الجنح والموبقات والأعمال الآثمة لكنها مشرّعة قانونياً.

لذلك بالنسبة لنا اليوم، الإنسان الراشد هو الذي يمكنه فعل الأشياء التي ليس سليماً أن يفعلها الصغار، وربما هي تتجاوز قدرة الكهال على فعله أيضاً، وهذا يعني أنه إذا كنا في مكان ما بالوسط بين هذين العمرين، سوف نعتبر بأن لنا الحق في الاعتقاد بأننا نمثل فعلاً أشخاص بالغين راشدين. لكن في الحقيقة، إن مصطلح "الرشد" الذي نستخدمه اليوم يمثل وهم كبير. نظرتنا الخاطئة لهذه الكلمة ليس لها

علاقة بالقيم، كما أنها بعيدة عن تقييم المستوى الذي يعمل وفقه الإنسان. جميعنا نعلم أن الإنسانية تحتل مكانة فريدة في البيئة المادية التي تعيش وسطها. إن للكائنات البشرية القوة للسؤال والتساؤل حول موضوع وجودها، وبالتالي تعقلن هذا الوجود بطريقتها الخاصة. أما الحيوانات الأخرى فلا تفعل هذا. الحيوانات محكومة تماماً من قبل عقول جماعية. هي تفعل وتتصرف كما يمليه عليها العقل الجماعي لفصيلتها. أما نحن فقد ارتقينا فوق هذا المستوى. نحن لم نعد نفعل الأشياء التي يفرضها العقل الجماعي لفصيلتنا. نحن الآن نخرق كل القوانين لأننا نمتلك الإرادة والفردانية والذكاء الشخصي. نحن في الحقيقة بعيدون جداً عن كوننا راشدين.

إذا جائنا إنسان راشد فعلياً فسوف ننبذه وحتى نصلبه. سوف يتعرض لجميع أشكال الإهانات والحط من الكرامة. نحن نفعل هذا لأن الرشد يتطلب الكثير مما نفتقده. فهو مثلاً يتطلب النزاهة والاستقامة وهذه الصفات هي نادرة في المجتمعات البشرية. نحن في الحقيقة لا نريد أن نكبر ونبلغ. نحن نرغب أن نبقى في عالم طفولي. نحن نريد أن نبقى في عالم يقوم فيه الآخرين بالتفكير بالنيابة عنا، حيث نكون محميين بكل الطرق الممكنة، حيث يمكننا أن نعمل بأقل قدر ممكن لنكسب أكبر قدر ممكن من الأموال. نحن نود أن نكون تحت المراقبة والحراسة الدائمة، كما نود أن نكون تحت الحماية والرعاية الدائمة لقوة إلهية خيّرة وكريمة دون أن نبذل أي مجهود من أي نوع. نحن لسنا مستعدين للوقوف على أقدامنا ونجري تفكيرنا الخاص بنا، ولا نحن مستعدين لخلق قوانين صالحة تحكم سلوكنا الشخصي.

كما نلاحظ في البرامج الوثائقية عن الطبيعة والحيوانات والتي هي منتشرة بكثرة هذه الأيام، يوجد الكثير من الدراسات التي أجريت على الطبيعة البرية والتي هي ملهمة ورائعة. الأمر الأهم الذي تكشف عنه هذه الدراسات هو أن كل الكائنات بفصائلها المختلفة تعيش وفق قوانين محددة خاصة بها، وأن تلك القوانين ليست موضوعة من قبل هذه الكائنات، وحتى أنه يستحيل على هذه الكائنات تعديل القوانين أو تغييرها بأي طريقة من الطرق. إنها بكل بساطة تعالج مسائل البقاء وديمومة النوع. تحوز هذه الكائنات بداخلها على شريعة غامضة تملي عليها ما تفعله، وبعض مما تفعله

هو مذهل وعجيب فعلاً، بالتالي علينا التسليم بحقيقة أن كل من هذه الكائنات المختلفة تحوز على مساحة هائلة من الفردية، لكن هذه الفردية لا تشكل أي مسألة ذات أهمية. الطير الذي يبني عشه العجيب يتبع بذلك غرائز ودوافع ونوازع محددة كامنة بداخله، وهذه العوامل الداخلية هي مخصصة لفصيلة ذلك الطير تحديداً، والأمر الأهم هو رغم فردانيته فهذا الطير نادراً ما يخرق القوانين الحاكمة لفصيلته. بالتالي نحن نسلم بمقولة أحد الفلاسفة القدماء والتي تقول بأنه: "*.. لا يوجد حيوانات كافرة أو خاطئة، ولا حتى يوجد نباتات مذنبة أو آثمة..*" كافة أشكال الحياة هي، بطبيعتها الوراثية، كائنات نزيهة ومستقيمة، لأنها تقوم بالمهمة التي خلقت من أجل تنفيذها. هي تعيش وفق الطريقة التي من المفروض أن تعيشها. وهي مجموعة وفق فصائل وأنواع وسلالات وأنظمة وهيئات والتي وفقها تحافظ على ديمومتها بشكل جيد وسليم، وبقي الأمر كذلك إلى أن جاء الإنسان وراح يتدخل في حياة تلك الكائنات ويعكر صفو مسارها الرتيب.

رغم فردانيته إلا أن الحيوان نادراً ما يخرق القوانين الحاكمة لفصيلته أو التمرّد على إملاءات العقل الجماعي العائد لنوعه

علينا اليوم تذكر حقيقة أن الكائن البشري لم يعد يخضع للعقل الجماعي كما تفعل الحيوانات. لقد أصبح الإنسان تحت سيطرة عقله الخاص. أصبح يحوز على حق اختيار وتكوين خطة حياته الخاصة. لكن هذا لا يمنحه مبرر للجنوح والانحراف، لأن الإنسان قادر على معرفة ما هي القوانين ولماذا هي موجودة، وذلك عبر اختباره تجارب مختلفة تبرر وجود تلك القوانين. بسبب هذه العوامل في داخله، هذا يجعل الكائن البشري قادراً على تقييم وتخطيط مصيره في الحياة. إذا كان لازال يافعاً عند انطلاقه في تنفيذ مخططه في الحياة، فهذا سيجعله يعتمد على التعليم المدرسي الذي يمنحه المشهد الشامل العام لمخططه في الحياة. وجب على العلم الذي ينهله الإنسان أن يعتمد بقوة على مبدأ المسؤوليات، لأن عليه واجبات تجاه نفسه وكذلك واجبات تجاه فصيلته التي ينتمي لها. كما أن عليه واجبات تجاه الطبيعة المحيطة به والتي له سلطة معينة عليها كما سلطة البستاني في حديقته أو العامل في ورشته. على الإنسان مجموعة مسؤوليات ترافقه من المهد حتى اللحد، وهذه المسؤوليات هي مهمة لدرجة أن عليه أن يقولب نفسه ليتناسب معها.

إذا قولب نفسه جيداً بحيث يتناسب مع مسؤوليات العيش، سوف يحظى بحياة معقولة وبناءة. سوف يكون محترماً من قبل الآخرين كما أنه سوف يحترم نفسه. لكن على الجانب الآخر، إذا فقد صوابه وتجاهل القوانين، التي وجب على كافة الكائنات في الكون إطاعتها، ثم انطلق شارداً بمفرده على درب إرضاء شهواته المختلفة سوف ينتهي به الأمر مواجهاً مشاكل كبيرة. وكلما كبرت المشاكل زادت سرعة انتشارها في المجتمع. الفرد المنحرف لا يفسد نفسه فحسب بل يفسد كامل العرق البشري، وهذا الفساد سوف يتسرّب إلى عالم الحيوان بطريقة أو بأخرى. الإنسان اليوم لم يدمّر طريقة حياته فحسب، بل دمر أيضاً الكوكب الذي يعيش فيه.

القانون الكوني يتمتع أيضاً ببعض السمات المميزة. قد يستطيع الفرد الفاسد الذهاب بعيداً جداً إلى حد لم يعد هناك المزيد ليتقدم. لأنه بعد وصوله نقطة معينة في المسار، يتعرض سلوكه المنحرف إلى عملية إصلاح ذاتي. فإما أن يتوصل الفرد إلى نقطة يفهم فيها وضعه المنحرف فيبدأ بإصلاح سلوكه، أو يستمر كما هو عليه

ثم يختفي تماماً من مسرح الوجود. نرى هذه الحالة اليوم في كل مشكلة نواجهها. في فترة معينة من تاريخه الطويل، توصل الإنسان إلى استنتاج خاطئ يقول بأنه يستطيع فعل ما يرغب فعله، لكن هذا غير صحيح. عليه في الحقيقة أن يرغب فعل ما هو صالح وسليم فقط. نحن نرى هذه المشكلة دائماً في تصرف الناس والعلاقات فيما بينهم وكذلك العلاقات بين الدول والأمم. نشاهد بحسرة كبيرة نتائج طموحات البشر التي انفلتت وصارت خارج السيطرة.

كل هذه الأشياء تعود بنا إلى مشكلة الرشد. نبدأ الحياة ونحن كائنات بريئة. لكن دعونا لا نخدع أنفسنا، إذ داخل كل مخلوق بريء يوجد إمكانيات واستعدادات. هذه الإمكانيات وجب تطويرها بشكل سليم. وجب بناء الحياة بحيث تتكشف بطريقة عقلانية. لا يوجد شخصان متشابهان ضمن الفصيلة البشرية. كل فرد له شخصيته الخاصة. كل فرد له درجة مختلفة من النمو الداخلي. كل فرد له قدرة مختلفة على تقييم ما يعرفه وما لا يعرفه. له الحق في تطوير نفسه إلى درجة معينة على الأقل. لديه الحق في اختيار ما هو أفضل له وفقاً لما يعرفه.

هذه المشكلة المتمثلة باختيار طريقة العيش ليست موجودة أبداً في عالم الحيوان. هي تمثل جزء من الهبات الممنوحة للإنسان فقط. بهذا يمكن للفرد أن يقول لنفسه مثلاً، أريد أن أكون رجل أعمال ناجح أو طبيب أو محامي أو عامل، أي أنني سأفعل ما تسمح لي به قدراتي وملكاتي الخاصة، وبما أن قدراتي وملكاتي قد تزيد درجتها بالمقارنة مع أول مجيئي إلى هذا العالم، فسوف اصبح شخصاً متعلماً وسوف أتعلم مهنة معينة وسوف أتخصص.. إلى آخره، كل هذا من أجل أن يكون لي قيمة في المجتمع وبالتالي سوف اتلقى الاعتراف والتقدير من هذا المجتمع. هذه جميعاً قرارات شخصية، وهذه القرارات ستصبح أساس نمو وتطور حياة الإنسان وفق المعايير العصرية.

كل طفل عليه المرور عبر مراحل معينة قبل وصوله مرحلة البلوغ. خلال هذه الفترة يكون الجسد بذاته يشق طريقه في الحياة. هذه الفترة تشهد محاولة الجسد الشاقة

والمؤلمة والتدريجية في قولبة نفسه لكي يصبح قادراً على تحمل الشخص الساكن فيه، أي وفق ما وصفه عالم النفس "كارل جونغ": الشخص الساكن في الجسد. بمعنى آخر، قبل أن يستقر الفرد في حياة مفيدة عليه أن يبني منزلاً، وهذا المنزل هو جسده. وهذا الجسد يخضع للتكييف بفعل الظروف المختلفة التي تمر على صاحبه. بعض الأفراد انطلقوا في الحياة بطريقة أفضل من الآخرين، بينما البعض الآخر واجه العديدة من المشاكل بالمقارنة مع غيرهم. لكن الجميع في النهاية عليهم المحاولة بأي طريقة ممكنة مهما كانت الحالة التي انطلقوا منها. عليهم محاولة بناء حياتهم بالطريقة المناسبة والضرورية حتى يصلوا مرحلة بلوغ نافعة ومفيدة. الفشل في تحقيق هذه الغاية سيعتبر فشلاً في الطبيعة، وفي كافة الممالك ما عدى مملكة الإنسان، الفشل يعني عدم البقاء طويلاً في هذا العالم. بينما فيما يخصّ الإنسان الفاشل فهو يدوم فترة أطول بقليل مع أمل في الخلاص.

في الحقيقة فإن تأمين مستقبل ناجح وإنماء جسد مناسب ليعزز هذا الطموح يعتبران عاملان أساسيان للنمو. هما يمثلان الغاية التي ندرس ونتعلم من أجلها. يمثلان المشاكل التي نواجهها خلال اجتهادنا في محاولة فهم العالم الذي نعيش فيه. لكن لسوء الحظ، نحن لم نُمنح المساعدة التي نحتاجها في معظم الحالات. في الكثير من العائلات نجد أن الأبوين أنانيين بحيث يكونان منشغلين تماماً بمصالحهما الخاصة، أو نجدهما مستبدين بحيث يطالبان دائماً بحقوقهما لكن دون أي اهتمام بحقوق الأولاد. هكذا نوع من المسائل يسهم بشكل كبير في تخريب حياة الأولاد. الأسر المفككة والمشاكل الاقتصادية والاجتماعية المتنوعة، جميعها لها أثر كبير على النمو الطبيعي للفرد. لكن نجد أيضاً أن الحيوانات والنباتات لها مشاكلها الخاصة. فهي معرضة لأنواع كثيرة من الكوارث الطبيعية. هي معرضة مثلاً للزلازل والجفاف والفياضانات والحريق، كما أنها معرضة لانتشار الأوبئة وما شابهها. لكن مملكة الحيوان تستمر في سيرها قدماً وبهدوء، ولا تغير سلوكها المعهود بهدف تسهيل حياتها فتقرر مثلاً ان تعيش وفق ظروف غير طبيعية، هي لا تفعل ذلك أبداً. الحيوان لا يعرف سوى حالة واحدة فقط، وهي الحالة التي يعيشها. لذلك نجده ملتزماً بها ومتوافقاً معها ويساهم في ديمومتها عبر توريثها لصغاره.

Eric Baccega / naturepl.com

الحيوان لا يعرف سوى حالة واحدة فقط، وهي الحالة التي يعيشها. لذلك نجده ملتزماً بها ومتوافقاً معها ويساهم في ديمومتها عبر توريثها لصغاره.

أما بالنسبة للإنسان فنجد أن الفوضى هي الحالة السائدة لديه وحتى أنها أصبحت تمثل مشكلته الرئيسية. الإنسان مع كل جيرانه ومعارفه يمثل فردانية غالباً ما تكون مأساوية وخطيرة. الإنسان يفعل ما يحلو له وليس ما وجب عليه فعله. هو لا يقلق ولا يهتم بمدى تأثير تصرفاته على الآخرين. هو يشعر بأنه مقدر له تحقيق أهداف محددة، وهذه الأهداف يسعى إلى بلوغها مهما كان الثمن. الأهداف المفضلة لديه هي الثروة والسلطة والشهرة. هذه هي المواضيع التي يعتبرها أنها تمثل الحقائق العظمى. يبدو أن الحيوانات لا تعاني أبداً من هذه الحالة اللاعقلانية. فهي لا تهتم بتجميع الثروة، بل فقط تجميع بعض الطعام لفصل الشتاء.

فكرة "تأمين المستقبل" التي سيطرت على الإنسان منذ البداية، والتي أنتجت حوالي ثمانية آلاف حرب على طول التاريخ المكتوب، هذا الموضوع غائب تماماً لدى فصائل الكائنات الأخرى. وهذا الموضوع يعتبر السبب الرئيسي الذي جعل فصيلتنا تتعثر في مسيرتها على طول الطريق. كيف يمكننا تقييم هذه المشكلة؟ كيف يمكننا تحديد ما وجب أن يكونه الأنسان وما وجب أن يفعله؟ كل من يحاول طرح هذه المسألة محاولاً معالجتها سوف يواجه فوراً غضب جيرانه ومحيطيه المباشرين. الجميع معتاد على فكرة أن كل إنسان مقتنع بأن على غيره التصرف كما يريده هو، والاختلاف عنه يعتبر خطأ كبير. وأن يختلف الفرد بشكل علني أمام المجتمع يمثل حالة تمرد وعصيان. كل إنسان يحوز على آلية تصحيح خاصة بتفكيره. آلية التصحيح هذه ليس لها أي علاقة بدراسة حياته الداخلية. هي تمثل حالة إصرار على تحقيق أهداف وضعها الانسان لنفسه. أسوأ جانب في الموضوع هو أن معظم تلك الأهداف هي مؤقتة حتماً، بسبب قصر حياة الإنسان بالمقارنة معها. إن طموحات الإنسان هي في الغالب وهمية. حياته المهنية هي وهم، لأنه لا يستطيع امتلاكها سوى لفترة قصيرة.

من هنا نبدأ التساؤل حول الفرق بين الرشد والكبر في السن. وجب أن يمثل الرشد عملية بناء شيء يمكنه البقاء عبر تقلبات العمر. كلمة البلوغ وكلمة رشد ليستا كلمات مترادفة. ليس بالضرورة أن يكون الكبير في السن راشداً. بالتالي، يمثل الرشد

شخصاً مسيطراً تماماً على حياته لجعلها مميزة. تتميز حياته بأشياء يعرفها بأنها الأفضل. ممالك الحيوان الأخرى لا تعرف ما هو أفضل وما هو أسوأ، لأنها لا تعرف شيئاً عن هذا الموضوع. الإنسان يستطيع خلق نوعية خاصة لحياته. يستطيع خلق نوعية خاصة لحضارته.. نوعية خاصة لامبراطوريته. هو مقتنع بأن لديه الحق في تغيير الأمور لكي تتوافق مع رغباته، لكن بينما يقوم بهذا العمل عليه إدراك حقيقة أنه يقوم بذلك وهو قابع تحت مظلة واسعة من الحتميات والمسلّمات. بالتالي فالأشياء التي يفعلها والتي من المفروض أن لا يفعلها سوف لن تنجح. وكذلك، الأشياء التي يهمل فعلها والتي من المفروض أن يفعلها هي الأشياء التي قد تنجح. رويداً رويداً راح الإنسان يتمرد على منظومة قوانين الوجود. راح يخرق هذه القوانين فقط من أجل ملاحقة طموحاته وإشباع شهواته الدنيوية المختلفة. وكلما استمر في هذا التوجه المنحرف زاد بؤسه ومعاناته.

يبدو أن فلاسفة الصين، مثل كونفوشيوس ومنشيوس ولاوتزو وغيرهم، كانوا متنبهين لهذه المسألة تحديداً حيث أقروا بأن: *".. بداية الحياة الجيدة تنطلق من إدراك حقيقة أن مجيئنا إلى هذا العالم يمثل جزء بسيط من رحلة تطورية طويلة.."*، نحن لسنا على قمة الأبدية، بل لازلنا نقبع عند السفوح في الأسفل. نحن لسنا حاضرين بعد لحالة الإنجاز العليا والتي نستمر بالشعور أننا نستحقها مع أننا لم نفعل شيء يؤهلنا لاستحقاقها. نحن لسنا حكماء فعلياً كما نظن. كما أننا غير مؤهلين لاتخاذ القرارات كما نعتقد. علينا أن نبدأ بالتفكير في الاختلافات بين الكائنات البشرية والكائنات المنتمية للفصائل الأدنى منزلة. تلك الكائنات الأدنى تعيش ضمن حماية كونية بحيث تبدو كما الأطفال الصغار الذين يتلقون الرعاية والإرشاد الدائمين من قبل قوة عظيمة لا تفشل أبداً بسبب استقامتها الضمنية.

يمكننا إذاً اعتبار كل تلك الفصائل الأدنى منزلة بأنها تمثل أطفال صغار وجب عليها النمو تدريجياً، درجة تلو درجة في سلم الارتقاء والتكشّف، وهذا الارتقاء والتكشف يكون تحت الرعاية والحماية المستمرين من قبل قوانين لا يمكن لهذه الكائنات خرقها. حتى أنه ليس لديها غريزة لخرقها. ليس هناك أي طموح محدد لدى

الحيوان، ما عدى الاجتهاد إلى حماية المنطقة الصغيرة التي يعتبرها مسرح نشاطاته الخاص. عليه حماية مجال نشاطه وعائلته لأنه بذلك يحمي استمراريته واستمرارية سلالته. هذه المسألة المتعلقة بمسرح النشاط الخاص قد تطورت أكثر في حالة الإنسان إلى أن أصبح العالم بكامله يمثل مسرح نشاطه الخاص وبالتالي غدا مباح تماماً لكل ارتكاباته المسيئة. بالتالي أصبح مسرح النشاط الخاص يمثل بالنسبة لنا ليس مكاناً لنحمي فيه صغارنا بل لتحقيق طموحاتنا ودغدغة عواطفنا المختلفة وتطوير مصادر مالية. أي بمعنى آخر، نحن نأخذ مسرح نشاط خاص بهدف استعباده واستغلاله واستنزافه، بينما الحيوانات لا تتخذ هكذا توجه أبداً. الحيوانات تستخدم المصادر الطبيعية كما هي على حالها، هي تأخذ منها بقدر حاجتها الآنية فقط. هذا بالتالي يجعل وجود فرق كبير بين الجانبين. الحيوانات والطيور والأسماك والزهور والأشجار.. إلى آخره، جميعها تتمتع باستقامة نوعاً ما، لأنها جميعاً تسعى إلى تحقيق الغاية التي خلقت من أجلها.

ليس هناك أي طموح محدد لدى الحيوان، ما عدى الاجتهاد إلى حماية المنطقة الصغيرة التي يعتبرها مسرح نشاطاته الخاص

هذا يؤدي بنا إلى السؤال الذي فقط الإنسان يحاول الإجابة عليه: ما هي الغاية التي خُلقنا من أجلها؟ لماذا نحن هنا؟ ما هو الذي يفترض علينا فعله؟ كيف يمكننا أن نعيش كل هذه السنين بحيث نكوّن ونصيغ تجسيدنا المادي المؤت بطريقة سليمة؟

ننظر حولنا ونجد أننا نحوز على امتياز خاص وجب عليه تحفيزنا لكننا لم ننتبه، وهو أننا من بين كل المخلوقات نعتبر الوحيدين الذين نعلم بأننا غير خالدين في العالم المادي. المخلوقات الأخرى ليس لديها أي إدراك أو تقييم للمستقبل. كل ما تعرفه هو السعي للمحافظة على البقاء إلى أن يقوم شيء معين بتدميرها فتزول من الوجود المادي. بالإضافة إلى انه في عالم الحيوان، نجد أن الكبار والصغار معاً تدفع جزاء الحتميات. لكن الإنسان طور الآن توجه مختلف تماماً. مع أنه يبقى أيضاً خاضع لنفس القوانين بحيث لا يستطيع البقاء خالداً، لكنه يسعى جاهداً خلال بقاءه هنا إلى تغيير وظيفته الطبيعية التي خُلق من أجلها. فيخلق وظيفة أخرى مختلفة تماماً ويجعلها تخدمه وترضي كامل أهوائه وتشبع كل الشهوات التي يمكن أن تبرز لديه، هذا يعني بالتالي أن الكائن البشري لا يحاول أن يكون راشداً. هو يحاول أن يكون بالغ بما يكفي لكي يقترف الأخطاء. ومع بعض الاستثناءات، نجده بارعاً في اقتراف الأخطاء. لقد اقترف الكثير منها خلال فترة وجوده المؤقت هنا.

لكن مشكلة محاولة النمو فوق الأخطاء هي ذاتها مشكلة الرشد والبلوغ الحقيقي. علينا أن نتعلم تدريجياً من الأشياء التي تحصل معنا. علينا أن نتعلم من التجربة، وهذا أمر لا يستطيع الحيوان فعله. فهذا الأخير يعتمد في تعلمه على الغريزة وليس على التجربة الواعية. أما بالنسبة لنا ككائنات بشرية، فقد مُنحنا الحق بالقيام بمجموعة متنوعة من النشاطات بحيث نستطيع قياس وتقييم نتائجها ومن ثم خلق نموذج عام مناسب لتوسّع إمكانياتنا. وقد مُنحنا حق التخطيط لمستقبل يمنحنا أكبر قدر من الأمان والنمو وكذلك أكبر قدر من تكشّف مقوماتنا وإمكانياتنا الداخلية، فيمكننا أن نقدم أكبر قدر ممكن من المساهمة في الخير العام. هذه هي الأمور التي من المفروض أن نفعلها، لكنها ليست الأشياء التي يفعلها الإنسان الحالي.

مسألة المسؤولية هذه لا تتدخل بسعادتنا أو رفاهيتنا. يستطيع الإنسان أن يكون سعيداً. من المستبعد أن تكون الحيوانات مهتمة بموضوع السعادة أو غير السعادة. بعضها قد يكون لديها شعور بالاكتفاء والرضا عندما يتوفر لديها الطعام الكافي وصغارها تكون في حالة جيدة. بينما اللاإنسان لديه الإمكانية، ليس فقط لتنظيم حياته

بل أن يكون سعيداً في الكثير من الأشياء التي يستطيع فعلها. لكن عليه أيضاً قياس موضوع السعادة. ما يتطلبه الأمر لكي يجعله سعيداً مثلاً. إذا تطلبت السعادة أن يؤذي الآخرين فهذا يعني أنه في مشكلة كبيرة. إذا كانت السعادة تعني أن عليه استنزاف إمكانياته وفقدان صحته واستقامته العقلية والعاطفية فهذا يعني أنه مخطئ. وجب على السعادة أن تبرز من التنظيم، من الأمور المشغولة بطريقة سليمة، وكذلك من تحقيق الغايات المبنية على المبادئ الصحيحة والسليمة. كما على الفرد أن يكون مبتهجاً بوجود تلك المبادئ الصحيحة والسليمة.

لدينا إذاً الآن هذه الصعوبة البسيطة التي تطرأ في شؤوننا الحياتية، وهي مشكلة البحث عن ماذا يمكننا فعله لمحاولة تصحيح تلك الأخطاء التي نعاني منها قبل أن تصبح خطيرة جداً. مثلاً، نادراً اليوم وجود شخص يجهل المخاطر الحقيقية في إدمان الكحول. الفرد يعلم بهذا الموضوع، كما أنه يقرأ يومياً مناشير دعائية تحذر من تدخين السجائر. الحيوانات طبعاً ليس لديها هكذا تحذيرات لأنها لا تمارس هذه الأمور المسيئة لها. لكن الإنسان، بما أنه يمارسها، وقد تلقى التحذير، لا بد من أن يتخذ قرار. لكن إذا قرر بأن متعته هي أكثر أهمية من التحذير، وأن المخاطر التي يخوضها هي مبررة أكثر من نتائج إنجازاته، فمن الممكن أن يستمر في ممارسته هذه. حتى يأتي ذلك اليوم الذي يقع فيه الفأس على الرأس، يحدث له أمر سيء بحيث لن يعد يستطيع تجنبه أو الخلاص منه، فيكتشف بأنه أضاع عمره هباء.

كيف يمكننا الافتراض بأن أناس راشدين كفاية بحيث يديرون المؤسسات والمنظمات والإجراءات والسياسات والتوجهات والمنظومات..، وهم يعرفون أنها جميعاً غير سليمة. في هذه الحالة لا بد من وجود عيب أو انحراف في مكان ما. هذا لأن الإنسان يظن جازماً بأن ما يفعله يوفر له الرفاهية السريعة والنجاح السريع والسعادة السريعة والرضا الذاتي السريع. بالتالي فإن "السريع" يتقدم بأهميته على "المفروض". ذلك الذي يتوفر "الآن" يصبح أكثر أهمية من باقي الأمور. إذا كان الفرد سعيداً الآن فيكون بذلك قد حقق غايته في الحياة. لا يمكن بأي حال من الأحوال اعتبار هذا بأنه يمثل الرشد. قد يكون الفرد متقدماً في العمر بحيث صار أشيب الشعر وله لحية

طويلة، لكن إذا لم يفكر أو لم يسعى لفعل شيء ذو قيمة له وللآخرين فهو ليس راشداً بل فقط في حالة تقدم مستمر في العمر إلى أن يوهن ويصبح مقعداً أو عاجز. مع أنه في الحقيقة، العاجز الفعلي قد يكون إنسان يتمتع بصحة جيدة لكن لا يوجد بداخله سوى جهل كبير. الفرد الذي لا يصبح راشداً لأنه أجبر على تقليد أخطاء الذين يكبرونه سناً و بذلك لا يطوّر أي قيم حقيقية بينما الأشياء عديمة القيمة تبهره وتسليه وترضي حياته، هذا لا يعني أن عليه أن يكون خائب الأمل ولا عليه تحمل هذه المسؤولية الكبيرة، لأن المشكلة لا تكمن هنا. لكن من أجل أن يكون سعيداً بحق، عليه أن يكون مفيداً وبناء ومتمتعاً بأكبر قدر من الصحة الجيدة. مجرّد أن بدأت تتدهور الصحة فإن السعادة تبدأ بالزوال. نرى أيضاً أن معظم الناس الذين حققوا نجاحاً مادياً مجرّد أن ساءت صحتهم يصبحون بؤساء أكثر من الفقراء.

لذلك أصبح ضرورياً على كل شخص أن يكوّن مفهوماً معيناً بخصوص الرشد. يمكننا القول كبداية أن الرشد يعني قدرة الفرد على العيش بطريقة بناءة. إنه الحق بأن نكون على حق. إنه الحق لأن نفعل تلك الأشياء الخيرة لكل معني بذلك. الرشد هو حسن التفكير وحسن التمييز والاستقامة. الرشد هو النمو فوق خطايا الحياة وتصحيح انحرافات الحياة. الرشد هو استخدام الشخص لإمكانياته الداخلية في سبيل الخير الأكبر بالنسبة لكل ذي شأن. وجب أن يمثل الرشد عملية إطلاق الإمكانيات الداخلية البناءة، وبدون هذا فسوف يكون الجسد معوّق ومصدر للألم. الجسد يكون مفيداً فقط عندما يمكننا من فعل الأشياء التي يقر كل من العقل والعواطف بأنه وجب فعلها. وإذا كان العقل والعواطف غير راشدة فسوف يستعرض الجسد علامات التدهور نتيجة الإرهاق.

لذلك علينا أن نستكشف الآن ما هي سمات الإنسان الراشد الجيد. أعتقد بأننا نستطيع إيجاد الرشد لدى العديد من المعلمين العظماء في هذا العالم. يمكننا إيجاد الرشد في الفيلسوف "كونفوشيوس" مثلاً، والذي كان أوّل من تحدث عن قيم الحياة في آسيا الشرقية. يجعل "كونفوشيوس" الأمر بسيطاً ومباشراً، يقول بأننا جميعاً هنا لكي نساعد بعضنا البعض. يقول أن الرشد هو أن تحقق سمعة مميزة على مساهمتك

الجماعية لفعل الخير. أما بخصوص العائلة، فقال أن العائلة الراشدة هي تلك التي تلتزم بالمبادئ الأخلاقية، حيث الوالدان يحترمان بعضهما البعض وأولادهما يحترمانهما. العائلة الراشدة هي تلك التي تكرس نفسها للمبادئ العامة، وأكثر من ذلك، هي التي تحافظ على كل تلك القوانين والأحكام التي تحافظ على أمان المجتمع ككل. العائلة الراشدة لا تشترك أبداً في الإهمال والتقصير عن الواجبات ولا تساهم أيضاً في الإجرام. طبعاً، وفقاً لـ"كونفوشيوس"، فإن التزام العادات والتقاليد وكذلك التمتع بالأدب والاحتشام هي أسس قوية لحالة الرشد.

يتابع "كونفوشيوس": الرشد هو التعبير عن الشكر والامتنان. الرشد هو مواجهة الفرد لمسؤولياته ليس لأنه مفروض عليه بل لأنه يدرك بأن هذا العمل سليم. الرشد هو مساهمة الإنسان في تلبية حاجات الآخرين عند الضرورة. الرشد هو القناعة الداخلية التي تدفع الشخص إلى التضحية بحياته عند الضرورة من أجل الحفاظ على شيء أكثر أهمية. الرشد بالتالي يعني شخص بالغ بحق. أما طريقة تمييز هؤلاء الراشدين فهي بسيطة، سوف لن تراهم يمشون بزهو وخيلاء كالحمقى الفارغين، بل تعرفهم من خلال علاقتهم المميزة مع الحياة عموماً، أي ما يعملونه وما يقولونه وما يفكرونه وما يؤمنون به، كل هذه الأمور تميزهم عن غيرهم. بالتالي فالرشد يمثل أشياء كثيرة. الرشد هو الشكر مقابل خدمة. الرشد هو تقديم مكافأة مقابل عمل جيد. الرشد هو احترام للسلطة واحترام لكبار السن. الرشد هو معاملة الصغار كما لو كنت والدهم. الشخص الراشد يعبد الله عبر اللطف والاستقامة الأخلاقية والنزاهة والاحترام والمعاملة الحسنة. الرشد يجلب معه تقدير للفنون والموسيقى والأدب وكل ما هو جميل وراقي فكرياً. الشخص الراشد يحكم عائلته بحكمة ومحبة، بحيث كل فرد من العائلة يحترم الأفراد الآخرين، بالإضافة إلى احترام الإمكانيات الكامنة بداخل كل منهم والتي وجب تطويرها إذا أراد الفرد أن يصبح راشداً.

يبدو أن "كونفوشيوس" وضع الرشد في مرتبة الكمال، مرتبة أرقى حتى من مستوى التقدير والاحترام. لكن هذا أمر مبالغ به. الرشد هو بكل بساطة تفاعل الفرد مع مواهبه وملكاته الداخلية. الرشد هو استخدام العقل والعواطف بشكل بناء، بالإضافة

إلى رعاية الجسد عن طريق الانضباط، أو على الأقل، عبر منحه المزيد من الاهتمام والتقدير. بالتالي يمكننا اعتبار الشخص الراشد بأنه الذي لا يقترف أخطاء عامة. الراشد لا يملك مزاج سيء، لا يهتم بأمور القتال والصراع، لا يغار من أحد، لا يملك عقلية خلافية أو نزاعية، لا يدخل في مشاجرات ولا تظاهرات ولا جرائم من أي نوع، لا يسعى إلى أخذ ما لا يستحقه، وعندما يعمل ينفذ عمله بنزاهة وإخلاص. هذه الأمور هي مكونات الرشد. لا علاقة للرشد بتجميع الثروة، ولا علاقة له بالمنصب أو المرتبة الاجتماعية، وفي الحقيقة لا علاقة للرشد بمرور السنين، لأنه قابل أن يبقى قائماً لفترة طويلة من الزمن دون أن يوهن أو يتلاشى. الفرد الراشد في الأساس، والذي ارتقى فوق أخطاءه، نراه حتى في أواخر سنين حياته يتمتع باللطف والتعقل وحسن التفكير والصدق وغيرها من سمات متوافقة مع إنجازاته الداخلية.

أما بخصوص النمط الأوّلي للكائن البشري، فقد شغل هذا الموضوع جميع الفلسفات والأديان والتي حاولت أن ترى كيف يمكن توجيهه بالطريقة الأنسب والأكثر ضرورية. كان الدين يعتبر من أهم العوامل المساعدة بشكل كبير في الأزمنة القديمة. كان الدين في تلك الأزمنة القديمة قريباً جداً لمستوى غريزة الحيوان (أقصدها بطريقة إيجابية). الأديان البدائية كانت تُمارس مع نوع من الإدراك الداخلي. تلك الأديان الأولى لم تبرر نفسها عن طريق الجدال الفلسفي ولم تحافظ على استمراريتها بواسطة التنظيرات اللاهوتية المتعمقة والمعقدة. معظم الأديان الأولى كانت عبارة عن ردود فعل بشرية بسيطة تجاه المشاكل المألوفة في حينها، مثل الحاجة إلى قيم وضوابط أخلاقية معينة. كان هناك وفاء تجاه الدين، بالإضافة إلى دفاع طبيعي عن القبيلة أو العائلة، وكذلك حماية الضعيف وحسن معاملة المسنين واللطف مع الصغار. هذه كانت سمات طبيعية وبسيطة للأديان البدائية، لكن لاحقاً تم وضعها في سياق النظريات اللاهوتية والتنظيرات الدينية المعقدة. من هنا بدأ الدين يتغير ويتنامى وراحت تنظيراته اللاهوتية تتعاظم وتزداد تعقيداً إلى أن أصبح الفرد في النهاية يستبدل نزاهته الفطرية البسيطة بمعتقدات لاهوتية معقدة وصارمة، وغالباً ما تكون موجهة سياسياً. لكن الآن، الأمور تغيرت مرة أخرى، حيث لم يعد الفرد مستعداً لتقبل معتقدات لاهوتية تتناقض مع استقامته وتكامله الأخلاقي. لقد أصبح يدرك

منطقياً بأنه يمكنه أن يحب كل البشرية لأنها غير مجرّدة من الخير، بالتالي لم يعد مستعداً للإلتزام بعقيدة تحلل له إبادة نصف البشرية لأنهم كفار. لم يعد الفرد يقبل أن يكون جزء من توجه ليس له أي تقدير أو اهتمام بنموه الداخلي. بالتالي يمكن للفرد تقييم الدين ومسائلته، لكن نجاح العملية يعتمد على درجة الرشد الذي يتمتع به الفرد.

يوجد عامل مهم آخر تناوله العديد من الباحثين وهو دراسة وفهم التاريخ البشري. نحن نخطئ في اعتقادنا بأننا ارتقينا فوق المستوى المعروف للبشرية، وأننا صرنا في قمة التقدم والإنجاز. نحن في الحقيقة لسنا فئة بشرية متقدمة، بل لازلنا واقفين على تقاطع طرق، محتارين وغير واثقين في اختيار أي طريق وجب أن نسلكه. بالتالي فإنه أصلح لكل إنسان أن يكون لديه فهم عميق للقيم التي حافظت على بقاء البشرية منذ البداية. عندما نصبح مدركين جيداً للطريقة الأفضل التي عاشها العرق البشري عبر التاريخ، يمكننا حينها التوصل إلى الطريقة الأفضل التي يمكننا عيشها. يمكننا فعل ذلك عبر البحث والدراسة أو عبر التفكّر والتأمل، يمكننا دراسة الفلسفة والدين والعلوم وكافة أشكال الأعمال الفكرية. حينها نستطيع التمييز، ثم نعالج ملكاتنا المطورة جزئياً ونعمل على تطويرها بالكامل، وذلك بالاعتماد على دراسة الخير العام الذي ساد في فترات مختلفة من الماضي. ليس علينا البدء من تلك المستويات البدائية من الأخلاق وآداب السلوك، بل يمكننا استخلاصها من اختبارات أجدادنا المباشرين، أو من السير الذاتية والتواريخ المختلفة، حتى الأشعار والأساطير القديمة يمكنها المساهمة في العملية. نتوصل تدريجياً إلى موقعنا الزمني الحالي، وحينها لم يعد باستطاعتنا تقبل الوضع الراهن الذي تعود جذوره إلى تاريخ قديم جداً، إذ وجب أن نفعل شيئاً حياله. صحيح أننا توقفنا عن النمو الروحي منذ زمن يسبق التاريخ المكتوب بكثير، لكننا فعلنا هذا وذاك وحاولنا ما نستطيع وهذا الذي حصل على أي حال.

بعد الدراسة والتفكّر في تاريخنا الطويل، توصلنا في النهاية إلى قرارات معينة بداخلنا. صحيح أن بعض الأمور لا بد أن تواجه الفشل حتماً لكن يوجد أمور أخرى تلاقي النجاح الأكيد مع أنها تستغرق وقتاً طويلاً قبل إدراك النجاح. مع التوصل إلى

قرارات بخصوص مسألة الاستقامة والمكونات الأخلاقية، يمكننا بعدها النظر إلى الحياة الدينية القائمة في زمننا الحالي. كل يوم تقريباً يظهر أحداً يزعم بأنه تلقى وحي جديد بطريقة أو بأخرى. نحن نرى هذه الظاهرة لكننا لا نعرف ما نفعله حيالها. لا نملك أي وسيلة نعتمد عليها للحكم إن كان هؤلاء على حق أم لا، إن كانوا أصيلين أم مزيفين. لا يمكننا الحكم إن كان هذا الوحي المقدس الجديد هو أفضل شيء في العالم المعاصر أو أنه بدعة من بدع أحدهم. نحن نفتقد إلى أي وسيلة للحكم في الأمر. سوف يبقى الأمر كذلك إلى أن نحوز على نمط من النزاهة الأخلاقية بداخلنا. إذا افترضنا بأننا نصدق كل شيء نسمعه فهذا يجعلنا معرضين للمشاكل. لكن حتى إذا كنا نرفض كل ما نسمعه فهذا أيضاً قد يوقعنا في مشكال. لكن في الحقيقة، إذا تجرّدنا من أي قدرة على التمييز فهذا يجعلنا نواجه المشاكل دائماً. عبر مسيرته التاريخية الطويلة، افتقد الإنسان لمجموعة غرائز فطرية حتى الحيوانات لازالت محافظة عليها الآن. المشكلة مع الناس هي أنهم يفتقدون لأي إدراك فعلي للواقع الحقيقي. إذا وجد الناس في التعاليم الروحية الجديدة أي فرصة لتجنب المسؤولية، أو أنها تقدم وعوداً وهمية يستحيل تحقيقها لكنها تدغدغ المشاعر، أو أنها تحط بمستوى الشخص بحيث تجعله مهتم كلياً بجانبه الدنيوي وذلك عن طريق منح الأمان الجسدي أو الحياة المرفهة والمبهجة أو فرص للتقدم في الحياة المادية، أو غيرها، هذا يجعلنا نستنتج مباشرة بأن هذه التعاليم الروحية سوف تساهم في زيادة بؤس البشرية.

علينا أن نحوز على أخلاقيات أساسية داخل أنفسنا قبل أن نتمكن من قراءة كتاب أو حتى مشاهدة فيلم بأمان. علينا أن نمتلك مبادئ وإيمان راسخ بالقيم وإلا لا يمكننا تقييم الآخرين بشكل سليم. علينا أن نحوز بداخل أنفسنا على معايير أخلاقية محددة بحيث لا يمكن تجاوزها أو تحريفها أو إفسادها. أحد هذه المعايير التي وجب حوزتها هو تجنب أي شيء يوعد بمكافئات عظيمة مقابل مجهود بسيط. أو مسح خطاياك دون أن تباشر بتطوير ذاتك ولو قليلاً. هذه المبادئ المنحرفة بدأت تسبب الكثير من المشاكل مما جعل الأفراد الصادقين يتجنبونها. علينا أن نرغب في معرفة ذاك الذي هو حقيقي. علينا أن نرغب في المعرفة أكثر عن ما يمكنه أن يساهم في تنويرنا

ويساهم أيضاً في تطوير المجتمع. علينا أن نرغب الأشياء التي تساعدنا على النمو بحيث نصبح أشخاص راشدين. والرشد في الحقيقة لا يسعي إلى المراوغة والتملص ولا إلى الإجتناب والالتفاف. الأشخاص الراشدين لا يبحثون عن طرق مختصرة، لا يؤمنون بمكافئات لا يستحقونها. لذلك على الشخص أن يبلغ درجة معينة من الرشد قبل أن يتقدم إلى الأمام في الحياة. إذا كان الإنسان جاهلاً تماماً بخصوص موضوع القيم فعليه أن يتقبل الرشد بصفته يمثل غريزة طبيعية تحفّز على التعلّم والمعرفة. عليه أن يرغب في المعرفة. ليس عليه أن يتكئ مرتاحاً ويعتقد بأنه يعرف أكثر من أي شخص آخر. حالة الرشد تنطلق من الرغبة في التحسّن، والاستعانة بكال الوسائل الممكنة التي تساعد على معرفة كيفية التحسّن. وأفضل مصادر المعلومات تقريباً جاءت من آولئك الذين اكتسبت أعمالهم وإنجازاتهم عبر العصور الطويلة احترام وثقة وإيمان الإنسانية. الوصايا العشر مثلاً لها أهمية كبيرة، كما أنها تمثل اكتشاف عظيم. صحيح أنها تمثل نص قصير نسبياً لكن معانيها قابلة لتغطية كمية كبيرة من النصوص. يمكننا إيجاد نصوص كثيرة في الكتب المقدسة المختلفة ونجد في كل منها إقرار يمكننا الاعتماد عليه في خلق قناعة أو اتخاذ سياسة محددة في الحياة. الأمر ذاته ينطبق على باقي النصوص المقدسة المختلفة حول العالم.

الاستقامة الأخلاقية هي الشيء الذي نبحث عنه. لكننا تجاهلنا هذا الأمر والتفتنا إلى شيء أكثر إثارة، شيء مثير للمشاعر، شيء يستطيع استثارة العواطف الخاطئة. الحكمة الحقيقية تعمل على تهدئة العواطف لكنها لا تزيلها تماماً. هي تجعلها ساكنة وهادئة ومفيدة في كافة مراحل الحياة، وذلك بحيث تساهم المشاعر بكل أنواعها في عملية النمو. وكذلك أيضاً بخصوص البحث عن الاستقامة الأخلاقية، علينا الانتباه لما بدأ الناس يكتشفونه الآن، حقيقة أن التعليم كما نعرفه اليوم لا يكرس الاستقامة الأخلاقية. علينا ادراك حقيقة أن معظم التعليم الذي نتلقاه اليوم يعمل على تحضيرنا للعيش في عالم يعاني أصلاً من التشوّه والانحراف. بالتالي فإن العلم يساعدنا على التأقلم مع شيء ليس صحيحاً من الأساس، هو ليس حقيقي وليس له معنى أو غاية. لهذا السبب نضطر إلى إجراء مجموعة من التعديلات لكي نحافظ على بقاءنا في هذا العالم، لكن وجب أن لا ننسى للحظة واحدة أنها تعديلات بحيث نظن بأنها

غايات بذاتها. علينا أن ندرك دائماً بأنه علينا السعي والكفاح بكل طريقة ممكنة لنأقلم حياتنا مع تلك المبادئ الأصيلة التي هي راسخة ولها بقاء دائم وأبدي، ويكون لها فائدة دائمة وأبدية.

بالتالي وفق هذا السياق، يصبح الرشد رمزاً للقدرة على فعل الأشياء بطريقة صحيحة. الإنسان الراشد هو اجتماعي أنيس ومسالم ومساعد ومتضامن وملهم ومجتهد. الشخص الراشد لا ينخدع بالقيم الزائفة، ولا يبحث عن الشهرة، ولا يطمح أن يستقر في حياة رغيدة يتمتع بامتلاك كمية كبيرة من المال دون أن يعرف ما يفعل بها، إذ إما أن يمنحه لجهة ما أو يصرفه على إرضاء شهواته أو يخسره أو يورثه.. إلى آخره. كل هذه القيم الخاطئة وجب إزالتها. العالم أصبح يحوي سبعة أو ثمانية مليارات من البشر، هذا يقود إلى التسليم بأنه وجب على الإنسانية أن تتعايش مع بعضها. إن العيش وفق سياسة افتراس الناس لبعضها البعض لم يعد ناجعاً. لا يستطيع الإنسان أبداً أن يكون مفترساً ناجحاً. على الإنسانية أن تخدم من أجل حماية هذه القيم التي تخلت عنها تماماً اليوم. فمثلاً، من أجل ربح مبلغ عدة ملايين من الدولارات، نحن مستعدون لتدمير ذلك الذي هو ضروري لأجيال مستقبلية عديدة. نحن مستعدين للتخلي عن العقلانية والمنطق العام مقابل اكتساب مبلغ من المال. وبذلك نساهم تدريجياً في تدمير الأرض التي تحت أقدامنا. نحن نفعل ذلك بكل ارتياح دون أي تفكير بمدى العواقب، ونستمع باهتمام إلى الأشخاص الذين يشجعون على هذه الأعمال ونفترض بأنهم أشخاص طبيعيين وراشدين. إذا قال لنا شخص في الخمسين أو الستين من عمره بأنه علينا القيام بعمل معين فنمنح كلامه أهمية واعتبار. مع أنه في الحقيقة، نجد الرشد الذي نألفه اليوم هو بكل بساطة حالة أنانية قوية ومثقفة بطريقة منحرفة، بحيث ليس لديها أي اعتبار للقيمة الحقيقية. نحن ندعو الناس دائماً إلى فعل ما نحن سنفعله، لكن عندما نفعل ما نظن بأنه المفروض فعله فنصاب بالمرض. لذلك نجد أن كامل الموضوع لا يصلح.

إذاً، الرشد هو شيء لا نستطيع التفكير به أو استيعابه حالياً. علينا أن لا نظن أنفسنا حكماء بما يكفي أو أقوياء بما يكفي أو عظماء بما يكفي لنفكّر بمخرج أو نخطط لمخرج من هذه الورطة التي نحن فيها.

الطريقة الوحيدة التي يمكننا من خلالها حل هذه المشاكل المستعصية هي اكتساب المزيد والمزيد من العلاقة مع حياتنا الداخلية. في مكان ما بداخلنا يقبع مبدأ إلهي يجسّد في داخله النمط العام للقانون الكوني. كل من القانون الإلهي والقانون الطبيعي والقانون الإنساني هي موجودة أصلاً داخل الإنسان. هي هناك في جانبه الباطني. هي هناك منذ البداية إذ رافقت عملية تكوين الإنسان في البداية. إما أن يأتي معنا هذا النمط الأساسي للحياة لحظة ولادتنا أو نموت قبل الولادة. لا يمكننا أن نولد من دونه. وحقيقة أننا نستطيع التنفس ونستطيع التفكير والحركة تمثل برهان على وجود قوة بداخلنا بحيث نحوز على منفذ يوصلنا بها، وهذه القوة هي هائلة ومخلّصة. القوة التي بداخلنا هي فعلاً قوة مخلّصة، بينما القوة التي في الخارج هي مدمرة. هذه القوة الداخلية لا يمكنها العمل إلا إذا توقف الفرد عن سوء تمثيل طبيعته الحقيقية. النماذج الحقيقية للرشد وجب أن تأتي من شراكتها مع قوانين الوجود، وليس من الخرق المستمر للقانون الكوني بهدف إشباع الشهوات الجسدية عبر وسائل مادية.

إذاً، كما يعرف كل صوفي وكل تجاوزي، داخل كل إنسان يوجد كامل تشريعات الطبيعة. هي متوفرة لنا دائماً. هذه التشريعات هي أرقى من تلك التي للحيوان. أو يمكن أن نقول أن استجابة الحيوان لها تكون مختلفة عنا، حيث الحيوان يتفاعل معها غريزياً بينما نحن نتفاعل معها بديهياً. والبديهة هي غريزة لكن ارتقت إلى درجة أعلى لتلبية حاجات مخلوق أكثر تطوراً. كل منا إذاً لديه بداخله شريعة حقيقية يمكن البناء عليها. داخلنا تكمن القوانين ذاتها التي نسعى إليها خارج أنفسنا. نحن نبني مركبات فضائية للسفر في الفضاء واكتشاف الكواكب، كما أننا نقوم بإجراءات تقنية متنوعة بهدف فصم الذرات، وغيرها من إنجازات نعتبرها هائلة علمياً، لكن العلوم الأعظم في الوجود تبرز من الاعتراف الداخلي البديهي بوجود غاية إلهية. الفرد يصبح راشداً عندما يقوم الواقع الحقيقي بداخله بالخروج والتجلّى خارجه. الإنسان

الراشد هو ليس الذي يستخدم عقله ليتحول إلى طاغية، بل يصبح راشداً عندما تستلم الروح زمام الأمور في كيانه فتجعله كائن محرر. هو يصبح إنسان عظيم عندما تتجلى العظمة الإلهية عبره. سوف يبقى إنسان وضيع دون أي قيمة إذا حاول أن يكون عظيماً دون أي تنور.

كل هذه الأمور وجب أخذها بعين الاعتبار من أجل أن نحرز مرتبة البلوغ الراشد. والله يعلم كم نحن بحاجة إلى هذه الحالة الآن. لا نستطيع أن نبقى أطفال إلى الأبد. إذا كان علينا أن نكون أطفال فيوجد حقيقة مهمة تخص هذا الموضوع تحديداً. إذا أردنا أن نبقى أطفال فوجب أن نكون طفوليين أو صبيانيين، من ناحية البراءة والبساطة. وهذا سرّ تعلمه الفيلسوف "منشيوس" من والدته. أي أن الطفولية هي البساطة، هي الإيمان والثقة. وقد يبدو الأمر غريباً لكن غالباً ما هذه الثقة بالآخر تساهم في إصلاح هذا الآخر. إذا وثق بنا أحد الأطفال فسوف نحاول جاهدين أن نكون جديرين بتلك الثقة. بالتالي يمكن اعتبار الطفولية بأنها تصنع عالماً يكون الناس فيه محفزين للمحافظة على مثل وجماليات وحقائق بعضهم البعض. لكن الطفولة بالمفهوم العام هي جهل بكل بساطة.

نحن اليوم نعيش في مكان ما بين الجهل والحكمة. ونحن نتلفت بحثاً هنا وهناك محاولين أن نتوصل إلى كيفية التشريع للتخلص من هذه المشاكل. سوف نحاول أن نجد طريقة للمحافظة على الميزانية المالية العالمية، نحاول أن نجد طريقة للتخلص من التسلح النووي،.. إلى آخره. لكننا نفعل كل هذه الأمور من خلال التوجه إلى الجانب الخارجي من الفرد. نحاول أن نقول له بأنه سوف يقتل نفسه إذا لم يفعل شيئاً بخصوص التسلّح. هذا عمل صحيح لكنه لا يمثل قاعدة صالحة لعملية التصحيح. يؤكدون لنا بأنه إذا لم نتبع اجراءات معينة فسوف تنهار منظومتنا الاقتصادية. لكننا في الحقيقة نقوم بأعمال الآن سوف تؤدي حتماً إلى انهيار النظام الاقتصادي في المستقبل. ليس هناك أي طريقة لمنع الأمر مهما اتخذناه من إجراءات. كل هذه الأمور الخارجية وجب أن تُحرّك وتُدار وتصان من قبل قناعات داخلية. الإصلاح الذي نبحث عنه هو أن ندرك حقيقة أن كل كائن بشري يأتي إلى

هذا العالم يواجه خيار حاسم وأساسي بين أمرين، عليه أن يكافح للاختيار بين المصلحة الذاتية أو الخير الكوني.

كل إنسان يأتي إلى هذا العالم يكون، بمعنى ما، أناني ومهتم فقط بمصلحته الخاصة. هو يريد ما يريد، يريد أن يعيش في عالم يتم فيه تحقيق كافة رغباته وأمنياته. إنهم يأتون إلى العالم بدون أي شعور بالمسؤولية. هم يجهلون حقيقة أنه لا يمكنهم فعل أشياء معينة دون تهديد بقاءهم. الحيوانات لا تعرف هذه الحقيقة، لكن بالنسبة لها فالأمر ليس خطيراً كما حالة الإنسان، لأنه بقاءها لن يكون مهدداً أبداً طالما أنها تعيش في حالتها الطبيعية. سوف تحافظ على بقاءها لأنها لا تستطيع خرق القانون الطبيعي الذي يحكمها. ليس لديها أي محفّز يدفعها إلى خرق القانون. ليس لديها عقل يملي عليها فعل ما هو غير قانوني، أو يملي عليها كيف تهرب من المشاكل الطبيعية للوجود. لكن الإنسان استطاع تطوير هذه القدرة الإضافية التي مُنحت له أصلاً لكي يتحول إلى مخلوق حرّ يحكم نفسه بنفسه ويكرّس نفسه لغايات مفيدة لنفسه. لقد كان أمل قوى الطبيعة أن يصبح الإنسان راعي موثوق في الحديقة التي منحه اياها الرب. كان الأمل أن يصبح الإنسان أداة تحقيق الخطة الإلهية في الطبيعة، وأن يكون سيد كل الحيوانات والمخلوقات وكل العوالم المختلفة. لكن الشرط الذي يجعله سيداً دائماً هو أن يكون مطيعاً وملتزماً بالغاية الإلهية.

وجب أن نعالج هذه المسألة بطريقة أو بأخرى في هذه الفترة. أعتقد بأنه وجب تجاوز تلك الفكرة التي تقول بأنه وجب أن نجري اتخابات ونقوم بالتصويت لصالح الحلول المناسبة لهذه المسائل. كيف يمكن تقبل فكرة أن أفراد لم يبذلوا أي مجهود في حياتهم لتغيير طبيعتهم المنحرفة يجرون تصويت بهدف تغيير طبيعة الحكومات؟ ورغم ذلك، إذا جاء أحدهم وسعى إلى تحقيق هذه العملية، مجرّد أن شعر الناس بأن هذه العملية سوف تمسّ بمصالحهم الأنانية فسوف ينقلبون عليه ويبعدونه فوراً. ليس هناك أي طريقة ناجحة لإصلاح الكائن البشري من الخارج، لا يوجد طريقة لتحريره من عواقب أفعاله الخارجية. لكن كل شيء في الخارج هو محكوم من الداخل. بالتالي فإن الحكومة الكونية العظمى، أو الحكومة الإلهية، تتواصل مع العالم الخارجي من خلال

الفرد وليس عبر العالم الخارجي إلى الفرد. إنها تمثل ارتقاء لتجربته الخاصة، إنها تمثل النتيجة الحتمية للحياة وعيش الحياة، إنها تمثل النتيجة الحتمية التي تتجلى عبر اختبار وممارسة الحالات المتنوعة للوجود. يمكن للأفراد أن يجتمعوا معاً، ليس لأنهم يتخذون نفس المواقف والتوجهات، ولا لأنهم ينتمون للحكومة ذاتها، ولا لأنهم يمارسون نفس الفنون أو يدرسون نفس العلوم، بل لأنهم يتمتعون بنفس الإستقامة الأخلاقية، حيث الأخلاقيات الأساسية هي التي خلقت الحكومات وخلقت القوانين وخلقت العلوم والفنون. وأينما كانت الأخلاقيات منحرفة فسوف تُفسد الفنون والعلوم والحكومات.

بالتالي لكل ما نحتاجه وكل ما نرغبه يوجد طريقة صحيحة لنيلها والحصول عليها. يوجد طريقة سليمة لإدراك السلام، وكذلك طريقة سليمة لتحقيق الأمان في هذا العالم. يوجد طريقة سليمة لفعل أشياء كثيرة أفضل من الآن، لكن النتيجة التي نسعى إليها وجب أن تخرج من داخل أنفسنا. علينا أن نتوقف عن الغش كل يوم. علينا أن نمتنع عن كل ذلك الخداع الذي نمارسه. رغم أهمية هذا الأمر إلا أن هناك ما هو أهم ويتعلق بالعلاقات الروحية والعاطفية للناس. وجب منح المزيد من الأهمية للعلاقات الأخلاقية حيث وجب أن نُعجب بالناس لما هم عليه أخلاقياً، وليس بسبب أموالهم أو مناصبهم.

يمكننا تدريجياً إزالة مشاكل الفقر وكذلك مشاكل التفرقة الطبقية والعنصرية وغيرها من مساءل تعتبر خطيرة، لكن هذه المسيرة الإصلاحية لن تنطلق أبداً إلا إذا سمحنا للنور في داخلنا جميعاً أن يشع خارجاً. نحن جميعاً نمثل حياة واحدة. لماذا إذاً نجد أن كل شيء نفعله وجب تجزئته وتقسيمه بحيث يؤدي إلى دوران هذه الحياة الواحدة حول نفسها في حالة دائمة من التدمير والغضب؟ هذه مسألة وجب على الكائنات البشرية مواجهتها ومعالجتها. التعليم قد يساعد في المسألة جزئياً على الأقل، لكن هناك أمر آخر، علينا أن نجد طريقة معينة للوصول إلى هذه القوة الداخلية، لأن إطلاق هذه القوة الداخلية لنفسها، أو حين يتم إطلاقها، تجلب معها الرشد. إذ لن

يكون هناك رشد قبل أن يتمكن قسمنا الأفضل من السيطرة على أقسامنا الباقية. إلى أن يحصل هذا الأمر فسوف نبقى أطفال أو مراهقين إلى الأبد.

ليس هناك أي طريقة نتمكن عبرها من حل أي مشكلة إلا إذا كانت القيم لدينا أرقى منزلة من المشكلة. علينا أن نكون أفضل حالاً من المشكلة قبل أن نستطيع حلها. علينا أن نرى بشكل أوضح وإلا لا نستطيع تجاوز العقبات في الحياة. لذلك علينا أن نعمل باستمرار كأشخاص راشدين، لكن كيف نفعل هذا؟ أحد الأمور الدافعة إلى ذلك هي تنامي اليأس في أنفسنا بحيث نفقد الإيمان بقدرة الأشياء الخارجية على حل مشاكلنا. لم نعد نتأمّل بإمكانية وجود أشخاص يستطيعون معالجة المشاكل التي نعاني منها. أصبح واضحاً أن هذه المشاكل تنمو من داخلنا. الجريمة لا تنمو في المجتمع بكامله بل تنمو في أشخاص بمفردهم. الكثير من هؤلاء الأشخاص لا يميزون الجريمة، هم لا يعرفون بأنهم مجرمين. كل ما يعرفونه هو أنهم يكرهون شيئاً أو لا يؤمنون بشيء أو يحاولون الحصول على شيء بطريقة غير نزيهة. هم يؤمنون بالعنف ويؤمنون بالتملّك والتجميع دون مبدأ. وطالما استمرت هذه الحالة فسوف نستمر في معاقبتهم عن طريق حبسهم أو ضربهم أو غيرها من إجراءات عقابية لكن لا يتغير شيء في النهاية. وجب أن يحصل التغيير داخلهم كما وجب أن يحصل بداخل كل فرد منا.

الكائن المقدس في داخلنا يمثل شيء هائل وعظيم جداً، كامل جداً، ثابت جداً بحيث لا يقبل وجوده الجدال، لكن لو أننا استطعنا تقبله فحسب. لكن كيف يمكننا تقبله؟ أحد الطرق لفعل ذلك هو النظر حولنا ورؤية الأشياء كما هي، ومن ثم استنتاج حقيقة أن التغيير ممكن. لكن من أجل أن يكون التغيير ممكن، الخطوة الأولى التي وجب اتخاذها هي تصحيح أخطاءنا. إذا رأينا أحداً غير سعيد أو غير مرتاح، علينا أن نسأل أنفسنا ماذا نشعر حيال المسألة. إذا تعاملنا مع أحد لئيم أو غير نزيه، علينا أن نجتهد بأن لا نعامله بالمثل. هل نحن أقوياء بما يكفي لأن نرد على الشر بعمل الخير؟ هل نحن قادرين على فعل تلك الأشياء التي تحكمها المسامحة والعفو؟ كلما زاد تسامحنا مع المحيط فسوف يزيد تلقينا للمسامحة من المحيط. عندما نخضع

حياتنا للنظام فسوف نتمكن من إدراك النظام الإلهي في الوجود من حولنا. من أجل أن نكون أفضل مما نحن عليه وجب علينا أولاً أن ندرك حاجتنا لأن نكون أفضل.

لا نستطيع الاستمرار في العيش بإهمال وعدم مبالاة، نفعل ما نفعله دائماً ثم ننتظر النعيم ليأتينا. هذا النعيم لن يأتي أبداً بهذه الطريقة. لكن إذا نظرنا إلى كل يوم جديد ووجدنا بأنه أفضل بقليل من اليوم الذي سبق، فهذا العمل له نتيجة مجدية. هذا ما تفعله منظومة فيثاغورث للضبط الذاتي، والتي تبدو طريقة ناجعة جداً. تطلب منك هذه الطريقة بأن تجلس في نهاية اليوم وتعود بذاكرتك إلى الوراء حتى بداية ذلك اليوم. ثم ابدأ أولاً بتقييم ذلك اليوم، أي ما هو نوع هذا اليوم الذي عشته. فكر بالأمور الجيدة التي فعلتها بهذا اليوم، ثم فكر بالأمور السيئة التي فعلتها. هل استجبت لنداء إغاثة من أحدهم كان في مشكلة؟ هل سامحت أحدهم على إساءة توجه بها لك؟ هل تلفظت بكلام مسيء لأحدهم؟ هل فقدت أعصابك أمام المصاعب أو استثارة من أحدهم؟ هل تمالكت أعصابك أمام محاولة احدهم لاستثارتها؟ رويداً رويداً سوف تكتشف بأنك بدأت تسيطر على المظاهر السلبية في حياتك. هناك تساؤلات كثيرة أخرى يمكنك طرحها على نفسك في نهاية الوم، مثل، هل أنت مستاء من العمل أم مستاء من اعتراضك للعمل؟ هل سئمت من الأشياء التي تفعلها أو أنك سئمت من المواقف التي اتخذتها حيال أفعالك؟ اعمل على هذه الأمور كل يوم وفق المنظومة الفيثاغورثية وانظر في نهاية أسبوع أو أسبوعين مدى الإصلاحات التي أجريتها في سلوكك وطريقة تفكيرك. حاول أن تفكر في كل يوم على حداه، وتأمل كيف كان الأمر لو فعلت غير ما فعلته في ذلك اليوم. إذا وجدت بأنك ارتقيت قليلاً فوق مستواك المعهود فهذا أمر جيد. لكن إذا تدنى مستواك فهذا يعني أنه عليك بذل المزيد من المجهود لتطوير نفسك. حاول الكفاح من أجل إحراز حالة توازن داخلي.

أن تكون بسلام مع نفسك فهذا يعني السماح للمقدس أن يتجلى عبرك. لكن إذا كنا عقبة في طريقه، أي عندما نمنح آراءنا الخاصة أولوية قبله مما يجعل القانون الكوني يواجه صعوبة للتجلي، فهذا سيؤدي إلى مواجهتنا للمشاكل. لكن إذا بقينا

ساكنين فسوف نعرف ما هو صيح. عندما نكون ساكنين ونكون غير أنانيين وليس لدينا أي حكم مسبق ولا غرور فسوف يتجلى الصوت الداخلي ويقول لنا ما علينا فعله وكل ما نفعله سوف يكون صحيحاً. عادة ما يكون هذا المسعى صعباً قليلاً، لكنه سيكافأ بتطوّر ملفت للحياة والشخصية. علينا معرفة أنه في الوقت الذي نخضع فيه لحكومات الدول والأمم المختلفة في هذه الدنيا فإن الحكومة النهائية هي حكومة السماء. جميعنا أبناء نظام إلهي واحد. جميعنا نمثل أجزاء من عرق مترامي الأطراف يسكن الفضاء، نحن نمثل شعب واحد يسكن هذا الكوكب، وأن أكبر قسم من مهمتنا هنا هو أن نصبح جميعاً أفراد عائلة واحدة سعيدة في هذا العالم. إذا أصبح بإمكاننا أن نعيش معاً بسلام على هذه الأرض، سوف نحقق بذلك إنجازاً روحياً، وحينها فقط نستطيع أن نعتبر أنفسنا راشدين.

الرشد هو بكل تأكيد القدرة على مواجهة المشاكل دون أسى أو كرب. الرشد هو مواجهة الظروف الصعبة بلطف ومحبة وحسن تفكير. الرشد هو التغلب على كل الأحكام المسبقة، والتخلي عن كل الجدالات والنزاعات، وأن نفطن لحقيقة أنه ليس لدينا سوى بضعة سنوات هنا ومن المفروض أن نكرسها للنمو ولا نستطيع تحمل أي وقت ضائع نفعل فيه أشياء أخرى غير مهمة. علينا أن نلتزم بالعمل الذي جئنا إلى هذه الدنيا لعمله، وإذا تمكنا من فعل ذلك فسوف يكون لدينا ما نفتخر به ويصبح بإمكاننا مواجهة المستقبل بحكمة. حتى تأتي هذه الفترة علينا التسليم بأننا لازلنا أطفال صغار، غير راشدين. ويمكن أن نكون أسوأ من ذلك، إذ نكون صبية منحرفة ومهملة. لازلنا نفعل الأسياء التي وجب عدم فعلها ونحاول أن نمجدها. نحن نبني التماثيل التذكارية للأشخاص الخطأ. نحن نخلق منظومات كبرى للطموح والإنجاز الدنيوي. نحن نغار من الأشياء التي وجب الخجل منها. نحن نؤمن بقيم غير موجودة أصلاً. نحن مستعدين للمساومة على مكانتنا الجليلة في الخطة الكونية، فقط بهدف تحسين حالتنا هنا والتي لن تدوم إلا سنوات قليلة بأفضل حالاتها. الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يعرف بأن بقائه في هذا العالم هو مؤقت. الحيوانات لا تعرف هذا، وربما هذا هو السبب الذي يجعلها تعيش حياتها بشكل أفضل (من وجهة نظرها على الأقل). هي تجهل تماماً حقيقة عدم خلودها في هذا العالم. هي لا تملك مفهوماً

للزمن كما نملكه نحن. بالنسبة لها يوجد حياة ومن ثم غياب الحياة. وفي الغابة يمكن للموت أن يأخذ حياة الحيوان بلحظة. يكون للحيوان حياة طالما يستطيع هو الدفاع عنها، لكن مجرّد أن عجز عن الدفاع عنها فسوف يزول.

نحن أيضاً تستمر حياتنا طالما استطعنا حمايتها، لكننا نحوز على خيارات عديدة مختلفة لعيشها. لكن أهم ما في الأمر هو أننا مخلوقات تعرف بأن كل شيء في هذا العالم هو مؤقت وزائل. نحن نعلم دون أدنى شكّ توجهنا الحقيقي في الفضاء. نحن نعلم ماذا نفعل وكم يستغرق الوقت لفعله. وإذا أجرينا بعض التفكير سوف نعلم لماذا نحن هنا، ونعلم بأنه علينا المرور ببعض التجارب الحياتية ثم نغادر هذا العالم. بما أنه ليس لدينا أي ديمومة هنا، كل شيء نسميه الآن طموح أو شهرة هو مؤقت وزائل أيضاً. قد يكون الأمر جميل أن تكون محترماً في فترة حياتك، لكن ليس أمراً مهماً أن تكون محترماً كما يحترمون الدكتاتور الذي يجلب الموت لملايين الناس. قد نشعر بالغرور بسبب أعمالنا الناجحة، لكن هذا لا يمنحنا الرضى كما أولئك الذين يعيشون بسلام ويكونوا في خدمة الآخرين. الأنانية ليس لها أي مستقبل. إنها شيء مؤقت وزائل. كل ما نملكه الآن سوف نتركه وراءنا في النهاية. حتى لو امتلكنا أشخاص فسوف يتركوننا في النهاية. الأشياء التي نمتلكها الآن قد لا تنتظر حتى تأتي نهايتنا بل يمكن أن تتآكل وتندثر خلال فتر قصيرة من امتلاكنا لها. حتى لو امتلكنا أعمال مهنية عظيمة، فسوف نتمتع لعدة سنوات بنشوة القيادة لكن في النهاية سوف نتركها ونغيب عن هذا العالم كلياً. كل شيء نملكه الآن هو قابل للزوال، ما عدا ذلك الذي هو مصدر أنفسنا. في داخل ذلك الشيء الذي نعتبره أنفسنا، يوجد شيء ليس مؤقت وزائل، هو الحياة التي تجلت في هذا العالم، لكنها لم تنزل مع ولادتنا بل بقيت قبل ذلك بفترة طويلة جداً. هي موجودة دائماً وأبداً. هي الطاقة التي تحرّك الذرات. هي حياة واحدة أبدية غير منقسمة. خدمة هذه الحياة تمثل الشيء الوحيد المهم. نحن ندين لتلك الحياة بكل ما نحن عليه الآن. بينما هي لا تدين لنا بشيء، إلا إذا استحقيناه.

الحياة إذاً وضعتنا على مسرح وجودي بحضور مشكلة أبدية، وذلك لكي نتغلب على تلك المشكلة ومن ثم نصبح مستحقين للإرث الذي يجعلنا خدام جيدين ومخلصين للخطة الإلهية. لا يمكننا أن نكون خدام جيدين إذا كنا جاهلين. لا يمكننا أن نكون جزء من خطة إلهية عظيمة إلا إذا استطعنا أن نفهمها والتعاون معها. ليس من الضرورة أن نفهم كلياً بالمجريات الكونية وغايتها العليا، بل يمكننا فعل أفضل ما يمكننا، مثل التضحية بسعادة وتفاني إلى هدف تقدم الغايات التي تتجاوز الفهم البشري. لكن الطريقة التي ينشط وفقها الإنسان العصري، هذا المخلوق المؤقت، هذا المخلوق الذي يأتي ويذهب، المخلوق الغير دائم في العالم مما يجعل طموحه عديم المعنى، طريقته هي خاطئة بالكامل. لماذا استمر الإنسان على هذا الخطأ منذ زمن بعيد جداً، عصر بعد عصر، دون أن ينتبه للحقائق؟ أعتقد بأن الجواب هو أننا لم نتجرأ بالتفكير بالحقائق وطالما نحن هنا وجدناه أفضل أن نعيش حياتنا المادية إلى أقصى حدود المتعة. لكن هذا غير صحيح حيث نحن في الحقيقة لا نعيش حياتنا بأقصى حدود المتعة. وتلك الطريقة في الحياة والتي سيكون لها قيمة أبدية هي طريقة الحياة القيمة الآن. القسم الافضل من كياننا الآن هو القسم الذي سيخدمنا إلى الأبد. عندما نغادر هذا العالم سوف نذهب إلى أماكن لا يوجد فيها مخدرات أو مسكرات أو سجائر. لا يمكننا اعتبار مهنة تكسب أرباحها على حساب تدمير حياة وصحة الآخرين بأنها مهنة مستقبلية شريفة. لكن سوف نستمر في مواجهة هذه المشكلة إلى أن يقوم كل فرد بصياغة مجموعة قيم في حياته الداخلية ثم يلتزم بها. عندما يقاوم الفرد الإغواءات ويرفضها فسوف تزول الإغواءات من حياته. لكن طالما وجد الانحراف دائماً باتجاه الثروة والشهرة والمجد فسوف يبقى لدينا جنوح وآثام. طالما بقيت الخلاعة والتبذير تعتبر سعادة فإن السعادة الحقيقية ستبقى محبطة وغائبة.

لذلك أعتقد بأنه علينا التفكير بالرشد على أنه النمو فوق الصغائر في حياتنا، والنمو فوق الأخطاء الطفولية التي نسميها اليوم مستقبل مهني، والتوصل تدريجياً إلى حقيقة مواطنتنا الأبدية. وفي هذه المواطنة الأبدية نحن نكون في مكان ما بين هنا وهناك. نحن أكثر مما نحن عليه، وبالتالي وعلينا أن نكون فعلياً أكثر مما نحن عليه. ومن

خلال النمو في الروح وفي الحقيقة وفي المحبة وفي التفهم فسوف نحقق تدريجياً الغاية النهائية لوجودنا. سوف نحمل معنا إلى تجسدات أخرى مستقبلية الكارما الجيدة، المكافأة المستمرة على فعل الصواب. سوف نكتشف بأنه ما من شيء يسمى عقوبة سماوية. العقوبة الحقيقية هي تلك التي أقريناها بأنفسنا، وذلك من خلال خرق القوانين، وإذا توقفنا عن خرق تلك القوانين فسوف تصبح الكارما تمجيداً لأعمالنا الحسنة، ويمكن حينها أن يكون لنا حياة رائعة وعظيمة. يمكننا بين الحين والآخر مصادفة أشخاص يتمتعون بهكذا حياة الآن، وقد نشعر بالغيرة منهم، فنقول بأنه تم مكافئتهم بطريقة غير نزيهة وعادلة. لكن مهما كان حكمنا فإن الحقيقة تبقى الحقيقة: السعادة والأمان في الحياة وجب أن يستحقهما الفرد قبل أن يعيشهما. والحياة المكرّسة للمبادئ ليست كارثة أو معجزة مستحيلة. الحياة الصالحة التي تُعاش بطريقة سليمة هي مكافئة طبيعية للاستقامة الأخلاقية. يوجد اليوم أشخاص شرفاء في هذا العالم، ويمكننا أن ندرسهم أيضاً، وحينها سنكتشف كيف ولماذا يعيشون حياة أفضل. لأنهم ببساطة قاموا بإطلاق المزيد من الكوامن الداخلية لديهم. وعلينا جميعاً أن نفهم هذه العملية، ثم نستطيع بعدها إطلاق هذه الكوامن بقدر ما نستطيع. إذا نجحنا بهذه العملية فسوف نكون على الطريق الصحيح نحو الرشد.

سوف نكتشف بأن الرشد لا يمثل الحق بأن نكون مخطئين. الرشد لا يمثل امتيازاً للتبذير. الرشد لا يعني أن الفرد أصبح بالغاً بما يكفي لكي يخرق قوانين المجتمع. الرشد لا يمثل الشخص الذي يصرّ على استنزاف وقته على فعل أشياء تكون أدنى مستوى من الطفولية. الرشد ليس الحق بمشاهدة التلفزيون ثماني ساعات في اليوم. الرشد لا يمنح امتيازاً لمشاهدة العنف في أي مكان. الرشد يمثل الشخص الذي يكون مراقباً لسلوكه وتوجهاته، حيث يستطيع الحكم بأنه ليس على صواب، فيتصرف حيال ذلك فوراً دون تردد. حتى أنه قد يلغي مستقبل مهني بكامله إذا كان هذا المستقبل بنظره سيئاً وضاراً.

رويداً رويداً سوف نجري بعض التغييرات في الحياة ونقوم بأشياء صالحة. حينها يمكننا أن نكون راشدين. من نعتبره مراهقاً أو صبيانياً هو الشخص الذي يرفض أن

ينمو، لأنه لا يريد أن يتحمل أعباء الحياة الصالحة. يريد أن يفعل ما يحلو له ويتمتع بما يظنها حياة سعيدة. لكن إذا لم تتناغم متعته مع الغاية الإلهية فسوف لن يكون له حياة سعيدة. الأمر يتوقف على كل فرد أن يبذل مجهود إضافي للتصحيح في نفسه تلك الشرور التي يراها في المجتمع من حوله، والتي يعلم بأنها تهدد بقاء الحضارة البشرية. الحضارة قد تبقى وتستمر لفترة من الزمن، لكن هكذا حضارة منحرفة لا بد من أن تواجه مستقبل صعب وحتى خطير، ولا بد حينها أن نجري التصحيحات، لكننا سوف نجريها بالطريقة الصعبة. علينا القيام بهذه الأشياء بإرادتنا الحرة بدلاً من أن تُفرض علينا قسراً بعد وقوع الكارثة. لكننا مع ذلك نستطيع تغيير الحالة، وعندما نفعل الأشياء بطريقة سليمة سوف نجد أن الأمور بدأت تنتظم في مكانها تلقائياً، وسوف نكتشف بأن هذا العالم هو مكان ممتع أكثر مما نظنه. جميعنا في النهاية سوف نكبر بالسن. لكن كبر السن ليس دلالة على الرشد. الأشخاص الأكثر نشاطاً وروعة ومرونة في العالم هم أولئك الذين قد يصلون إلى عمر متقدم جداً لكنهم يستمرون في العيش والتفكير والحلم والأمل والبناء بطريقة راشدة، وعندما يأتي الوقت لمغادرتهم هذا العالم، تكون حالهم كما وصفها أحدهم: *".. هذا هو الاختبار الذي أنتظره، هذا هو الشيء الضروري الوحيد الذي تبقى لكي أتثبت بنفسي أبدية الخطة..*"، وكما قال سقراط: *".. أينما نذهب بعد هذه الحياة فإما يكون صمت تام أو إلى تلقي الإرشادات.. ومهما كان الأمر فنحن راضين به.."*. لكن علينا أن نكتسب الحق للعيش جيداً هنا ثم الموت بأمل جيد. وحتى أن نجري تلك التعديلات ونفكر بكل هذه الأمور لا يمكننا اعتبار أنفسنا بالغين راشدين. سوف نبقى مجرّد أطفال عاقة أو تائهة. أطفال مبرمجة على اتجاه محدد، لكن تفتقد للاستقامة الأخلاقية. وإلى أن يتم تصحيح هذه المسألة سوف نبقى بنفس الحالة التي نحن عليها الآن. وإذا لا نريد استمرارية هذه الحالة بحيث نرغب في التحسّن فلا بد من أن نفعل شيء حيال الأمر، علينا أن نبدأ من الآن ونوفر على أنفسنا الوقت والمجهود الإضافي الذي سيترتب علينا لاحقاً.

التعليم دون تنوير هو أمر خطير

داخل الخيمة الدائرية الكبرى لإحدى قبائل الهنود الحمر اجتمع حكماء القبيلة بدعوة من الكاهن الأعلى، وذلك بمناسبة بلوغ أحد الأولاد السن الذي يخوله لأن يتعلم حقائق الحياة. هكذا هي العادة السائدة لدى معظم قبائل الهنود والممتدة من أمريكا الشمالية حتى الأجزاء الشمالية من أمريكا الجنوبية. هكذا مناسبات ليست فلكلورية شكلية بل كانت تعتبر مهمة لأن لها معاني عميقة. هذه العادة طبعاً اختفت كلياً في الوقت الحاضر لدى الهنود الحمر المعاصرين.

داخل تلك الخيمة الدائرية الكبيرة اجتمع رجال ونساء القبيلة في حلقة دائرية وينتظرون الكاهن الأعلى (طبيب القبيلة) أن يتكلم، والولد واقف في الوسط أمام حكماء القبيلة. راح الكاهن الأعلى يشرح أسرار الحياة للفتى اليافع، قال له: لقد جُلبت إلى هنا بإرادة الروح العظيمة. من المؤكد أنك كنت هنا قي هذا العالم مرات عديدة سابقاً لكنك نسيت. لكنك عدت إلى هذا العالم لكي تتعلم المزيد. لكن كلما تعلمت المزيد كلما قلّ نسيانك. أنت حاضراً أمامنا الآن لكي تفهم الغاية الحقيقية من وجودك في هذا العالم. لقد أُرسلت إلى هذا العالم لكي تتعلم، وهذه العملية تمثل جزء من نظام شعائري عظيم. نظام شعائري يتولى عملية النمو وتكشّف الإمكانيات الباطنية للإنسان. أنت الآن صغير القبيلة، وقد خرجت مولوداً من إحدى نسائنا، لقد تمت رعايتك طوال فترة طفولتك، لقد قبلناك بيننا ومنحناك الرعاية والمحبة، والآن سوف يكون لك ولادة جديدة. سوف تولد منتقلاً من محبتنا ورعايتنا إلى استقلاليتك واحترامك لنفسك، إلى بلوغك ورشدك، إلى عالمك الخاص والذي هو سبب مجيئك أصلاً. فإليك الرواية كما توارثناها من أسلافنا.

في البداية كنت مجرّد روح تقبع في البلاد الغريبة والغامضة التي يقطنها العظماء. عشت فيها مع الخالدين والأبدين وكنت تعتبر منهم. ثم قال لك سيّد الأسرار بأنه عليك الذهاب قدماً. إنه مصيرك أن تنمو وتتكشف وأن تبلغ من مستوى الطفولة حتى تكمل باقي مراحل العمر. إنه مصيرك أن تفعل هذا الأمر، فهذا ما تقره قوانيننا وإرادتنا ووصايانا. لذلك فقد أرسلناك إلى الدنيا عبر جسد تلك المرأة الخيرة والتي سوف تولدك إلى الحياة كمولودها الأوّل. والآن عليك الاستماع إلى حكمة القبيلة وانتبه لما ستقوله.

تقول بأنه في مكان ما، ليس هنا، غرقت في النوم العميق. ربما غرقت في النوم مرات كثيرة قبلها. لكن عندما صحوت من ذلك النوم وجدت نفسك طفلاً صغيراً في عهدة والدتك الحالية. هي المسؤولة عن جلبك إلى القبيلة. هي التي تجعلك جزءاً من مجمتع عظيم يتنامى تدريجياً. هي أوّل من يساعدك على تعلم السير في طريق الحكمة. عندما تجلبك إلى هذه الدنيا، تكون بذلك قد نقلتك من رحمها إلى رحم آخر

كبير، إنها ولادة ثانية في الزمان. هذه الولادة الثانية تمثل المناسبة التي نقيمها الآن في هذه الخيمة، حيث نحن الحكماء مجتمعين وحاضرين الآن لتعليمك طريقة الأسلاف والعظماء والصادقين، وهي الطريقة التي مُنحت لنا عندما كنا في عمرك. جميعنا نمثل عائلة واحدة، أنت ولدنا جميعاً، بالتالي جميعنا أهلك وذويك، جميعنا أصدقائك، جميعنا أقربائك، ليس هناك غريب في هذه الخيمة. بالتالي عليك الإصغاء جيداً الآن، ونحن سوف نكشف لك.

يوجد هناك قانون، قانون عريق جداً، يتكلم عن وجود سلّم، وهذا السلّم مصنوع من الحياة، وعلى هذا السلّم توجد كافة أنواع الكائنات الحية. يوجد هناك طيور وأفاعي ووحوش البراري وفراشات وأسماك.. جميعها موجودة على هذا السلّم. كافة أشكال الحياة تنمو على هذا السلّم، درجة درجة، إلى أن وصلت أخيراً إلى فجر الإنسانية. وفي رحاب هذه الإنسانية حققت إرادة وحكمة الروح العظيمة. والآن سوف نجلبك إلى ولادة جديدة، وهي الولادة إلى القبيلة، الولادة إلى المجتمع البشري، وهذا يمثل مسألة مهمة ومجهود وجب أخذه في الحسبان. كما طوال تسعة شهور وأنت تتحضر

للمجيء إلى هذا العالم، أنت تتحضر الآن لمدة واحد وعشرين سنة لتتعلم كيف تعيش هنا. وبعد اتمامك سن الواحد وعشرين سنة سوف تصبح إنسان بالغ راشد. ولم نعد نهتم بك ونرعاك، لكنك سوف تنضم إلينا لترعى الصغار الآخرين الذين سيأتون بعدك. نحن عائلة واحدة، وننتمي للعائلة الإنسانية. ولا يوجد في تلك العائلة الكبرى سوى الأمهات والآباء والأخوة والأخوات والأبناء والبنات، لا يوجد غرباء في هذه العائلة الكبرى.

الآن بصفتنا معلموك الجدد، نتولى المهمة من معلميك الذين اهتموا بك عند ولادتك، سوف نخبرك عن طريقة الحياة. نخبرك ما تقوله لنا الروح العظيمة التي نثق بها دائماً وأبداً. عليك في البداية أن تحافظ على الطريق الواصل بين هذا العالم وبين القادة العظماء القابعين في السماء. عليك أن لا تفعل شيئاً يؤدي إلى إعاقة تواصلك مع مصدر الخير العظيم. عليك أن لا تخونه. عليك عدم تجاوزه. عليك عدم تجاهله. لأنه من الآن وصاعداً، وفي كل الأوقات، قوتك العظيمة تأتي من حقيقة أنك قادر دائماً على التواصل مع الحقيقة الفعلية. هذا هو الشيء الأهم الذي عليك تعلمه. الأمر الآخر الذي عليك تعلمه هو أنك لست هنا لتنمو ببساطة، بل أنك هنا لتنمو وتعيش وتساعد وتُعلّم وتساهم في نمو كل الكائنات الحية. حيث كافة المخلوقات في هذا العالم هي أخوتك وأخواتك، وعليك رعايتها بأفضل ما تستطيع.

هناك أمور لا تستطيع فعلها، وهذا نحن نعرفه. لكن يوجد أمور كثيرة تستطيع فعلها، وواجب عليك فعل بعضها على الأقل. لذلك الآن توصلت إلى نقطة لن تعد تعتبر بعدها ولاداً. لم تعد مربوط بوالدتك بواسطة الحبل السرّي. لكنك مربوط بواسطة الحبل السرّي لهذه الخيمة وكل من يقبع فيها. لأنهم يمثلون جزءاً من عائلتك، جزءاً من نفسك، وأنك لن تكون هنا أصلاً لولاهم. أنت لست فقط ابن والدتك بل ابن أمها وأم أمها وكل الآباء الذين عاشوا في السابق. حيث لا يوجد سوى عائلة واحدة فحسب، وهذه العائلة تمثل أخوية تضم كل شيء حي. عليك أن تتعلم هذا، عليك عدم نسيانها، لأنك إذا نسيتها أو عارضتها فسوف تدمر حياتك. إذا ساومت على مبادئك

فسوف تجلب الآلام ووجع القلب والبؤس وسوء الحظ للعائلة التي تحبك. لذلك عليك أن تكون صادقاً دائماً. وما هي هذه الحقائق التي عليك اتبعاها من أجل النجاح؟

أوّل حقيقة هي الشجاعة. الشجاعة التي تمكنك من أن تكون على حق دائماً. الشجاعة التي تمكنك من دعم ذلك الذي تعرف بأنه محق، بدلاً من المساومة للحصول على شيء سهل المنال. قبل نجاحك وقبل إنجازاتك وحتى قبل استمرارك في الحياة، وجب أن تتحلى بالشرف. وجب أن يكون هناك التزام. عليك أن لا تفعل شيئاً وسط ظلام البؤس بحيث يكون منافي لإرادة الروح العظيمة. إن إرادة الروح العظيمة هي العليا.

بعد أن توصلت إلى فهم وجوب عدم المساومة بين الخير والشر، لا بد من أن تسأل: ما هو الشر؟ الشرّ هو المساومة. هو محاولة الفرد أن يكون أعظم من الروح العظيمة. وعندما يرفض إطاعة الروح العظيمة يكون بذلك قد قطع الخيط بينه وبين الحياة الأبدية. إنه صحيح أيضاً وجوبك حيازة التواصل الروحي بينك وبين الحقيقة. بصفتي الكاهن الطبيب لهذه القبيلة، فأنا حارس البوابة المؤدية إلى محفل الأسرار في السماء، حيث يعيش الزعماء والعظماء في حالة تأمّل أبدية. يتفكرون في أسرار هذا العالم. لذلك عليك الآن تعلم كيفية التواصل مع أولئك الأشخاص. وهذا ما سوف أشرحه لك.

يمكنك التواصل معهم بواسطة السكون، بواسطة الصمت المطلق، بواسطة الانتظار الغامض بحيث ينتظر كل من قلبك وروحك لسماع صوت الصادقين والكبار الذين هم المعلمون العظماء. خلال جلوسك بصمت عليك أن تمارس اليقضة المرافقة مع الصلوات. عليك أن تذهب إلى البرية وتجلس تحت الشمس والقمر والنجوم، وحتى تحت غيوم العاصفة. هناك عليك غرس الأعواد الأربعة المعلق على نهاياتها الريش، ثم تصنع حيّز مربع بن الأعوالد الأربعة، ثم تركع أو تجلس في حالة تأمّل وتفكّر في الحيّز بين الأعواد الأربعة، ثم تقول: أبتي أريني الطريق. فيتبع ذلك صمت طويل، وفي الليل سوف تسمع كل أنواع الأصوات، عائدة للطيور والحيوانات المختلفة.

سوف يأتيك من الكائنات ما يخيفك وما يقلقك. ويمكن أن تصاب بالنعاس أو الغشية التي تدفعك إلى النوم. لكن عليك أن تبقى صاحياً بقدر ما تستطيع. لكنك ما زلت فتى صغير وبالتالي قد لا تكون كاملاً، لكن عليك المحاولة بقدر ما تستطيع.

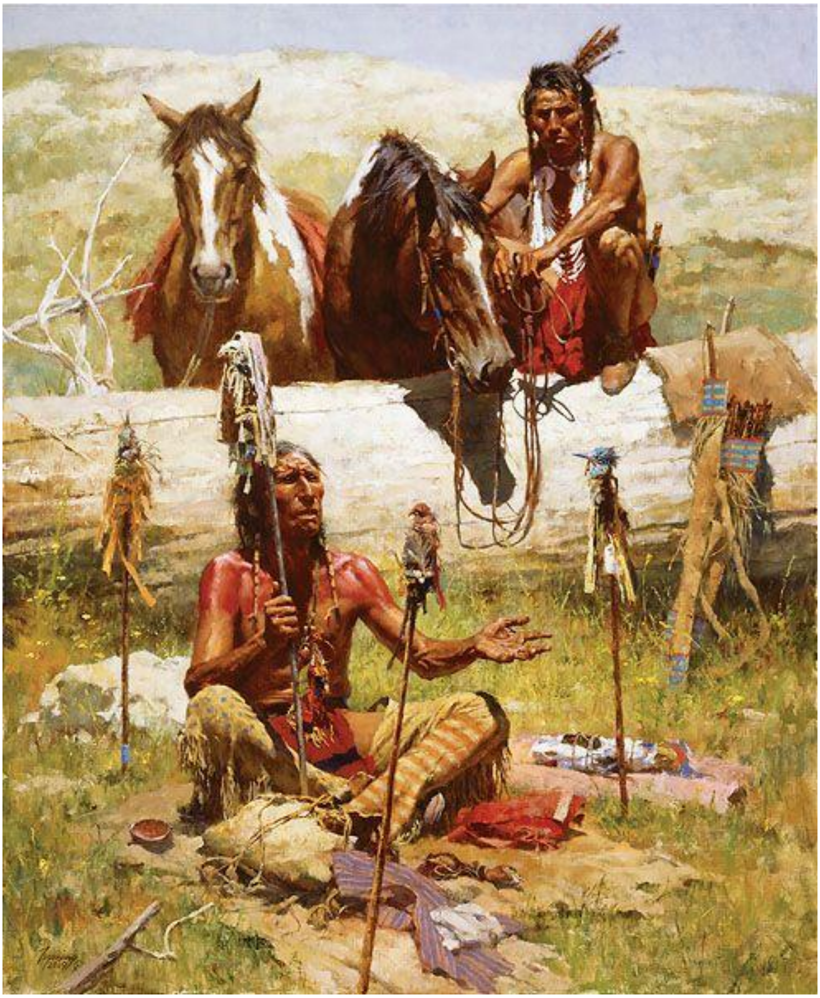

أحد الهنود يقيم خلوته بين الأعواد الأربعة

في خلال هذه الخلوة التي أقمتها، سوف يظهر لك شيء. قد يكون هذا الشيء حيوان ما، أو طير معين. هذا المخلوق سوف يأتي إليك ويقول:

".. أنا أخوك.. بالتالي أنا رفيقك.. أنا الذي سيسير معك طوال هذه الحياة.. أنا ملاكك الحارس الذي سيساعدك ويحميك.. لا أستطيع عيش حياتك ولا حتى التدخل فيها لأنني لست كائن بشري.. بالتالي أستطيع أن أكون معك كخادم أمين.. أو أخ مخلص.. لكنني سأكون معك على أي حال وطالما أنت حي.. سأساعدك وأكون معك في مشاكلك ومآسيك وقلقك وخوفك ومرضك.. مجرّد أن صليت وناديتني سوف أسمع نداءك وألبيه.."

وسط ظلام وغموض هذه الخلوة الصامتة، قد يظهر لك طير الرعد. وهو الطير المجيد العظيم بجسده البرونزي وريشه الذهبي. هذا المخلوق العظيم سوف يأتي إليك ويقف أمامك بكامل روعته. إذا حصل هذا، فيعني أنه عليك أن تصبح كاهن القبيلة. حينها سوف تكرس نفسك لخدمة المحفل العظيم في السماء. وطير الرعد سوف يكون مرافقاً لك طوال فترة حياتك. هذا الطير هو الذي سيمنحك أغنية الموت، حيث قبل أن يموت الهندي الأحمر عليه أن ينشد الأغنية التي تقول بأن الفرد قد قبل بكل ما اختبره في حياته دون سؤال أو شك بأي مرحلة منها، وأنه يقدم حياته أضحية لإرادة الروح العظيمة. لذلك قبل أن تموت، حتى لو كان هناك رصاصة في قلبك أو

سهم مغروس في جسدك، عليك أن تبقى حي لأطول فترة ممكنة لكي تتمكن من إنشاد أغنيتك. هي أغنية النصر، انتصارك بالمحافظة على حياة نظيفة وسط كل تلك الانحرافات والبؤس والمعاناة التي تملأ الوجود الدنيوي. ثم تتقدم لتعود إلى حيث كنت في السماء. ثم تعرف بعدها بأنك أكملت مهمتك بنجاح في الدنيا.

لكن في الوقت الحالي سوف تبقى هنا في الدنيا، وربما سيكون لك حياة طويلة بسنوات عديدة. الأمر التالي الذي عليك فعله الآن هو التحضير لأن تكون من بين الحكماء المستقبليين في هذه القبيلة. كل منا له طريقه الخاص في هذه الحياة ثم يعود في النهاية إلى الأسياد الذين أرسلوه إلى هنا. بالتالي في يوم من الأيام سوف تكون أنت من سيقود الناس. ليس هناك ما تفكر به أو تحلم به أو تؤمن به سوى كيفية قيادة شعبك. في كافة الظروف والأحوال والمسائل المختلفة سوف تأتيك الحكمة لمواجهتها. لكن من أجل أن تأتيك هذه الحكمة وجب أن تكون مجرّد من أي دوافع ونوايا أنانية. عليك أن تكون صادقاً تماماً، وإلا سوف تتلقى إرشادات خاطئة، لأن الإرشادات ستأتي من داخلك وليس من الروح العظيمة. لكن إذا بقيت واضحاً ونقياً فسوف تكتسب حكمة الروح العظيمة. سوف تجد أن الروح العظيمة تتكلم معك في الحالات الطارئة، فترشدك كيف تعالج المرضى، وكيف تواسي الذي يموت، وكيف تكسب المعارك في مواجهة إرهابات ومآسي الوجود الدنيوي. وسوف تصبح معلم شعبنا. سوف تدرك حقيقة أن كل من يأتي إلى الحياة، أي شخص من أي عرق من أي نوع، كل فرد هو معلّم ممكن لشعبه. كل منهم عليه قيادة الطريق بالتقليد، كل منهم عليه إثبات التزامه عبر الخدمة، كل منهم عليه تحقيق الغاية من وجوده عبر التضحية. لا مناص من هذا الأمر. والذين يحاولون التملص من هذه الحالات سوف يجدون صمت كبير وظلام كبير يتوجه نحوهم ببطء.

في الوقت الحالي يوجد الكثير لكي تتعلمه. سوف تستأمن مع حكمة شعبنا. سوف نكشف لك عن أسرار العلاج. سوف نعلمك كيف تحدد مواقع البوفالو. سوف نعلمك كيف تحدد مجيء العواصف. سوف نمنحك كل المعرفة التي نحوزها. كما سنقول لك متى سيأتي صغار جدد إلى هذا العالم، والذين سيكونوا معك وسيمثلوا أبنائك بغض

النظر عن من يكون ذويهم الحقيقيين، لأنه في هذه القبيل لا يوجد سوى عائلة واحدة. كل العائلات مربوطة ببعضها بواسطة ربطة سرية، إذ جميعهم يمثلون أولاد روح واحدة عظيمة تقبع في السماء.

بعدها سوف تتعلم طرق الحياة. سوف تتعلم ممارسة الفنون المفيدة. تتعلم كيف تساعد الناس الواقعين في مشاكل. سوف تتعلم كيف تنسى نفسك خلال خدمة الآخرين. سوف تتعلم كيف تجعل نفسك مريضاً من أجل خدمة الذين يموتون من المرض. كل هذه الأمور تمثل أجزاء مختلفة للسر العظيم. وهذا السرّ العظيم يقول بأننا هنا لغاية واحدة فقط: من أجل النمو. والطريقة الوحيدة التي يمكننا النمو عبرها هي أن ننسى أنفسنا من أجل خدمة الآخرين. ليس هناك طريقة أخرى للنمو. لا يوجد شيء يسمى النمو الأناني. لا يوجد شيء يسمى النمو وفق المصلحة الذاتية. يوجد فقط النمو عبر تضحية النفس مقابل الغايات الأبدية للحياة. جميعكم خدام للروح العظيمة، وأينما تقود الروح العظيم فسوف تلتحقون بها. مهما طلبت الروح العظيمة سوف تمنحونها. وجب أن لا يكون هناك شك أو تساؤل في حياتك. لكي تصبح معلماً لشعبك، لتصبح كاهن مخلص للأسرار العظيمة لطائر الرعد، عليك أن تدرك بأنك الآن في هذه اللحظة، كرست حياتك بحيث لم تعد ملكاً لك ولا هي تحت سيطرتك ولا تابعة لكينونتك، إذ كرستها كلياً لإرادة الكائن الأبدي. بامتلاكك إرادة الأبدي، سوف لن يعد هناك أي معاناة، لن يكون هناك أي ألم، لأن كل ما يقرر الكائن العظيم فسوف يكون جميلاً وخيراً مهما بدا ظاهرياً.

الآن عليك الانخراط في العالم وخلق ولادة جديدة. وفي سنوات المراهقة، بين الطفولة والبلوغ، سوف تكون ولداً جديداً ينمو حتى تولد مرة أخرى إلى حضرة شعبك بصفتك مواطن كفؤ في هذه القبيلة. تولد بصفتك جزءاً منا. أما الآن فلازلت تلميذاً تحت التدريب. أنت مريد جديد. أنت الذي نساعده ونرشده ونلهمه ونوجهه، لكن عندما تصبح في سن الواحد والعشرين، لن تعد طفلاً بل شخص بالغ. ومجرّد أن أصبحت بالغاً سوف تكون مسؤولاً عن مصيرك. مسؤولاً عن الحقيقة التي تعيشها. مسؤولاً عن التقليد الذي تحوزه وتحفظه. أنت مسؤول ليس عن مستقبلك فحسب بل عن مستقبل

كل من تكون على اتصال معه. وعندما يحين الأوان سوف يتم إنتسابك إلى مجتمع القبيلة لكي تعكس وتجسّد كل الأمور الجيدة التي يتسم بها أفراد القبيلة.

لكن بصفتك أصبحت عضواً من القبيلة سوف تواجه مشكلة أخرى. لقد أتيت إلى الحياة عبر امرأة، فمنحتك هذا الجسد. لقد جاء دورك الآن لتصبح والد. من أجل أن تكون صادقاً مع الروح العظيمة وجب أن يكون لك أبن أو ابنة، فيستلمون زمام الأمور من بعدك. لأنه كما أنت مدين بولادتك لوالديك فعليك بالتالي دفع الدين من خلال ولادة جديد إلى الحياة، ثم تلقن هذا الجديد، ولد أو بنت، كل ما تعلمته وعرفته في هذه الحياة. كل الحكمة التي اكتسبتها. عليك أن لا تهمل أولادك مقابل ملاحقة رغباتك وشهواتك وتحقيق طموحاتك في الحياة. في اللحظة التي تصبح فيها والداً فسوف تتولى المهمات تجاه مولودك كما تولت الروح العظيمة مهماتها تجاهك. كما الروح العظيمة ترشدك في كل الأمور، هذا ما وجب على الوالد فعله تجاه أولاده.

كل هذه الأمور تجري من جيل إلى جيل. ليس هناك طريقة أخرى سوى هذه الطريقة. عندما يحين الوقت ويولد الطفل الجديد، ثم ينمو ويبلغ، فسوف تتكرر العملية من جديد. عليه أيضاً الخروج إلى العراء والجلوس بصمت في خلوته ومن ثم يتلقى رسامته المرتقبة. كل من يأتي إلى الحياة عليه أن يتلقى رسامة، عليه أن يلتزم بشيء. جميعنا قد نقول في هذه الأيام العصرية بأن هذه الأمور لم تعد عملية. صحيح أنها قد لا تكون عملية ظاهرياً لكن لها أثر كبير داخلياً. يوجد قانون خارجي يتعلق بالأمور المادية، بينما في نفس الوقت يوجد قانون داخلي لا يرضى ويكتفي سوى بعد تطهير الروح وتحرير النفحة الإلهية. بالتالي يوجد نوعين من القانونين، قوانين العالم المادي والتي وجب أن ترتقى فوقها عند بلوغك سن الواحد والعشرين، ولدينا أيضاً قوانين داخلية تتعلق بعالم الروح والنفحة الإلهية التي وجب التعامل معها كلياً بعد سن الواحد والعشرين. الأخطاء التي اقترفتها في طفولتك سوف تُسامح عليها، بينما الأخطاء التي اقترفتها بعد بلوغك سن المعرفة والفهم فسوف لن تُسامح عليها. وعليك أيضاً حماية الجسد الذي تملكه. عليك أن لا تلوثه أو تنجسه أو تسيء استخدامه، لأنه يمثل الأداة التي تعتمد عليها لتتمكن من المساعدة والخدمة والعطاء

والتنوّر. بالتالي هذا الجسد يمثل شيء ثمين. إذا شوهته أو دمرته بأي طريقة من الطرق فسوف يحصل ألم عظيم. ليس هناك أي طريقة لتجنب الألم إذا خرقت القوانين. الطريقة الوحيدة لتجنب الألم هي الالتزام بالقوانين. لكن إذا التزمت بالقوانين لكن مع ذلك اختبرت الألم، فسيكون هذا ألم الفهم وألم تحرير الكوامن الداخلية، فهذا الألم هو ضروري لتجلّي طبيعتك الحقيقية.

ها هو الولد الهندي الواقف وسط المجموعة في الخيمة، يتلقى البركة من حكماء القبيلة، يتلقى مراسيم العضوية في قبيلته، يتلقى شعيرة رسامته. كل طفل يولد في هذا العالم يمثل تلقائياً كاهن معيّن في محفل أسرار الحياة. وإذا لم يقرر ملاحقة الشؤون الدنيوية مضحياً بذلك بمصيره الطبيعي، سوف يستمر مكرساً حياته لخدمة الحياة ومنح كل شيء للحياة، ويمنح ما يمنحه ليس باسمه بل باسم الروح الكامنة بداخله، حينها سيكون مستحقاً لحيازة مكان له في مجلس العظماء في السماء. الهندي الأحمر لم يملك أي كتب ليقرأها ولم يوجد لديه أي سجلات مكتوبة ليطلع عليها، بل فقط احتفظ بالقصص التي توارثها عبر العصور من الحكماء القدامى. هذه الحكايا تحدثت عن ذلك المحفل العظيم في السماء، تحدثت عن الإنتصار الحتمي للحق على كل شيء آخر، بغض النظر إن كان ذلك الانتصار واضحاً أم لا. هناك في المحفل السماوي يكمن العدل الكامل، لكنه عدل مترافق مع الرحمة. لا يوجد هناك أي لعنة إلهية من أي نوع، ولا يوجد هرطقة أو إلحاد، لا يوجد سوى عناية أبدية وإصرار عظيم على دعم وتعزيز سعي كل الكائنات نحو إحراز الكمال.

بعد انتهاء شعائر هذا الاجتماع في الخيمة، يخرج الفتى الهندي إلى العالم وهو مكرّس كلياً لتحقيق مصير قبيلته. هكذا كان الهنود يفهمون العالم في تلك الأيام. هذه ليست فقط قصة تلك القبيلة الهندية تحديداً. كافة القبائل الهندية المنتشرة في القارتين الأمريكيتين تتشابه جوهرياً من حيث التعاليم والمعتقدات، بالرغم من اختلافاتها الشكلية والمظهرية المتنوعة. لكن إذا نظرنا جيداً إلى جوهر هذه التعاليم فسوف نجد أنها تتشابه أيضاً مع كافة التعاليم حول العالم. الأديان التي تعلمنا بطريقة غامضة بأنه يوجد غاية لوجودنا، حيث ما من شيء نسميه صدفة. أحياناً نجد الكثير من

الأمور الحاصلة لدى الكائنات المختلفة في العالم والتي تجعلها تبدو كأنها حوادث عشوائية وغير عادلة، لكن كل هذا هو وهم كبير. إذ خلف كل شيء يحدث في هذا العالم يوجد سبب، يوجد إرادة عليا، إرادة الروح العظيمة. وإرادة الروح العظيمة تهدف لشيء واحد وهو تعليمنا الدروس التي نستحق تعلمها. والذين تعلموا الدروس عليهم العيش وتعليم الآخرين.

بعد الاطلاع على هذه العادة القديمة لدى الهنود الحمر، سوف نلقي نظرة الآن على طريقة الحياة العصرية ونتسائل، ما هي التزاماتنا؟ وكيف نقوم بصياغتها؟ ما هي قناعاتنا وآراءنا الخاصة بخصوص هذه المواضيع؟ هل ننظر إلى كل طفل يأتي إلى هذا العالم على أنه مواطن في الأبدية؟ هل ننظر إلى كل البشرية على أنهم مجرّد أخوة وأخوات؟ هل نسلّم بحقيقة أن لدينا مسؤولية مشتركة تجاه كل كائن حيّ؟ إلى أن يسلم هذا العالم بأن الإنسانية تمثل عائلة واحدة فسوف لن يكون هناك نهاية للألم. هذا ما أدركه القدماء قبل وجود الكتب بزمن بعيد، لكن تم نسيان هذه الحقيقة منذ ظهور المؤسسات الكبرى التي توكلت نشر المعرفة. لم يكن هناك أي إدراك للغاية الفعلية وراء كل ما يحصل في العالم. تلك الغاية التي تهدف إلى دفعنا تدريجياً إلى أن نصبح عرق من الأبطال العظماء، عرق من الأرواح العظيمة التي تستطيع السير قدماً حاملة معها حكمة العصور إلى ما وراء النجوم، ماوراء الكواكب، لكن ليس بواسطة السفن والمركبات الميكانيكية المصنوعة من المعدن، بل بواسطة قوة روح الحياة ذاتها. الأرواح التي جائت عبر الولادة، هذه الأرواح التي جاءت إلى هنا لتتعلم وسوف تتقدم مع الزمن لتصبح مستقبلاً معلمة لكل شيء حيّ. كل روح تأتي ومقدر لها أن تختبر دروس محددة، وكذلك تقديم أعطية من ذاتها.

لقد دخلنا الآن في بدايات القرن الجديد، مع أمل بأننا سوف نحصل على ما هو أفضل من القرن الماضي. لكن مع نهاية كل عام في المسيرة الزمنية، علينا أن لا نحتفل بانتهاءه وقدوم عام جديد عبر الحفلات الصاخبة وتناول الحلويات وغيرها، بل عبر تكريس أنفسنا، عبر إدراك الغاية الحقيقية من وجودنا. ربما علينا التفكير قليلاً بالكاهن الهندي المذكور سابقاً، والذي لم يكن يعرف القراءة والكتابة، والذي لم يتكلم

مع أحد خارج دائرة أفراد قبيلته، لكنه رغم ذلك صار يمثل قوة هائلة، هذه هي قوة الإلتزام والتكريس، قوة منح الأولاد الصغار المفتاح المؤدي إلى سبب وجودهم. وإلا أن نمنح أطفالنا الصغار المفاتيح المؤدية إلى سبب وجودهم سوف نبقى نعاني من الجنح وإهمال الواجبات والانحراف. لكن مجرد أن أطلعناهم على سبب وجودهم، مجرد أن أقنعناهم بوجود رسالة عظيمة في الحياة، وأننا ولدنا جميعاً لكي نتعلم ونعلّم، لكان الأمر اختلف كلياً. هذه هي دروس الحياة. هذا هو السبب الذي يجعل التعليم لا يمثل شيئاً إذا لم يترافق مع الالتزام والتكريس، إذا لم يترافق مع اختبار داخلي هائل. وجب وجود حركة داخلية تجاه الواقع الخارجي.

إذا نظرنا إلى الفتيات والفتيان الناشئين اليوم، والذين لا ينتمون إلى خيمة هندية تقبع على حافة تلة قديمة، نجد أن معظمهم لا يحترم التعليم لأنه في الحقيقة لا يعلمهم شيئاً. إنهم لا يحترمون التعليم لأنهم لا يحصلون على تعليم أصلاً. إنهم لا يجدون أي سبب ليكونوا أفضل، وذلك لأنهم لا يجدون أحداً أفضل. كل هذا التعامل الكبير مع الكتب والقراءة لا يجدي نفعاً. الاستاذ يعطي درساً من فصل محدد في أحد الكتب، وعلى التلميذ أن يحفظ الدرس عن ظهر قلب فيسترجعه إلى ذاكرته في الإمتحان فيحصل على علامة جيدة. بهذه الطريقة لن يتعلم التلميذ شيئاً. والأستاذ لا يستطيع فعل شيء لتحسين هذه الطريقة، لأنه إذا حاول تحسين طريقة التعليم من عنده فسوف يتعرض لسخط الأهالي الذين سيتهجمون عليه بدعوى أنه يتدخل في الطريقة النظامية لتنشئة أولادهم وهي الطريقة التي يريدونها. لذلك ليس لدينا الكثير لنكسبه في هذا المجال. لكن في مكان ما، علينا أن نذهب إلى الوراء بما يكفي حتى نصل المستقبل. علينا العودة إلى الوراء حتى نصل النقطة التي انفصلت فيها الخيوط، حيث فقدنا أكثر مما كسبناه. كل طفل يأتي إلى هذا العالم عليه أن يدرك بأن له فرصة كبيرة لكي يساعد نفسه، وكل المخلوقات الحية الأخرى، على النمو. وأنه عليهم أن يحافظوا على طهارة أجسادهم لأنهم قد يمثلون البوابات المناسبة للأجيال الجديدة التي لم تولد بعد. وأنه عليهم أن يحافظوا على سلامة عقولهم، لأن العقول السليمة لا تتورط في الجرائم أو أي أعمال وضيعة. عليهم أن يدركوا حقيقة

أن كل شخص يأتي إلى هذا العالم يأتي مع واجب لأن يكون مواطن صالح في الإنسانية. لتقديم مساعدة مناسبة لكل من يحتاجها.

إذا تم تنشيط النظام التعليمي بشكل سليم، إذا وضعت لنا فعلاً غايات ومفاهيم صحيحة، فسوف نكتشف بأن التعليم أصبح أمراً مفيداً وضرورياً. لا أقصد من كلمة مفيداً ذلك المعنى الذي يألفه العالم الأكاديمي الآن حيث غالباً ما يُقصد به المفيد مادياً. الإنسان المفيد حقاً هو من يحب أخيه الإنسان بشكل جوهري، هو من يرغب في أن يكون مساعداً، يرغب في أن يكون مفيداً، يرغب في أن يساعد على خلق عالم أفضل، يرغب في مواجهة قوى الفساد. الشاب الجيد الذي يكبر هو الذي يكبر بهدف أن يكون خادم لشعبه. كما يفعل الفتى الهندي الذي يكبر بهدف أن يصبح خادم لشعبه. قد يكون عدد سكان قبيلة الفتى الهندي عشرين أو ثلاثين نسمة، وعليه مساعدتهم ورعايتهم. البعض من الذين يكبرون الآن في مكان ما في العالم قد يبلغ عدد شعبهم مليون نسمة وكلهم بحاجة إلى شيء وجب منحهم اياه. الصغار هم حاملين الرسالة العظيمة. هم حاملين التقدم العظيم. لكن إذا ربيناهم لكي يصبحوا مثلنا، فبذلك نعمل على تدمير السبب وراء التطور والارتقاء. علينا أن ندرب الصغار بحيث يعرفوا أكثر منا. ندربهم على التحلي بشجاعة أكثر منا. ندربهم لكي يتمتعوا بالالتزام والتكريس أكثر مما عرفناه نحن. كل هذا لأنهم يرون المستقبل بدرجة أعمق منا. كيف يتمكنون من الرؤية بعمق في المستقبل؟ لأنهم يرونها على الطريقة الهندية المذكورة سابقاً. لأنها الطريقة الأقرب للطبيعة وصغارنا يأتون إلى هذا العالم وهم أقرب إلى الطبيعة. لا نستطيع إنقاذ هذا العالم إلا إذا توصل الصغار إلى معرفة موهبتهم الرائعة لديهم والخير العظيم الذي يمكنهم فعله. وعليهم أن يتعرفوا على هذه الحقيقة خلال تعليمهم في المدارس. ليس على الطفل الصغير المنخرط في المدرسة أن يتعلم كيف ينال وظيفة فحسب. معظم الوظائف التي ينالها في الحياة هي مؤقتة وغير مجدية بالنسبة لنموه الداخلي.

هذا العالم محكوم بقوانين. هذه القوانين ليست مكتوبة، لكنها مبطنة في قلب كل كائن حي. حتى في جوهر كل دين في العالم وعبر التاريخ، نجد التسليم بحقيقة أننا جئنا

إلى العالم لكي نكون مفيدين. نحن هنا لكي نساعد الخطة الكبرى على إنجاز نفسها. نحن هنا لكي نصبح ورثة شرعيين للأرواح العظيمة التي سبقتنا. على كل فرد في هذه الحياة أن يعمل لخير ما، للمساعدة على تحسين الأمور. وكل ما يجري الآن من معمعة حول من لديه مال أكثر ومن سيتمكن من صنع أكبر آلة ميكانيكية أو من سيتمكن من السفر أسرع.. إلى آخره، كل هذه الأشياء ليس لها أي قيمة. لا يوجد شيء في هذا العالم المادي يكون في حالة رضى عن نفسه. لا شيء يحصل في هذا العالم ويكون حصوله ذو أهمية. الأمر الوحيد الذي له أهمية بخصوص الأشياء التي تحصل هنا هو قيام الشخص المتعقل بالتوصل إلى شيء عميق يحصل داخل نفسه. لا أهمية لهذا العالم إن كان ناجحاً أم لا، بل الأهمية في قدرة الفرد أن يكتشف الحقيقة بخصوص هذا العالم، يعرف ما هو، ولماذا هو هكذا، وهذا يعتبر حجر عبور في الدرب إلى الأبدية. ليس هناك شيء دائم هنا في هذا العالم. ليس هناك شيء ثابت سوى التغيير ذاته. ليس هناك ما نتأمله من هذا العالم سوى إحداث حالة تأقلم سلمي مع الواقع، وتكريس كل ما لدينا من قوة وحيلة لكي نجعل هذا العالم أفضل. هكذا كانت طريقة الهنود الحمر، وكذلك معظم الشعوب القديمة التي عاشت على هذه الأرض في الأزمنة الغابرة. يبدو أن هذه الثقافة العريقة جداً كانت سائدة في كافة أرجاء الأرض. ليس لدينا أي إرثة أفضل من ذلك الذي انحدر إلينا من أسلافنا القدماء. لكنه للأسف الشديد يندثر ويتلاشى أمام زحف الطريقة العصرية التي اجتاحت العالم منذ قرنين أو ثلاثة. والضربة القاضية كانت على يد العلمانية المادية التي سيطرت على عقول الناس منذ قرن تقريباً. حتى الهندي الأحمر اليوم بدأ ينسى تدريجياً بأنه هندي أحمر. وهذا أمر محزن فعلاً. ليس هناك نجاح سوى من خلال الاحتفاض بقوانين الروح العظيمة، الله [تعالى]. وهذه القوانين هي أسس سعادتنا ككائنات بشرية. هي أسس نجاح عائلاتنا. هي أسس تجلّي كل ما نرغبه ونتمناه.

من إحداث تغيير، يمكننا البدء من مكان ما. وطبعاً لا نستطيع البدء من بداية حياتنا لأننا عشناه واختبرناه. لكن هناك ما نستطيع دائماً فعله، وهو بإمكاننا أن نلتقط كل يوم موضوع ما يكون بحاجة لهذه البصيرة الداخلية. يمكننا تصور شيء كيف سيكون

أفضل إذا اجتهدنا لكي نجعله أفضل. يمكننا تصوّر شيء ما وكيف سيكون مفيداً إذا كنا أقل أنانية. يمكننا تصور شيء كيف سيدوم لفترة أطول إذا لم نؤذيه أو ندمره بدافع من مصلحتنا الذاتية الضيقة. لذلك، كل فرد من موقعه الخاص يستطيع البدء الآن بحجز مكانه في الخطة الكبرى للأشياء. يبدأ بحلم ذلك الحلم المجيد عن أخوية الإنسانية جمعاء. هذا هو الموضوع الذي شدد عليه القدماء لأنه بنظرهم لا يوجد شيء أكثر أهمية بالنسبة للإنسان الذي يكتشف حقيقة أنه أخ أو أخت لكل شيء حي. وأنه ما من شيء يسمى وحدة معزولة، لا يوجد شيء يسمى انفراد وعزلة، لا يوجد شيء يسمى خيبة وإحباط، لا يوجد شيء يسمى فشل، حيث كل شيء هو نجاح. كل ما علينا فعله هو إدراك حقيقة أننا نمثل عائلة واحدة، صداقة واحدة، ولنا مصير واحد، وتكريس واحد. كل هذه المواضيع لها أهمية بالغة لو أدخلناها إلى مجال اهتماماتنا المستقبلية. علينا أن ندرك أيضاً حقيقة أننا سنواجه كل أنواع التغييرات التعليمية، بسبب فشل هذا النظام أصلاً، وهذا سيكون له أثر بالغ علينا عند حدوثه. لكن رغم ذلك فإنه لن يمثل حالة طارئة رهيبة. ليس هناك أي سبب لنقلق نتيجة انهيار نظامنا التعليمي، إذ لم يكن جيداً أصلاً. لقد كان فاشلاً منذ البداية. لأن هذا النظام التعليمي لم يتذكر، أو لم يعرف، إرادة الروح العظيمة. وإذا كان يعرف فقد نسي الأمر. لكن المعتقدات القديمة كانت تعرف. لكن تلك المعتقدات قد تعرضت للنسيان منذ زمن بعيد. المنهج التعليمي كما هو الآن لا يستحق البقاء. لا يوجد فيه أي قيمة دائمة. فقط يساعدنا عبر تعليمنا كيف نجمع المال قبل أن نموت ونتركه وراءنا. ليس هناك شيء هنا له قيمة حقيقية. ما عدا ذلك الشيء الكامن داخلنا، وهو الروح، النفحة الإلهية.

نحن نغادر هذا العالم تاركين ورائنا كل شيء نمنحه قيمة. نذهب من هذا العالم حائزين فقط على درجة الانكشاف التي أحرزناها بخصوص مصيرنا الباطني. الفرد الذي يعيش هذه الحياة ويتعلم كيف يرتقي فوق هذه الحياة يكون حكيماً. الفرد الذي يعيش هذه الحياة والذي يتعلم عبر الخبرة بأن الكره يدمر نفسه، وأن الأنانية تنتهي غارقة بالفوضى، وأن الحرب ينتهي بالاضطراب والإرباك، كل هذه الأشياء السابقة هي أخطاء الظروف الحالية لعالمنا. عالمنا صار صرح كبير للأخطاء فوق

الأخطاء. أخطاء على كافة المستويات وفي كافة المجالات، في السياسة والصناعة والعلوم... كل شيء هو خاطئ. لماذا؟ بسبب انعدام الالتزام والتكريس.

لا شيء يمكنه النجاح إذا لم يكون مكرّساً لخير كل شيء حيّ. اللحظة التي تدخل فيها الأنانية تلحقها الكارثة دائماً. إذا كان هناك روح شريرة في أي مكان في العالم فهي ذاتها الأنانية. الأنانية هي التي تدفعنا إلى خيانة الغاية من مصيرنا. منذ السنوات الأولى للميلاد، عشنا ألفي عام من الخيانات. لقد شهدت هذه الفترة مواجهة شرسة ضد أي شيء جميل وخيّر وصادق، حتى دُمرت تماماً، تم المساومة عليها في سبيل الربح المادي. من كل هذه الأرباح ماذا بقي لدينا؟ كل ما يمكن أن نأمله هو شاهد كبير فوق المدفن في المقبرة. نحن نرحل تاركين وراءنا كل ما نملكه، وليس هذا فحسب، بل سوف يجعل أولادنا منحرفين وخاطئين. ليس لدينا الكثير في الحقيقة، مهما بلغت أموالنا وكثرت ممتلكاتنا. هذا الوجود الدنيوي بكامله هو نوع من حلم غريب، أو كابوس. نحن نعيش هذا الكابوس الآن. نعيشه كل يوم. كل يوم نقرأ في الجريدة أو نشاهد الأخبار على التلفاز نرى كوابيس تلو كوابيس. المزيد والمزيد من الاضطراب. المزيد والمزيد من البؤس. هذا كل ما يلفت انتباهنا. ومع زعمنا بأننا أذكياء، وزعمنا بأننا متعلمون، وزعمنا بحوزتنا على بصيرة وتفهّم، نبقى مع ذلك مصدومين مرعوبين وسط أخطائنا. يبدو أنه ما من حل لهذه الحالة المزرية. لكن في الحقيقة يوجد حلّ، وهو التوقف عن ارتكاب نفس الأخطاء. ما من طريقة أخرى.

ليس هناك أي طريقة لتجنب الكارثة المحتمة. لا بد أن تحصل في النهاية. وهذا سوف يعيدنا في النهاية إلى ما عرفه الكاهن الهندي، وهو أن كل شيء يلاقي النجاح، فهذا النجاح هو بمباركة من الروح العظيمة. وكل من تكون هذه المباركة محجوبة عنه سوف لن ينجح أبداً. هذه الروح العظيمة التي تحدث عنها الهنود الحمر هي تجسيد لقوانين الكون، قوانين المدير الأعظم الذي يحكم كل شيء. إذا حافظنا على هذه القوانين فسوف نعيش. لكن إذا خرقناها فسوف نموت. لكن الموت ليس أمراً خطيراً كما نظنه. الموت يمثل حزن رهيب فقط بالنسبة لأولئك الذين لديهم الكثير في هذا العالم ليفكرون به عندما يغادرون. إذا كان على الفرد ترك وراءه ثروة

فإن مغادرته هذا العالم ستكون مؤلمة. لكن لو عرف منذ البداية بأنها ليست له أصلاً فسوف يغادر هذا العالم بسلام، لينتقل إلى ما هو أفضل. من الأفضل أن نتذكر، كما فعل الهندي الأحمر، أن البؤس الذي نسميه اليوم نجاح سوف يزول من مجال تفكيرنا عندما نموت، لكن ما ينتظرنا هو أفضل بكثير.

بدلاً من النجاح المخلوط مع الألم والتعاسة والخوف، يمكننا أن نحرز نجاح من نوع آخر، وذلك من خلال عيش طريقة الحياة المقدرة لنا أصلاً. يمكننا العيش بسلام ومن ثم مغادرة العالم بسلام ولم يعد وجود لرهبة التحوّل. لقد رحل القدماء الذين اهتموا بهذه الأمور، لكنهم خلفوا وراءهم أسطورة غريبة مثيرة للاهتمام. الأسطورة تقول بأن الحب يكسب كل المعارك.. وأنه في النهاية لا يمكن أن يكون هناك كره من دون دمار.. لا يمكن أن يكون هناك أنانية من دون ألم. وكل طموح إذا صار قوياً فسوف يدمر سلام وأمان الآخرين.

عندما نعود إلى موضوع مشاكلنا الحالية في هذا العالم، نظرح السؤال: ماذا علينا فعله بخصوصها؟ لدينا مسألة التعليم تطرأ دائماً على المسرح. نحن نعلم حتماً بأننا على الطريق الخطأ. نحن على طريق الافتراض بأن التعليم هو تنافسي بطبيعته. نحن نفترض وجود ثلاثة مستويات من الذكاء: المستوى الأدنى يمثل التعليم من أجل تخريج الصناع والحرفيين والتجار. المستوى المتوسط يخرّج المدراء وقادة المجالات الذين قُدر لهم أن يعيشوا برخاء وهناء نسبي. المستوى العلوي الذي يمثل مجموعة قليلة لكنها نافذة جداً، هي التي قُدر لها أن تحكم العالم وتتحكم بكل ما يحصل فيه من مجريات وإجراءات. لكن في الحقيقة، كل هذا عديم الأهمية. رغم واقعيته إلا أنه لا يستحق البحث فيه. الحقيقة العظمى تكمن في الاستقامة الأخلاقية التي تنمو في داخلنا. الرجل الفقير الذي هو صادق وأمين سوف يرتقى في سلم التطور الروحي أكثر من الرجل الثري لكنه غير صادق وأمين.

أولئك الذين عاشوا بأفضل ما عرفوه لديهم شيء يمكنهم الاستناد عليه. شيء لا يجلب الألم. شيء لا يجلب الأحلام الغاضبة في نهاية الحياة. جميعنا علينا الاهتمام

بمسألة الاستقامة الأخلاقية. لكن السؤال هو: كيف يمكننا الاهتمام بهذه الاستقامة الأخلاقية؟ نحن لا نعلم بهذه الأخلاقيات جيداً. لكن الأمر ليس صعباً إذا نويت وحاولت النظر بجدية في المسألة. هذه الأخلاقيات هي ممثلة للروح، ونموها لدى الفرد يمثل انتصار قوة الروح على الإجراءات الذهنية العادية. أما بخصوص نظامنا التعليمي، كيف يمكننا توظيف قوة الروح هذه؟ هل نستغني عن القراءة والكتابة؟ لا طبعا، لكننا سوف نقتصر استخدام القراء والكتابة لتساعدنا على النمو. هل علينا الاستغناء عن أحلامنا ومثلنا وآمالنا؟ لا طبعاً، لكن علينا أن ندعم فقط ما هو صائب وسليم لكي ينتصر ويسود. هل علينا أن نعيش ونموت في حالة فقر وعوز؟ لا طبعاً، لكن علينا أن نعيش ونموت ونحن في حالة تناغم وانسجام مع ضميرنا. وإذا قرر ضميرنا بأن ما نملكه لم نكسبه بطريقة شريفة وصادقة، فعلينا أن نتخلى عنه. كل هذه الأمور وجب معالجتها مع اقتراب الفرد من سن البلوغ. نحن نعتقد الآن، كما اعتقد قبلنا المصريون القدامى ومعظم الحضارات القديمة، بأنه يوجد سن محدد وهو سن الواحد والعشرين. هو يمثل سن البلوغ الجسدي للكائن البشري. قالوا في الماضي بأن الفرد في هذا السن قد خرج من رحم الطفولة ورعاية العائلة إلى مساحة أوسع يتمتع فيها بالفطنة وحسن التقدير والتمييز وحرية التصرف.

إذاً، في سن الواحد والعشرين تحصل ولادة جديدة لكل إنسان، بحيث ينتقل من حماية ورعاية عائلته إلى السعي للبلوغ الكامل لمصيره الخاص. وجب أن يكون هناك نوع من الوصف الدقيق لمعنى هذه الحالة الانتقالية. هو أن الفرد، بعد بلوغه هذا السن (٢١ سنة) لن يعد يعتمد على أحد، لكن عليه السماح للضعيف أن يعتمد عليه. الرشد هو عيش الحياة بكل ما في الفرد من استقامة أخلاقية. يعيش الحياة بمسؤولياتها الصالحة. على الفرد الذي تلقى رعاية مناسبة من والديه أن يمنح رعاية مناسبة لأولاده. المسؤوليات تأتي أولاً، بينما المتعة واالهو تأتي بعد المسؤوليات. على كل فرد أن يدفع نفس الفاتورة التي دُفعت لرعايته حتى صار بالغاً. التضحية التي قدمها الآخرون من أجله، عليه أن يكون مستعداً لتعويضها بتقديم تضحية لغيره. ليس ممكناً الاستمرار في الحياة، مع استدامة جيل أناني ويلحق به جيل أناني آخر.. وهكذا. هذه الأجيال الأنانية سوف تموت، جيل بعد جيل، كنتيجة حتمية لأنانيتها.

وإذا لم يبقى من يتوارث الحياة بعدهم، فسوف تموت الأمم وتموت الأعراق وحتى الكواكب قد تموت. لأنه من أجل أن يعيش كل شيء، عليه أن يمثل جزء من سلسلة الحياة الشاملة التي ليس لها بداية ولا نهاية. سلسلة الحياة هذه، أو سلسلة القدر، تستمر في الحركة الدائمة، وإذا تم كسر هذه السلسلة، فالذي كسرها سوف يموت.

كل شيء موجود هنا في العالم هو لغاية التطور والتحسّن. كل من يشلّ عملية التطور سوف يدمر نفسه. كل من يحاول فرض إرادته على الآخرين بطريقة غير عقلانية سوف يتلاشى ويندثر نتيجة تهوره. كل شيء موجود يسعى إلى تحقيق رشده وبلوغه. يسعى إلى كمال وجوده. هو هنا لكي يتمكن من تحقيق السبب وراء وجوده. علينا جميعاً المساعدة في هذه العملية بأي طريقة نستطيعها. علينا فعل كل ما بوسعنا لكي نسهّل العملية بقدر ما يمكن. يمكن أن نضطر إلى التضحية بشيء ما لتحقيق الأمر. لنفترض بأن الوالد اضطرّ إلى تخفيض فترة مشاهدة أولاده للتلفاز، ويا لها من كارثة بالنسبة لهم وحتى له. كل ما يخسرونه في العملية هو عدم مشاهدة مباراة كرة قدم أو عدم مشاهدة حلقة من مسلسل تلفزيوني. كل هذا الاهتمام الكبير بما يظهره التلفزيون هو غباء. كل هذا لأن عقولنا كسولة، أو لأننا لا نملك أي أفكار مهمة تستحق التفكير، لذلك نقوم بإجهاد قوة تفكيرنا بأسوأ مصدر للأفكار، وهي أفكار تعود للآخرين. فنستمر بهذه الطريقة في الحياة، محاولين أن نكون سعداء، نحاول فعل الأشياء الحمقاء التي تجلب لنا الراحة والسلام، نحاول الاسترخاء بعداً عن همومنا وأعباءنا وواجباتنا. محاولين الابتعاد بأكبر قدر ممكن عن الحقائق، ولم نجد أفضل من التلفاز الذي يقدم لنا حقائقه الخاصة والتي هي بعيدة كل البعد أن كونها حقائق فعلية.

علينا إذاً أن نفكر وفق منهجية الاستثمار في الأمور التي نؤمن بها. علينا أن نستثمر في أولادنا لكي لا نواجه أي مشكلة تتعلق بجنوحهم أو انحرافهم. علينا الاستثمار في مساعدة الشباب على تحقيق أنفسهم بدلاً من تركهم يرمون في الماكينة الرهيبة للمنظومة الاقتصادية التي ستسحقهم إلى أجزاء متناثرة. علينا أن نعمل بإصرار على أن ينال كل من اللطيف والخير والرقيق والكريم فرصته العادلة للتجلي

في الحياة. هذه الأمور هي حقيقية، وهي التي وجب أن تنتصر وتنجح في النهاية. وإنه لأفضل أن نفشل الآن من أن ننجح في شيء مقدر له أن يفشل بالكامل لاحقاً. وجب أن يشهد هذا القرن الجديد ظهور شباب لهم روح، شباب لديهم التزام وتكريس، ويسود مخطط بسيط للعيش، هذا المخطط هو بسيط بنفس درجة مخطط الهنود الحمر المذكورين سابقاً. هذا المخطط يفرض علينا أن نكون لطيفين وطيبين وصادقين وكرماء وعلينا أن نكرّس أفعالنا للخير العام. ونفعل للآخرين ما نحب أن يفعلون لنا. إذا أمكن تعزيز هذا العامل سوف نجد أن الحضارة البشرية قد ارتقت فوق عيوبها. وكل سياساتها الخاطئة سوف تمر كما مرور الغيوم السوداء التي تذهب بعيداً وتختفي.

إذا احتفظنا بالقوانين فسوف تحفظنا بالمقابل. إذا فعلنا ما هو صائب وضروري فسوف نستطيع إحداث هذا التغيير في المستقبل. إنها مغامرة روحية جميلة، لكننا نحتاجها بدرجة كبيرة. واليوم نقرأ الأخبار عن الصراعات الدائرة بين الأمم. بعد آلاف السنين من المجهود البشري نتوصل الآن في القرن الواحد والعشرين إلى طريق مسدود. هو طريق مسدود لأنه إذا تقدمنا المزيد في هذا الطريق فهذا يجعلنا على معارضة مع الخطة الإلهية، وهذا ما لا نستطيع فعله. إذا لم نسعى إلى تغيير طريقنا فسوف تقرر الخطة الإلهية أن تغيرنا بالقوة. وهذا سيكون مخاض قاسي وصعب. بدلاً من أن نبقى متمسكين بهذا الطريق حتى اللحظة الدموية الأخيرة، محاولين أن نكون أنانيين بأكبر قدر ممكن حتى النهاية، علينا أن نلتحق بإجراءات التغيير. إذا أصبحنا جزءاً من طريقة حياة أفضل فسوف نجد بأن الأمر أفضل بالنسبة لنا، وسنكون أقل قلقاً واضطراباً من قبل. هناك الكثير من الأمور الجميلة التي يمكننا فعلها. هناك الكثير من الوظائف الرائعة التي تنتظر من يشغلها. هناك الكثير من الناس الذين بحاجة إلى مساعدة. وجب أن نفعل كل ما بوسعنا لكي نصنع عالماً أفضل للعيش، بدلاً من عالم خيالي نتحدث عنه.

لازال لدينا الآن مصرفيين ورجال مال وسياسيين وغيرهم، لكنهم سيبقون هنا لفترة وجيزة فقط. لن يدوم بقاءهم طويلاً، وسوف يندثرون تدريجياً دون رجعة، لأنهم لم

يثبتوا نفعهم للناس بل بالعكس. لكن في الوقت الحالي، علينا أن نسعى من الآن لخلق عالم أفضل، وذلك من خلال تجاهل أولئك الذين يوجهونا في الحياة رغم عدم صوابيتهم. لكن علينا العمل بالتزام مع أولئك الذين هم على صواب، وذك من خلال دعمهم ومساعدتهم. محاولين الوقوف مع المبادئ التي نؤمن بها. وعندما نُستدرج لأن نكون أنانيين علينا أن نقف صامدين ونرفض المساومة على إرادة الروح العظيمة. في الحديث عن الروح العظيمة، وجب توضيح مسألة مهمة لا يمكن تجاوزها، وتتعلق بمفهومنا الخاص عن الإله الأعلى.

كل أمة في العالم لديها مفهوم مختلف بخصوص القوة الإلهية الكامنة عند مصدر الحياة. معظم الأمم تتحدث عن الله [تعالى] كلي المقدرة وكلّي الوجود وكلّي المعرفة، لكن الكثيرون ينظرون إليه بصفته الوالد الرحيم، وكلك الكثيرون ينظرون إليه بصفته يمثل مبدأ مقدس. لكن في النهاية يوجد تفسيرات كثيرة مختلفة عن هوية الإله الأعلى. لكن جميعهم يتفقون على شيء واحد، وهو ما يستطيع الإله الأعلى فعله، وهو حفظ القوانين. الذي يصنع القوانين هو ذاته يمثل القوانين ويحفظها. رغم كل هذا، نجد أن معظم الناس، مهما اختلفت مذاهبهم ومشاربهم، لا يلتزمون بالقوانين الإلهية التي وردت في نصوصهم المقدسة. بالتالي فإن العيب لا يكمن في النصوص بل في نفوس البشر. حتى الجهات الرسمية في العديد من الدول لم تعد متحمسة للالتزام بوصايا نصوصهم المقدسة. كل ما هو نبيل وجميل وحقيقي لم يعد يعتبر ملهماً بالنسبة لهم. بينما مبدأ أخذ ما تستطيعه وبأسرع ما يمكن هو أكثر إلهاماً. يا له من توجه نبيل!

ها نحن نسير إلى المزيد من الفوضى والعشوائية. لكن أعتقد بأنه جميل أن ندرك حقيقة أن مشاهدة الأخبار ومراقبة نشاطات البشر ومراقبة الروح الجديدة الصاعدة من أمم الأرض، يبدو أن الطريقة القديمة في العيش بدأت تلوح في الافق. العالم كما هو عليه اليوم سوف لن يدوم طويلاً. هذه الطريقة العصرية المشوهة في عيش الحياة وصلت إلى نهايتها، وسوف تندثر حتماً. من بين أنقاض ومآسي العلمانية المادية التي تسيطر على كوكب الأرض، سوف يبرز مذهب مثالي جديد. وإنه من واجبنا

أن نسعى إلى تسريع عملية ولادته وتجليه الآن. علينا أن نحدث تغييرات في حياتنا الآن إذا أردنا رؤية تلك الحضارة الرائعة التي ستظهر في المستقبل القريب. يمكننا من الآن فعل كل الأشياء التي نتمنى من الآخرين فعلها. يمكننا البدء الآن في هذه اللحظة. ومع فعلنا لهذه الأمور الآن، ربما يقرر الحكماء القابعين في مكان ما فوق الجبال أن يأتوا إلينا ويدعمونا في هذا التوجه الجديد. علينا أن نعلم بأنه في مكان ما في ثنايا المخطط الإلهي يكمن الحب اللامحدود، الخير اللامحدود، والجمال اللامحدود. حتى الصبر اللامحدود هو أحد سمات الإله الأعلى. وإذا ساهمنا في تعزيز هذه الفضائل خلال عيش حياتنا الشخصية سوف نقترب إلى التشبه بالإله الأعلى. وكلما تبشهنا بالإله الأعلى كلما اقتربنا من معرفته.

العقل الدنيوي

انحرافاتـه ومحاولـة معالجتها بطريقـة سليمـة

هذا الموضوع يتناول شيء له علاقة بكل شيء يحصل على وجه الأرض اليوم وهو العقل، القسم الدنيوي منه طبعاً. في الحقيقة ليس هناك أي تعريف دقيق (علمي أو غير علمي) لما هو العقل بالضبط، لكن يوجد كمية كبيرة من المعطيات التي تتعلق بما يفعله العقل. من خلال المراقبة الحذرة تبين أن الأدوات الذهنية بوضعها الحالي ليست نافعة بشكل كامل، بل يمكن اعتبارها نافعة وضارة معاً. السؤال هو: لماذا العقل هو ما هو عليه؟ هو يمثل جزء من حكومة عامة، جماعية وفردية. العالم محكوم بوجهات نظر وآراء ومواقف وقناعات ومعتقدات ومشاريع بحث وتوجهات فكرية مختلفة ومعظمها متأصل في العقل. الفرد أيضاً محكوم بأدواته الذهنية المختلفة والتي نادراً ما يسائلها، وذلك لسبب بسيط وهو أنه لا يملك وسيلة لمسائلتها سوى العقل ذاته. عليه أن يحلل الأدوات الذهنية بواسطة العقل، وطبعاً لسبب مجهول، نجد أن العقل يكسب معركة هذه المسائلة دائماً تقريباً، فيفعل ما يريده هو.

العقل هو الحاكم العام للجسم، وهو بالتالي يحكم امبراطورية قائمة بذاتها نسميها الكيان البشرية. هذه الامبراطورية تشمل أنواع كثيرة من الكائنات الحية، عضوية ومجهرية. هذه الامبراطورية تشبه إلى حد كبير العالم الخارجي الذي نألفه. فهي تتألف من قارات مختلفة وأعراق مختلفة، كما أنها تملك علومها وفنونها الخاصة، وتملك أيضاً وسائل المواصلات والإتصال ونظرياتها العلمية الخاصة بها. هذه الامراطورية تمثل عالم كامل متكامل، متواجد ويعيش على ثلاثة مستويات مختلفة. وهذه المستويات الثلاثة بقسمها الأكبر هي واضحة ومعروفة، ويتم إساءة استخدامها بطريقة أو بأخرى. الجسد المادي يمثل القاعدة الدنيا والنهائية للتركيبة البشرية. هذا المستوى يعتبر عموماً بأنه الطبقة العاملة في الكيان، أي هو هنا من أجل أن يعمل ويكدح. هو موجود لكي يفعل ما يريده العقل والعاطفة. وحقيقة أن العقل والعاطفة قد لا يجيدان التعامل مع رغباتهما يجعل الجسد رازحاً تحت وطأة ثقيلة وجب عليه

تحملها. على الجسد أن يتقبل سيطرة كيانات أعلى منه في المنزلة لكنها قد تكون شائنة ومربكة. على الجسد إذاً أن يفعل ما نريده أن يفعل. إذا أردنا من الجسد أن يبقى واقفاً على قدميه طوال الليل فسوف يبقى كذلك دون تمرّد حتى يقع لوحده من الإرهاق. الجسد لا يملك أي معاون أدنى منه مرتبة لكي يتكئ إليه. لذلك عليه تقبل وتحمّل العبودية التي فرضها عليه كل من العقل والعاطفة.

لكن على الجانب الآخر، لو لم يكن لدينا عقل أو عواطف فسوف يكون الجسد عديم الفائدة إذ يكون مجرّد كائن يسعى إلى الطعام والمحافظة على البقاء لكن دون أن يكون لديه أي غاية محددة أو مشروع محدد في الحياة. فالجسد ليس مديراً تنفيذياً، بل هو ضحية للسلطات التنفيذية التي تعلوه في المستوى. وفي هذه الحالة نجد أن الجسد يتعرض للتجاهل وحاجاته تبقى مهملة وحقوقه تكون مهدورة. لكن كما الطبقة العاملة التي تمثل القسم الأكبر في المجتمع، نجد أن للجسد قدرة واحدة لا يمكن تجاهلها وهي القدرة على الإضراب. وغالباً ما يلجأ الجسد إلى هذا الخيار حين يسأم من حالات تُفرض عليه من قبل السلطات العليا، فيقوم بالتعبير عن انزعاجه منها، فيشعر صاحب الجسد بالتململ وعدم الراحة، وإذا كان الوضع أكثر خطراً فسوف يستعرض الجسد إشارات أكثر إزعاجاً لصاحب الجسم. يستطيع الجسم أن يثور نتيجة الوطأة الشديدة التي قد تغدقها عليه الكيانات الأعلى منه مستوى. مع أنه في الحقيقة ليس هناك حاجة لهذه الثورة في الحالة الطبيعية، لأنه من واجب الكيانات الأعلى منزلة أن تحترم الجسد، وعليها أن تدرك أن هذا التكوين الجسدي يمثل تركيبة اتحادية بحيث له مهمات وواجبات متنوعة وبنفس الوقت يمنح فوائد كثيرة مختلفة للشخصية المديرة للجسد.

الجسد إذاً يستطيع أن يعارض أو يتمرّد، وعندما يتمرّد ماذا سنفعل به؟ عندما يتمرد العمال تطلب الإدارة بإنزال قوات الشرطة لإحباط حالة التمرد وإجبارهم على العودة إلى الانضباط. لكن عندما يستعرض الجسد حالات تآكل أو تلاشي أو إرهاق أو غيرها، فنقوم بإجراءات معينة لكي ننشطه وندفعه إلى الاستمرار بما يفعله لصالحنا، وبالتالي نحن نقوم بهذه الإجراءات ليس لغاية جعله صحياً ومرتاحاً بل من أجل

الاستمرار بفعل ما نريده فعله. وعندما يتوقف الجسد عن فعل ما نريده فعله نصاب بحالة حزينة ويائسة.

إذاً، لدينا جسد مادي معرّض باستمرار لطغيان العاطفة والفكر. العواطف تستثير الأجواء في الجسد فتجعله معرض للدخول بحالات وظروف سيئة مختلفة الأنواع. تعمل العواطف المختلفة على تهييج مجموعة متنوعة من الأمزجة وبشكل يفوق الحد الطبيعي، وهذا يؤدي إلى حصول اختلالات وحتى أعطاب في هيكل الجسم ووظائفه المختلفة. عاطفة الكره مثلاً، لها تأثير سلبي على الجسد ويكون مماثل تماماً للغاز السام. كل الأشياء التي نفعلها من دافع عاطفي مسيء قد تسبب جروح وأضرار كبيرة في الجسد. الفكرة التي تقول بأننا نستطيع الحيازة على جسد قوي مع عواطف سيئة هي فكرة غير واقعية. لكن في الحقيقة، فإن معظم توجهاتنا هي غير واقعية أصلاً لأننا نبنيها على ما نريد فعله وليس على ما وجب علينا فعله.

يمكن أن تؤدي الضغوط العاطفية على الجسد المادي إلى إنتاج مجموعة واسعة من العلل والأمراض التي تم معرفتها عموماً وتخضع الآن للبحث والدراسة. في الحقيقة فإن العواطف تعمل أيضاً على استنزاف وإنهاك الجسد، حيث تزيد من تآكله وإعطابه من خلال كفاحها المستمر إلى تحقيق غاياتها الخاصة. ما تريده هذه العواطف، وأهمها عاطفة الرغبة، فسوف تطلبه بشدة، ولن يكون لديها أي اعتبار للعواقب الناتجة من ذلك. يمكننا رؤية هذا بوضوح في الإدمان على الخمر، حيث قام كل من الكيان العاطفي والعقلي معاً باحتضان عادة شرب الخمر بهدف استخدامه كوسيلة لبعث الثقة بالنفس أو خلق شعور بالبهجة والسرور، والجسد هو الضحية الوحيدة التي تعاني من هذا التوجه المسيء، إذ ليس للجسد أي ملجأ يحتمي به كوسيلة للهروب من هذا الوضع المفروض عليه. لكن إذا كان كل من العاطفة والعقل مستبدان جداً فسوف ينتج من ذلك حالات جسدية أكثر سوءاً فتضع الفرد في حالة خطيرة قد تؤدي إلى الموت. بالتالي ما هو مفروض أن نفعله، وهذا نادر ما نفعله، يعتمد على مفهوم يولي أهمية لما هو أفضل بالنسبة للجسد البشري وليس لرغباتنا وقناعاتنا الخاصة. هذا يدفعنا إلى ضرورة إعادة ترتيب أفكارنا حول حقيقة أن لدينا

عامل مهم لكنه معرض للإهمال والذي يجعل أطباء العالم في حالة مستمرة من الحيرة والإرباك بخصوص التعامل معه.

أفضل من تعامل مع هذه المسألة كان الصينيون. الذي لا نعرفه عن الشعب الصيني هو أنهم يوظفون طبيب خلال وجودهم بحالة صحية سليمة ومعافاة، وإذا أصيبوا بالمرض فسوف يمتنعون عن دفع المال له. هذه الطريقة هي معاكسة تماماً لطريقتنا التي نألفها مع الأطباء، لكنها تتميز بما هو أكثر من ذلك. على الطبيب الصيني أن يفعل كل ما بوسعه لكي يحافظ على سلامة الذين يتعاقد معهم. عليه أن يدخل إلى حياة الفرد ويعلمه بخصوص قوانين العيش الصحيحة. عادة ما يكون الطبيب في الثقافة الصينية فيلسوفاً طاوياً (الطاوية هي مذهب فلسفي صيني)، وبالتالي فهو قادر على استعراض أنواع كثير مما نسميه سحر، والذي هو في الحقيقة نوع معين من العلاج التجاوزي. نحن نعتبره سحر لأن مبادئه مجهولة تماماً لدينا لكنها تستند أساساً على قواعد علمية بحتة لكنها غير مألوفة لدى علمائنا أيضاً. يمكننا ملاحظة هذا العلم التجاوزي يتجلى في العلاج بالأبر الصينية مثلاً وغيرها من علاجات وأدوية عجيبة مختلفة. لكن الفكرة الرئيسية التي يعتمد عليها، ويعمل وفقها، هذا الطبيب الصيني هي: هو يقبل بوظيفة رعاية الفرد على أساس أنه يتوقع من الفرد أن يكون كونفوشيوسي متنور (الكونفوشيوسية هي مذهب فلسفي صيني). أي بمعنى آخر، الفرد الذي يرغب في المحافظة على صحة سليمة عليه أن يكون مدركاً للمسؤوليات التي يتولاها الشخص السامي. وهذا الأخير وفق الكونفوشيوسية هو الفرد الذي يتمتع برقي فكري وأخلاقي وضابطاً لعواطفه ونزواته مما يجعله محافظاً على السلوك الحسن والتصرف السليم.

طبعاً هناك حوادث وأمور قدرية طارئة أخرى قد تصيب الفرد نتيجة عوامل خارجية وهذه لا يمكن أن يتحمل مسؤوليتها الطبيب الصيني. لكن معظم الناس العاديين الذين يتولى الطبيب رعايتهم هم من الطبقة الشعبية العادية التي تنجرف مع الحياة اليومية بشكل طبيعي وهي مجرّدة من الانضباط الكونفوشيوسي، أي أنهم بعيدون كل البعد عن مثال الشخص السامي. فما على الطبيب سوى تذكيرهم دائماً بأن الشخص

السامي هو الوحيد الذي يحق له أن يكون متمتعاً بصحة سليمة. بينما الفرد الذي لا يلتزم بقوانين الحياة لا يحق له أبداً أن يتمتع بصحة جيدة. لا يحق له أن يكون على علاقة صحية ومريحة مع تكوينه الجسدي. اللحظة التي يخرق فيها القوانين، نتيجة ضغوط من جانبيه الفكري والعاطفي، فسوف يقع الجسد في معاناة. وإذا استمر هذا الأمر لفترة طويلة فعلى الطبيب الصيني أن يشير إلى حقيقة أن الفرد يحاول أن يفعل ما يهوى له بدلاً من ما يتوجب عليه فعله. وهذا سوف يقصّر حياته ويحبط من نشاطاته التقليدية السليمة.

إذاً، تبدأ الصحة السليمة وفق المفهوم الصيني من نقطة أن تكون صالحاً وعلى صواب. والأمر ذاته ينطبق على صحتنا نحن في هذا الجانب من العالم، لكن السؤال هو: كيف يمكننا أن نكون صالحين وعلى صواب؟ هذه مشكلة أخرى مختلفة تماماً عن مجال الطب الذي نألفه. هنا يكمن أهمية العقل وطريقة استخدامه وتوجيهه. بما أن العقل هو الحاكم العام لكامل منظمة كياننا، فهذا يمنحه الحق بأن يكون مسموعاً وكذلك الحق الحتمي لأن يكون على حق وصواب. لكن، لماذا العقل ليس دائماً على صواب؟ الجواب بسيط: نحن لم ندربه بطريقة صحيحة وسليمة. نحن لا ندرك بأن العقل هو أهم الوسائل التي نملكها بخصوص عملية العيش. نحن نفعل أشياء كثيرة ومتنوعة مع العقل، لكن معظم ما نفعله يضرّ بالعقل بطريقة أو بأخرى. كل ما نريده من العقل هو أن يكون وسيلة مجدية لتحقيق كل الأشياء التي نرغبها في الحياة. العقل الذي لا يحقق أمانينا سوف نعتبره غير مجدي ذهنياً أو فكرياً. العقل الذي يقول لنا أن نكون معتدلين ومتعففين في شؤوننا سوف يواجه معارضة فورية. ما هو مصدر هذه المعارضة؟ تصدر هذه المعارضة من التوجه المضاد للعقل ذاته. بالتالي، العقل الذي يوقعنا في مشاكل والعقل الذي يخلصنا من المشاكل والعقل الذي يبقينا في حالة تراوح دائم بين هاتين الحالتين لمعظم حياتنا هو يمثل نفس الكيان أو نفس الأداة التي لديها السلطة المطلقة لأن تؤثر بقوة على حياة الشخص.

العقل الذي يعمل بانسجام مع العواطف ويحمي حقوق الجسد يمثل أفضل شكل لحكومة يمكن أن تحكم كيان الفرد. بالتالي وجب تدريب العقل على كيفية الحكم. ويتم إثبات نتائج توجيهاته من خلال العواقب العاطفية والجسدية للتفكير. إذا كان العقل صائباً فسوف يكون الجسد بحالة جيدة، والعواطف تكون متوازنة ومستقرة. لكن إذا فقد العقل استقامته، أو فشل في المحافظة على علاقته السليمة مع الحياة، فهذا سوف يؤدي إلى اعتلال العاملين الآخرين، أي العاطفة والجسد. نلاحظ في هذه الأيام بأن معظم أفكارنا لديها ميل إلى استنزاف الصحة أو الضغط على العواطف. العالم الذي نعيش فيه اليوم هو العالم الذي يخافه الكثير من الناس. هم يؤمنون بأن العواقب الحتمية لأخطاءنا لا بد من أن تطبق علينا في وقت من الأوقات. نحن نادراً ما نطبق هذه الفكرة على أنفسنا. نادراً ما نظن بأن الأخطاء الشخصية التي نقترفها يومياً سوف لن تعيد إلينا أي عواقب. نحن نشعر بأنه يوجد الكثير من الهفوات الصغيرة التي نقترفها والتي وجب أن يتغاضى عنها الله والطبيعة، وحجتنا هي أننا لسنا كاملين في نهاية الأمر. في الحقيقة، لا أحد يتوقع منا أن نكون كاملين، لكن الطبيعة تتوقع منا أن نجتهد أكثر لكي نكون أفضل من المعتاد.

مفروض علينا أن نتوازن عقلياً، وبهذا نساهم ليس فقط بحفظ كياننا الخاص بل أن نحمي أيضاً العالم الذي نعيش فيه. الأنانية والطمع والشراهة والعجرفة وكل هذه المجريات العاطفية والعقلية السيئة تساهم في تدمير كوكبنا. والسياسات التي تفسد الكوكب هي متبعة من قبل أولئك الأشخاص الذين بفسدون أنفسهم نتيجة خصوعهم لسيطرة تلك العقليات والعواطف السيئة. هذا أمر يصعب تصديقه ربما، لكن إذا أردنا أن نعرف ما الذي يحصل ولماذا يحصل علينا أن نجلس بهدوء ونتفكر للحظلات في ظروف المجتمع وحياتنا الشخصية والتوجهات الفكرية التي تسيطر علينا. إذا فعلنا هذا فسوف نحصل مباشرة على الجواب الشافي لمعظم الأسئلة العامة التي نطرحها.

في الصين كما ذكرنا سابقاً، رغم أن تعاليم الفيلسوف "كونفوشيوس" قد تعرضت للحضر من قبل الزعيم الصيني "ماو تسي تونغ" في بدايات حكم الثورة الشيوعية، لكنها عادت بقوة إلى الساحة فيما بعد وأصبحت الآن تمثل مادة تعليمية في

المدارس. لقد أدركت القيادة بأن العلم الذي يجعل الفرد مريضاً وفقيراً وعديم الاكتفاء والرضا ويبقيه محكوم تماماً بعقلية دكتاتورية متشددة هو ليس تعليم حقيقي. البلد لن يذهب إلى أي مكان بالاستناد على هذه الثقافة الموجهة بطريقة غير عقلانية. أينما وجدنا أمور خاطئة بطريقة أو بأخرى فلا بد من وجود جهل. وهذا الجهل هو إما طبيعي أو مكتسب. الجهل الطبيعي يمكن معالجته، لكن الجهل المكتسب (نتيجة تعليم أفكار خاطئة أو التربية على قناعات خاطئة) يكون صعب العلاج. غالباً ما ينشأ الجهل المكتسب من إصرار الشخص على خرق القوانين لتحقيق مصلحته الخاصة، وهو يفشل في معرفة أن هذا الأمر مستحيل عملياً. عندما يظن بأنه نجح في خرق أحد القوانين لتحقيق مصلحة خاصة فهذا يعني أنه قد أسس لمشاكل مستقبلية لا بد من أن يواجهها في يوم من الأيام. ليس هناك طريقة من تجنب هذه النتيجة الحتمية.

غاية التعليم نظرياً هي إنتاج الشخص السامي. الرقي ليس عامل معياري ثابت. الرقي هو عيش الشخص بالتوافق مع أفضل جانب في نفسه. هو استخدام الفرد للمواهب التي يحوزها بأكبر قدر ممكن من الحكمة والمصادقة. الشخص السامي هو الذي يعيش وفقاً لأرقى المفاهيم بخصوص شخصيته وسلوكه. ليس هناك سبب يجعله ضرورياً للشخص السامي أن يكون عبقرياً، حيث الكثير من العباقرة هم غير متوازنين وبشكل ميؤوس منه. لكن على الشخص السامي أن يحوز على أساسيات الكائن البشري المتحضّر. من أجل الحوزة على هذه الأساسيات، وجب فعل شيء مع العقل. العقل الذي يصعب تطويعه، والعقل الذي يقاوم الخضوع للقانون والنظام، العقل الذي لا يهتم سوى بتحقيق الطموحات، لا يجد وقت أو دافع لتحسين نفسه. بالتالي الطريقة الوحيدة للتعامل مع العقل هي إخضاعه والبقاء معه على هذه الحال حتى تفرض عليه القيام بالأمر الذي وجب أن يفعله. هذه طبعاً طريقة تختلف عن طريقة التعليم التي نألفها اليوم. ما نحاول فعله اليوم في التعليم هو مساعدة العقل على أن يكون مخادع محتال ويكون بأمان بنفس الوقت. نحن نتوقع من العقل أن يخرق القوانين ومن ثم نعيش بسعادة وهناء إلى آخر العمر. من أجل أن يقنعنا

المنهج التعليمي بذلك فقد تم إعادة ترتيب القوانين. بالتالي فقد أسيء تعليم العقل لكي يستمر في استدامة مآسي وأحزان العرق البشري.

لذلك قرر الفيلسوف الكونفوشيوسي بأن النقطة الرئيسية هي السعي لاستكشاف بقدر ما يمكننا عن ما يتكون منه سمو الشخصية. لأن سمو الشخصية إذا تم اكتسابه بطريقة سليمة فسوف يرفع الفرد من مستوى دنيوي ملؤه النقص والقصور والعجز وعدم الكفاية. السمو ليس نهاية بذاتها بحيث يمكن إحرازها بواسطة التعليم. السمو هو عملية نمو مستمرة بحيث يرتقي خلالها الفرد فوق أخطائه بشكل دائم، ثم يصححها ويفعل كل ما بوسعه من أجل تقدم حياته. هذا ماوجب أن يكون لدينا في المدارس، حيث وجب تعليم العقل بأن أهم شيء هو أن يكون منظّم ومدير محسن ومحب للخير. الأمر مماثل لبلد بكاملها، حيث إذا كان الحاكم جيّد فسوف يزدهر الشعب، لكن إذا كان الحاكم سيّء فسوف يعاني الشعب. لكن إذا كان الحاكم طموح فهذا سوف يدخل البلد في الحروب والثورات والعوز والموت، وهذا بالضبط ما يحصل في جسم الإنسان الطموح والمنحرف فكرياً حيث يتجلى المرض الذي ليس له علاج فوري أو سهل. فيقول الفيلسوف الكونفوشيوسي، دعونا نبدأ بتحليل الشروط التي تصنع الشخص السامي. معظم الناس يظنون بأنهم أشخاص ساميين. حتى لو يعرفون بأنهم غير سامين لكنهم لا يرغبون أن يقول لهم أحد ذلك، لأن لديهم غرور يمنعهم من الاعتراف بالحقيقة. جميعنا نتمنى أن ننجح في الحياة. ومع قيامنا بإنشاء منهج علمي يهدف لتحقيق النجاح عن طريق خرق القوانين، فهذا يجعلنا نخرق بعضها لكن في النهاية سوف ينقلب هذا البعض علينا وعلى حياتنا.

فيقول الفيلسوف الصيني، أوّل ما عليك فعله خلال تعليم الطفل هو الزرع بداخله الاستقامة الضرورية لتجعله يتطور إلى شخص له غاية، أي شخص سامي. ما هو الشخص السامي؟ هو الشخص الذي يرتقى فوق ارتكاب الأعمال الوضيعة. كل ما هو مدمر وكل ما هو أناني وكل ما يخرب الخير العام وجب اعتباره عمل مضاد لخلق الشخص السامي. وجب أن يكون الشخص السامي بناءً وليس مدمراً. على الشخص السامي أن يبدّي الآخرين على نفسه، عليه تمييز العبقرية أينما وجدت،

عليه خدمة الاستقامة أينما وجدها، وعليه في حياته الشخصية أن يحتفظ بقوانين الشريعة الكونفوشيوسية. والشريعة الكونفوشيوسية هي من أقدم الشرائع العالمية، ومنها خرجت المقولة التالية: *".. علينا أن نعامل الآخرين كما نرغب منهم معاملتنا.."*.

إنها مسألة استقامة أخلاقية منذ البداية. بالتالي، أوّل خطوة وجب اتخاذها في المنهج التعليمي هي تعليم الطالب ما هي الأمانة والنزاهة، ولماذا هي ذات قيمة، ولماذا وجب التحلي بها إذا أراد أن يكون سعيداً. قد يجد الفرد بأنه وسط أناس لا يقبلون بهذه الحقيقة. وبما أننا نميل إلى الالتحاق بزعماء زماننا، فسوف نفقد الاهتمام بمسألة أن نكون أشخاص سامين. وغالباً ما ينتهي بنا الأمر ونحن في حالة دنيئة بدرجة أسوأ، بدلاً من أن نكون بحالة سامية بدرجة أفضل. بالتالي فإن السمو يشمل عملية تحسين التكامل العقلي. أي يكون لدينا عقل تكون أحكامه أمينة، عقل يكون نزيهاً وعادلاً، عقل إنساني وعطوف، عقل ليس متمحوراً حول نفسه لدرجة أنه يؤذي الآخرين في سبيل تحقيق غاياته الخاصة. عقل مخلص ومكرّس نفسه لغايات محددة، ويكون حارس حذر ومحب لنفسه والآخرين. كل هذه الأشياء تمثل جزء من شريعة عظيمة، وقد مُنحنا العقل لكي نعيش بشكل جيد ونفعل الصواب ونكون

سعداء. لكن السؤال هو: ماذا حصل للعقل؟ هناك خطأ حصل في مكان ما، لأننا اليوم لا نمثل أي من الشروط السابقة. نحن الآن خائفون، أنانيون، غير شرفاء، غايتنا الوحيدة هي التقدم في الحياة وعن طريق خداع أحدهم إذا اضطر الأمر، وفكرتنا الحالية عن الشخص السامي هي أنه الفرد الذي حاز بطريقة أو بأخرى على الثروة أو السلطة. وجميعنا نعلم بأنه صعب جداً الحوزة على الثروة أو السلطة دون مساومة الفرد على مبادئه الأخلاقية.

بالتالي على الطفل في المدرسة أن يبدأ بتهذيب عقله. المنهج التعليمي الحالي عموماً لم يكن ناجحاً في تهذيب العقل. معظم المناهج التعليمية قد تأسست في بلاد وفترات كان فيها الفساد سائداً وحتى مزدهراً وطاغياً. فأصبح التعليم تدريجياً مجرد وسيلة للتفاعل مع ذلك الذي هو فاسد وخاطئ. صار التعليم يعلّم كيف يكون عقل الفرد أكثر خبثاً وخداعاً من عقل جاره. استمر الأمر كذلك حتى صار عقل العالم بأسره موجه نحو زيادة الثروة والسلطة والنفوذ، نحو السيطرة والاستغلال، ونحو الإخضاع والإنتزاع بالقوة. كل هذه الأمور هي في الحقيقة سخيفة وحمقاء وخطيرة.

يمكننا الاستمرار في الحياة مصدقين بأن عقلنا سليم وصحبته ممتعة، حيث يولد لنا أفكاراً ممتعة طالما أنها غير مهمة. لكن ما أن واجهنا أمر له أهمية كبرى فسوف يتراجع عقلنا إلى نمطه المعهود بحيث يقرر ما عليه فعله إن كان خاطئ أو صحيح. العقل الذي يتعلم بواسطة متابعة البرامج التلفزيونية لن يكون بحالة جيدة. وكذلك العقل الذي يتعلم بواسطة متابعة الصحف والجرائد فلن يكون في حالة جيدة أيضاً. في الحقيقة، فإن العقل اليوم يتعرّض لنظام مؤذي ومضرّ بشكل كبير. مع أنه هو الذي خلق هذا النظام أصلاً رغم امتناعه عن الاعتراف بذلك. أصبح لدينا هنا دائرة شريرة تعود على نفسها. لقد بنينا امبراطورية عظيمة بواسطة التفكير الخاطئ. وعلينا الاستمرار بالمزيد من التفكير الخاطئ لكي نحافظ على استمرارية هذه الامبراطورية. لكن على المدى البعيد سوف تنهار هذه الامبراطورية لأنها بنيت على أسس خاطئة. كل هذا ولم يتمكن المنهج الفكري من تصحيح مساره بنجاح لإلغاء هذا المصير

الحتمي لحضارتنا. منهجنا الفكري غير طبيعي إطلاقاً. لذلك علينا أن نبحث عن كيفية الخلاص من هذا الوضع.

لدينا مجموعة من الفلسفات التأملية حالياً والتي تكسب الاهتمام المتزايد. لكن على ماذا يتأمّل الناس؟ هذا هو السؤال الكبير. يعتبر التأمّل شيء رائع، لكنه لن يوصلنا إلى أي مكان إلا إذا أعدنا تعليم العقل. لا يمكن للفرد المتأمّل أن يتجاهل العقل ويستمر في امتلاك عادات سيئة بينما يسعى لأن حوز على أفكار جيدة. هذه السياسة لن تنجح. علينا أن نتوصل تدريجياً إلى إيجاد طرق جديدة في التأمل بحيث ندخل هذا المزاج التأمّلي في الطبيعة الفكرية لكي ندفع العقل إلى تصحيح أخطائه بدلاً من اقتراف المزيد منها. العقل هو كيان قادر على تصحيح أخطاءه، لكن نادراً ما يفعل ذلك. لأنه عندما تُقترف الأخطاء ويعتاد السلوك على تكرارها فالعقل لن يكون مستعداً بعدها لتصحيح تلك الأخطاء. لو أنه يستطيع تصحيحها بسهولة لكان فعل ذلك على المستوى العالمي، حيث لما اضطررنا بعد مرور خمسة آلاف سنة من الحضارة إلى خوض الحروب العالمية التي كلفت ستين مليون ضحية، وكل ذلك دون أن يكون هناك نتيجة خيرة من أي نوع. حتى الحدود القديمة لم تتغير، والمظالم القديمة لم تتغير، الآمال القديمة لم تُحقّز، والخطايا القديمة لم تُصحّح. بالتالي ما هي النتيجة النهائية لكل هذا؟ لقد تشكّل توجه فكري جديد، وهو أيضاً خاطئ. هذا التوجه الفكري الجديد تم تشجيعه من قبل قيادات عالمية ثم من قبل أتباعهم الطموحين ويتبعهم أكثرية عديمة الجدوى تتألف من أشخاص لم يقدموا أي مساهمة مجدية لأنهم لم يدربوا أنفسهم على اتباع قناعات داخلية.

لدينا إذاً هذا العقل الذي هو في الأصل مصدر إلهام مستمر لكنه في حالة دائمة من المعاناة نتيجة سيطرة أنماط تفكير وسلوك خاطئة. الأمر الأوّل الذي ربما وجب أن نتعلم فعله مع العقل قبل أن نوصله إلى أي مكان هو الكسر التدريجي لشعوره بالقدرة الكلية. الفرد الذي يصل في النهاية إلى نقطة بحيث يتوجه إلى نفسه بالقول أنا كنت على خطأ، فهو بذلك يقصد بأن عقله خانه. عندما يستطيع الفرد أن يقول: "*.. كان علي فعل الأمر بطريقة مختلفة لأنها ستكون أفضل..*"، فهذا يعني أنه بدأ يطوّع

عقله الذي هو المسؤول عن استدراجه إلى اقتراف الخطأ. إذا أردنا أن نعرف سبب حالات التفكّك الأسري، أو حالات الإفلاس، أو الإدامن، أو الجريمة على أنواعها، أو الهبوط الأخلاقي، أو الطغيان السياسي، فعلينا أن نعود لنبحث في صندوق العقل، فهو الصندوق الذي تخرج منه كافة أسباب المشاكل والصعوبات. كل مشكلة نواجهها يكون مصدرها العقل. وكل علاج حاولنا إيجاده يأتي أيضاً من العقل. لذلك نجد أن هذه الإجراءات المختلفة محبوسة داخل منظومة مستبدة بحيث تطغي فيها الرغبات والشهوات المتنوعة، فترانا نعيش في حالة خدمة لعواطفنا ومشاعرنا بدلاً من الحقائق الواقعية. نحن نستمر في خرق القوانين لأننا نجد إرضاء مباشر وسريع لرغباتنا، لكننا نستيقض في يوم من الأيام لنجد ضريبة عقوبية كبيرة بانتظارنا ونعجز عن مواجهتها ومعالجتها.

المسألة الكبيرة إذاً تكمن في طريقة استخدام العقل. تقول نصوص الـ"بهاغافاد غيتا" الهندية بأن: *".. العقل هو قاتل الحقيقة.."*. وهذا ما تفعله عقولنا الآن. ورغم ذلك فنحن لم نُمنح عقل من قبل القوة الإلهية لكي يقتل الأشياء. نحن لم نُمنح العقل لأننا لا نحتاجه. العقل يمثل جزء من تركيبة الأشياء المخلوقة، وهذه التركيبة قد مُنحت من قبل حكمة كونية تفوق عظمتها حكمتنا البشرية. هذه المنحة تأتي من مصدر الحياة، والذي قرر بأن التفكير هو أحد الإجراءات المهمة للنمو. لذلك علينا أن نتناول مسألة التفكير، ونحاول التفريق بين ما هي الفكرة وما هو الرأي، علينا التفريق بين ما هي الحقيقة وما هي الخرافة. كيف علينا أن نثبت بشكل جازم حقيقة أن الأمور الخاطئة لا يمكن أن تصبح صحيحة عن طريق استدامتها وتكرارها على الدوام؟ يستطيع الشخص الفطين أن يجلس ويتفكّر بهذه المواضيع فيتوصل سريعاً إلى معرفة وافرة بهذا الخصوص. لأنه إذا قام بلد بغزو بلد آخر، كما نألفه دائماً في المسرح الدولي، فالأمر ذاته يحصل دائماً في داخلنا لكن على نطاق أصغر. نحنا دائماً نعارض ونهاجم وندعم ونمكّن عناصر مختلفة من أمزجتنا، وذلك بمجهود يهدف إلى تحقيق نوع من السيادة غير العقلانية للجزء على الكل. مع أنه في الحقيقة، كل ما تطلبه الطبيعة من الإنسان هو أن يستخدم تركيبة أمزجته وميوله وتكامله الأخلاقي بهدف تحسين وإرقاء الخير العام العائد له ولغيره من أبناء فصيلته.

وجب على أقسام الإنسان المختلفة أن تعمل معاً، وإلا سوف نجد نوع من الحرب داخل كيانه. على أمم الارض أن تعمل معاً، لأن الطغيان والاستبداد السياسي والاقتصادي والديني.. إلى آخره، سوف يؤدي إلى تدمير المجتمع في نهاية المطاف. لدينا إذاً الجسد البشري كنموذج مصغّر لكل المجريات الحاصلة من حولنا في المجتمع. من الواضح أننا نستطيع التعلم من هذه الحالة. وكل ما نحتاج فعله هو التفكير بالأمر. أي بمعى آخر، نستطيع استخدام العقل لكي يحلّ أخطاءه بنفسه. هذه تعتبر طريقة عبقرية بالفعل، وهي تمثل شيء قدر لنا أن نفعله أصلاً. هذا عمل ليس غير عقلاني أو مستحيل إنجازه. الكثير من الأشخاص المتعقلين يستطيعون إنجاز هذا العمل إذا أرادوا ذلك. وإذا نجحت الأقلية في تحسين وضعها فسوف تلتحق بها الأكثرية لتتحسن بدرجة معينة.

إذا جلسنا وراقبنا كل هذه الأمور التي تحصل، البعض قد يجلسون أمام التلفاز ويشاهدون الأخبار ويقولون يا إلهي كل هذا مريع ورهيب، والبعض يطفئون التلفاز لأنهم لا يريدون سماع الأخبار البائسة، وهناك البعض الذي لا يصدق أي كلمة من نشرة الأخبار، بينما هناك فريق آخر متحزّب يكافح لتحقيق غاية سياسية معينة يفترض بأنها مهمة ومصيرية. كل هذا يمثل استنزاف كبير للطاقة، لكنه لا يمثل شيء له أهمية بخصوص مساعدة العقل. معظم الناس يغذون العقل بأفكار تافهة، وكنتيجة لذلك ينتج العقل قرارات تافهة لا قيمة ولا فائدة لها. لكن إذا قررنا أن نقوم ببعض التفكير الحقيقي فيوجد الكثير مما علينا التفكير به ويوجد وقت كافي لفعل ذلك، لكن وجب أولاً اتخاذ القرار. هناك مكافئات وعقوبات بخصوص كل شيء في الطبيعة. عقوبة العمل السيء هو البؤس. بينما مكافئة العمل الجيد هو الخبرة وحسن التفكير. على الفرد أن يستخدم الملكات التي يحوزها بالطريقة التي خلقت من أجل استخدامها، هذا إذا كان يتوقع الاستفادة منها بأكبر درجة. لا أحد يمكن أن تكون حالته أفضل إذا كان خاضع تماماً لطغيان عقله وأفكاره، أو لمجموعة من العقول. إن خروج مجموعة كاملة من الناس بقرارات خاطئة لا ينتج في أي حال من الأحوال قرار صحيح. في هذه الحالة لا يمكننا الأخذ بمقولة أن الأكثرية هي دائماً على حق.

الأكثرية ليست على حق الآن في هذا الزمان لأن الأكثرية لا تفكر أبداً، أو لأنها أنانية جداً مما يجعلها غير مهتمة.

سوف نبدأ من خلال الإقرار بأن العقل هو مدّخر ممكن للطاقة التي يتم استنزافها بطريقة عشوائية. علينا أن نبدأ بتدريب العقل على التفكير بنفسه، وليس وراثة أفكار الآخرين وتبنيها بشكل أعمى. علينا أن ندرب العقل لكي يساهم في المستقبل بدلاً من بناء قوته وغناه بالاعتماد على الماضي. قد يكون الماضي مهم، لكن فقط إذا وفر لنا بصيرة حقيقية في تقليد السياسات القديمة. علينا أولاً أن ننشئ مناهج تعليمية تعتمد على نظرية تعليم مختلفة تماماً عن تلك الموجودة اليوم. نظرية تعليم جديدة متشاهة مع تلك التي وضعها "كومينيوس" Comenius وهو المؤسس الأوّل للمدارس العامة (عاش بين ١٥٩٢م و ١٦٧٠) لكنه مات قبل أن يرى ما حلّ بالنظام التعليمي في وقتنا الحالي. كان "كومينيوس" بسيطاً في أفكاره بخصوص المدرسة العامة. قال أنه من السهل أن تبالغ في تعليم الناس. إذا بالغت في تعليم الفرد بحيث يفوق طاقته فسوف تنتج شخص ميؤوس وغير سعيد. بالتالي على التعليم أن يكون متوافقاً مع حاجات الطالب وليس أكثر من ذلك. وجب أن يبدأ التعليم أولاً بالتعليمات الأخلاقية. وجب أن يبدأ أيضاً من خلال الاستخدام السليم للعواطف بصفتها مقيدة للفكر وليست محفزة له. إذا كان كل من عاطفة الإحسان والمحبة والإيمان والورع وباقي المشاعر الحسنة، تم صقلها بشكل بناء فلا بد من أنها تستطيع التأثير على العقل. يمكن تغيير العقل من خلال استخدام ملكات أخرى يحوزها الإنسان. يمكن أيضاً تغيير العقل بشكل كبير بواسطة الجسد المادي، حيث نتائج أخطاء العقل تظهر بوضوح في الجسد كعوارض أمراض مختلفة وبالتالي يفرض على المريض تغيير طريقة تفكيره لكي يتعافى. وجب على العقل أن يدرك تدريجياً بأنه ليس سيداً كلياً، وأنه لا يمكنه فعل ما يريد فعله دون عقاب. وجب أن يتوصل العقل إلى قناعة بأنه موجود أساساً لتعلم ما هو صحيح ومن ثم القيام به. هذا لا يعني بأن الحياة ستصبح رتيبة ومملة، بحيث نعتقد أنه في غياب الأخطاء لم يعد هناك ما نعيش من أجله، بل لأن القيم والشعور بالفرح والأمان والخبرات الداخلية الرائعة أصبحت تتجلى بقوة وهذه هي الحالة السليمة التي وجب عيشها.

لذلك نأمل من الناس أن يجلسوا بهدوء ويبدؤا النظر حولهم وإلى داخلهم. ينظروا حولهم لتفحص حالة العائلة وظروفها السيئة، وتفحص المشكلة بالعمل الذي ينهار، والتساؤل لماذا انقطعت علاقتهم مع الأقارب، ولماذا أولادهم مهملين، كل هذه الأمور يمكنهم ملاحظتها، وبمكنهم البدء بإعادة تنظيم أنفسهم بحيث يمنعون حصول هكذا حالات. لقد أصبح يتوضح تدريجياً أن العادات السيئة تعرض الحضارة البشرية للخطر. والعادات السيئة هي ببساطة عبارة عن توجهات فكرية سيئة. هي نتيجة للتفكير الخاطئ والقرارات الخاطئة بخصوص ما هو جيد وما هو سيء. الكثير من الناس قد يقولون بأنهم على علم بهذه الحقيقة، فالقليل من الناس في هذا العالم الذين لا يميزون الصح من الخطأ. لكن المشكلة تكمن في أنهم يتعرضون لضغوط أكثر قوة من إرادتهم في التغيير. بدلاً من اهتمامهم بموضوع الصح والخطأ، نراهم مهتمين بما يرغبونه وما يتمنون فعله. إذا كانوا يريدون الثأر فسوف يسعون إلى تحقيقه، أو إذا كانوا يرغبون إقامة جدال مع أحدهم فسوف يسعون إليه ويتمتعون به، كما أنهم يشعرون بالحرية والصوابية حين ينتخبون الأشخاص الخطأ في مناصب حكومية ومواقع سياسية. هذه الأمور لا تمثل جزء من النظام الذي نريده، لكنها تبرز بشكل دائم في حياتنا اليومية. ما نحتاجه فعلياً هو المزيد من التعقل والانتباه. نحن بحاجة ماسة إلى تعليم العقل بخصوص الواقع الحقيقي. لا يوجد في الحقيقة عقل سيء بل يوجد سوء استخدام لعقل مجهز بإمكانيات للخير. عندما يكون لدينا استعداد لقطع العلاقة مع الإيمان بتكاملنا فعلينا توقع مواجهة كل أنواع الصعوبات في الحياة.

معظم الناس ليسوا أشخاص مهمين وباهرين وبالتالي لا يجدوه ضرورياً القلق بخصوص هذه المواضيع والمسائل، لكن ما يحتاجون فعله هو التركيز على الاشياء الصغيرة في الحياة ومحاولة معالجتها. بطريقة أو بأخرى نصاب بحالات صداع أو سوء الهضم أو القرحة أو غيرها من حالات مألوفة. أكثر الأدوية مبيعاً في الأسواق هي تلك التي تعالج الصداع. قد يكون الصداع مبرراً في بعض الأحيان، لكن غالباً ما يكون الصداع نتيجة مباشرة لسوء التصرف. الفرد الذي يصاب بالصداع هو الذي يستحوذ عليه القلق في الوقت الذي عليه أن يفكر، والذي يأكل في الوقت الذي عليه عدم الأكل، والذي دخل في جدال كبير وجب أن لا يدخل فيه أساساً. جميعنا نعاني

من حالات سلبية متنوعة من الخوف والأرق والقلق وخصومات شديدة وغيرها من الأمزجة المدمرة، إلى أن تصبح حالتنا بائسة جداً تدفعنا إلى أن نتناول المزيد من الأدوية المختلفة مثل دواء الصداع ودواء الضغط وغيرها. لكن الحقيقة هي أن هذه الأدوية لا تعالج الحالة الصحية بل تعمل على إزالة الأعراض المرضية لفترة قصيرة، بينما أسباب المرض تبقى قائمة. العلاج الوحيد لتلك الحالات التي تدفعنا إلى تناول الأدوية هو التفكير الواضح والسليم. من خلال قيام الفرد بتفكير طريقه إلى الخلاص من متاهة سوء تصرفاته يستطيع حينها إزالة معظم حالاته المرضية. قد يضطر الفرد إلى تغيير منظومته الغذائية بالكامل لكي يتمكن من الخلاص من حالة الصداع التي يعاني منها. لكن معظم حالات الصداع تأتي من طريقة تفكيره. صحيح أن الصداع يتجلى في الرأس لكن من المؤكد أن الدماغ ليس له علاقة بالموضوع. هذه الكتلة الرمادية تعمل بقدر ما تستطيع للمحافظة على موازنة وظائف الجسم. الدماغ هو مجرّد عبد مسكين يخضع لسلطة وإرادة سيّد عديم الشفقة أو الرحمة وهو العقل الذي يكمن ماوراءه. الدماغ ليس له ما يفعل سوى نقل النبضات، جيدة أو سيئة، إلى أجزاء الجسم. بالتالي لا يمكن الخلاص من هذه المسألة إلا إذا أدرك الفرد حقيقة أن العقل هو الذي يقبع وراء حالة الصداع التي يعاني منها.

نحن نظن بأنه أمر عظيم اليوم أن نخترع كمبيوتر. والجميع يشير بكل ثقة إلى أن الفضل يعود للعقل في توفير التقنيات المناسبة لسفر الإنسان في الفضاء وإلى القمر. نعم هذا صحيح، فقد تمتع عقلنا بفترة طويلة من العربدة على هواه، دون أن يولي أي اعتبار للجسم الذي ينتمي إليه أصلاً. قد يكون السفر إلى القمر إنجاز علمي مهم، لكن المشاكل الحقيقية في الحياة لم تنال أي اهتمام من قبل هذا العقل الذي نتفاخر به. ربما يقررون أن يرسلوا الإنسان إلى المريخ أو حتى إلى مركز درب التبانة، لكن هذا كله لم يساهم في إلغاء الأخطاء الكبيرة التي نقترفها هنا كل يوم. علينا إذا الاهتمام بهذه الأخطاء التي تنخر بنا وبعالمنا وبالتالي وجب تكريس العقل لإيجاد حلول جذرية لهذه المسألة. أما من ناحيتنا فننظر إلى أخطائنا اليومية بترفع وعدم المبالاة، ونقول لأنفسنا: ما الفائدة من أن نكون غير أنانيين في الوقت الذي عبر جهد بسيط نستطيع صناع قنبلة نيوترونة. هنا يكمن الاختلاف في النظر إلى الأمور

والذي نعاني منه أيضاً. المشكلة هي أن الفرد يرغب في أي شيء يستطيع إلهاء عقله بعيداً عن أي مسألة تتعلق به، خصوصاً مسألة النمو والارتقاء الروحي. الفرد لا يريد أن ينضبط في نظام محدد يعيق حريته، فهو يريد أن يتمتع ويلهو على هواه. إذا كان ثرياً فسوف يصرف أمواله ببذخ على شهواته ونيل رغباته. لكن إذا كان فقيراً فسوف يحقق أكبر قدر ممكن من المتعة واللهو وبأي طريقة ممكنة، وغالباً ما يكون عبر ارتكاب الخطايا الكبرى للحصول على المال. كل هذا يؤدي إلى حقيقة أن العقل، بدلاً أن يكون قائداً لمنظومة رائعة من الملكات والقوى، نجده يرعى انحرافات صاحب هذه المنظومة. مع أنه في الحقيقة، ليس العقل هو الذي ينال المتعة من انحرافات صاحبه، العقل ليس سعيداً ومبتهجاً بكل هذه الانحرافات والقرارات الخاطئة التي ينخذها الفرد، فبالعكس حيث نجد العقل قلقاً من هذا. لأن العقل سوف يعاني مع صاحبه من النتائج السلبية لتلك الانحرافات.

العقل ليس مشكلة ذاتية الحل، بل هو يضيف المزيد من المشاكل باستمرار. والشيء الوحيد الذي يمكن للعقل فعله هو اقتراح حلول جزئية لأخطاء كبرى. وغالباً ما تتمثل الحلول بإعادة ترتيب عناصر الخطأ وهذا يعني أننا لازلنا واقعين في المشكلة كما السابق لكن مع تغيير نوع المشكلة فقط. لكي نخرج العقل من هذه المسألة التي تشبه قفص السنجاب الدوار علينا أن نعمل على الموضوع باجتهاد. أوّلا علينا الاسترخاء. لكن هذا لا يعني أن نبقى ساكنين دون فعل شيء. الاسترخاء يعني التوقف عن تغذية العقل بمعلومات خاطئة. نتوقف مثلاً عن القول للعقل بأنه علينا أن نصبح أثرياء حتى لو تطلب ذلك ارتكاب جريمة قتل. نحن نقول للعقل بأننا نريد ما نريده عندما نريده، وهذا عمل خاطئ. رويداً رويداً، ومن خلال تقليص الإغراءات التي نفرضها على العقل، يمكننا منع الكثير من الأخطاء التي تنتج من ضعف النشاط العقلي. إذا كنا نسعى إلى إلغاء الشهوات المزيفة التي تطرأ لدينا فهذا سوف يقلل من سوء الحظ كما نفهمه والذي يحوم حولنا كل الوقت. من عقل هادئ وساكن يمكننا أن نقول له: ".. فكر.."، سوف يفكر العقل بمساعدة كل الأدوات التي مُنحت لمساعدته على التفكير. وعلى الفرد صاحب هذا العقل أن يساعده على إنجاز هذه العملية. يساعده من خلال التقديم له صورة عن العالم المراد التفكير به. على الفرد أن يذكّر

عقله بمآسي الأنانية المستشرية في كافة أنحاء العالم وفي كل الوقت. على الفرد أن يعلم عقله عن البؤس الناتج من المنافسة. على الفرد أيضاً أن يساعد العقل على نسيان تلك الفكرة التي تقول بأنه كلما زاد ملكه تزيد سعادته. وقد ذكر "بوذا" هذه الفكرة من خلال قوله: *".. كلما زاد ملكنا كلما نقص نومنا من خلال السهر على حراسته.."*.

مهما كانت المشاكل، التفكير بها بطريقة هادئة ومتأنية سوف يجلب لنا ولجسمنا الراحة والاسترخاء. عندما نتذكر النزاع الذي حصل بين الأفراد أو الأسر، يمكننا أن نقول لأنفسنا بهدوء: *".. دعنا نقيم مراجعة متفحصة لهذا النزاع.."*، نتسائل أولاً ما الخير الذي أنجزه هذا النزاع؟ قد يقول أحدهم بأنه أنجز بعض الخير حيث وجد متعة في كره جيرانه، ويضيف قائلاً بأنه سعيد جداً لأنه لم يتكلم مع خالته منذ أكثر من خمسة وعشرين سنة. يبدو أن هذا الشخص يعتبر هذا العمل إنجازاً مهماً حيث يعتقد بأن خالته تعاني من هذا الفعل، مع أنها لا تأبه به ولم تعلم بالموضوع أصلاً. إذا قمنا بتحليل هذه الحالات وتجزئتها سنتوصل تدريجياً إلى إدراك حقيقة أن كافة المواقف السلبية وغير الصحية التي نتخذها هي مبادرات سيئة بالنسبة لنا أكثر من غيرنا. ماذا لو لم نتكلم مع خالتنا لمدة خمسة وعشرين سنة؟ في قلبنا يوجد صراع وكره واضطراب وهذا يعني أن في الجسم تكوّن حمض سام. لا يمكننا أن نكره فرد دون أن يعاني جسمنا من هذا الموقف. يستحيل أن تتجاهل فضيلة دون فسح مجال لرذيلة. وأكثر من ذلك، لا يمكنك الاستمرار ببناء مزاج معين حول توجهات خاطئة دون المساهمة في تقصير العمر والتسبب بالأمراض والانحراف عن الأمور الأفضل والتي تمنح الحياة قيمة.

إن الاجتهاد في محاولة الابتعاد عن كل تلك العيوب والاستنتاجات الخاطئة قد يؤدي بالفرد إلى الانجراف قليلاً نحو الدين. لأنه قد يشعر بأن العقل لديه بحاجة إلى بعض من التعليم الديني. قد يكون هذا العمل جيد، لكن هناك نقطة مهمة وجب أن نتذكرها، كافة التعاليم الدينية السائدة اليوم هي تفسيرات بشرية للنصوص المقدسة، أي هذه التفسيرات هي من إنتاج العقل البشري. أي هي ناتجة من التفكير البشري.

هي منتوجات مراحل مختلفة من التاريخ، وبالتالي هي استنتاجات خاصة بأناس عاشوا في فترة زمنية قديمة لها عاداتها ومفاهيمها الخاصة. وبالتالي تلك التعاليم الدينية هي استنتاجات بشرية خاصة حول طبيعة الله وما هي غايته وما يريده من خلقه. بالتالي إذا أردنا اللجوء إلى الدين بحثاً عن عزاء وسلوى فمن المهم جداً أن نفهم طبيعة الدين الذي نلجأ إليه. لكن مع هذا كله، مع الافتراض بأن التعاليم الدينية كشفت عن مضمون روحاني راقي، سوف نكتشف أن العقل اليوم لا يستطيع التوافق معها، بل أنه يعارضها. والسبب هو أن الفرد في هذا العصر، وخلال تنشئته وتعليمه، تعرض لكمية كبيرة من المعلومات العلمانية المادية التي تحكم مجال العلم والمعرفة اليوم. جميعنا نعلم اليوم بأن العلم المنهجي يمجد العلمانية المادية اليوم دون غيره من المذاهب الأخرى. هذا يعني بأن ذلك القسم من المجتمع والذي هو خاطئ تماماً هو الذي يسيطر على باقي المجتمع. رغم كل الأسباب الواهية التي زعموها لدعم أستحقاقهم في السيطرة، إلا أنه يوجد سبب واحد لاغير: الدين، مهما كان نوعه، يمثل منظومة أخلاقية، وهذا سوف يجعله يتدخل لمنع الطموحات الدنيوية، مثل الإصرار على الثراء بأي وسيلة ممكنة، وكذلك المنافسة الشرسة وغير المنضبطة كالتي نراها قائمة اليوم. الحقيقة هي عندما يرغب الأشخاص الخطأ بشيء معين، فهذا الشيء المعين هو ما يرفضه الأشخاص الصح. الفرد الذي يرغب في التعزية الدينية لكي يحمي نفسه من العلمانية المادية عليه أن ينمي إحساسه الخاص بالقيم. وعندما يحوز على إحساس قوي بالقيم فسوف لن يقع في سحر البهرجات المادية القائمة حوله. الأمر الوحيد الذي يسمح للعلمانية المادية بإغواء الفرد هو زعمها بأنه بعد الموت سوف ينسى الفرد كافة أخطائه. لكن في الحقيقة، هذه النتيجة النهائية لا تستحق العيش من أجلها. إنه من الضروري أن نتذكر أخطائنا حتى خلال وجودنا في الحياة. لكن سنتذكرها فقط من أجل تصحيحها، وبعدها سوف تسير الأمور بشكل أفضل.

إذاً، نجد بأن العقل يحتل كامل جوانب مسألة العيش. هو حاضر في كل مكان محاولاً السيطرة على حياة الأفراد. ومع ذلك فنحن بحاجة له. لكننا بحاجة إلى عقل يكون مكرساً لغاية معينة. نحن بحاجة إلى عقل يتقبل مسؤولية القيادة في مواجهة

مشاكل الوجود المادي. كل هذه المشاكل تأصلت في مكان ما في العقل، وبالتالي وجب معالجتها عن طريق تكريس عقلي. لدينا ما يكفي من الدلائل الآن لأقناع أي جهة معنية بحقيقة أنه يستحيل علينا البقاء سعداء بعد خرق قوانين الطبيعة. نحن في الحقيقة لم نعد نرى الطبيعة في حياتنا. الطبيعة التي تتجلى بأشجارها ومروجها وشلالاتها ووديانها تحولت الآن إلى أبنية سكنية وبيوت حكومية ضخمة ومجمعات صناعية عملاقة وغيرها من منشآت اسمنتية تشقها شوارع عريضة معبدة. هذا ما نراه الآن في أماكن عيشنا. أما السماء الزرقاء والشمس والمروج والأشجار فأصبحت محصورة ضمن منتزهات صغيرة وسط التجمعات السكنية فنزورها بين الحين والآخر لكي نتمكن من استشعار بعض من جوانب الطبيعة الحقيقية. لقد انجرفنا بعيداً وبشكل تدريجي عن العالم الحقيقي. عالم الوقائع الفعلية. وبدلاً من ذلك، اخترنا العيش في غابة اسمنتية خلقناها بأنفسنا. وحقيقة أننا خلقناها لا تجعلها جيدة وصالحة. وحقيقة أننا خلقناها لن يجعلها دائمة إلى الأبد. الأخطاء التي اقترفناها عبر الجهل وجب علينا تصحيحها عبر المعرفة والفطنة.

كان العقل في البداية مشغولاً كلياً في مسائل مثل عملية الصراع من أجل البقاء، وحاول العقل خلالها تكوين فلسفة بسيطة تتناول الحياة المتواضعة للكائن البشري، لكن رويداً رويداً تمكن العقل من إنشاء ما نسميه الحضارة البشرية والتي هي عبارة عن تجمع لشعوب غير متحضرة. الحضارة البشرية كما نعرفها اليوم ليست شيئاً يمكننا التفاخر به. هذه الحضارة لن تتحسن لوحدها إذا لم نفعل شيئاً بخصوصها. إن دراسة حقب طويلة من التاريخ الماضي لا تثير اهتمام الفرد العادي كثيراً. فهو لن يموت من قلب مكسور نتيجة حادثة مأساوية حصلت قبل عشرة آلاف سنة، ولا أنه يتأثر إذا كانت إحدى الحضارات المستقبلية سوف تنهار وتندثر. هذه الأمور لا تمثل حافز للفرد أن يسعى إلى تغيير طريقة حياته. حتى لو أنه يعرف بأنه يورث هذه الأخطاء القاتلة لأولاده والذين قد يكونوا من سيواجه الكارثة المستقبلية للحضارة، فهذا لن يحفزه على التغيير. قد يظن الفرد بأن التغيير الذي أتكلم عنه هو ذاك التغيير الذي يجتمع الناس متظاهرين أمام مركز الحكومة طلباً للتغيير، لكن الأمر ليس له علاقة بذلك. التغيير الذي أقصده هو سعي الإنسان العادي إلى إجراء تغيير جذري

في نظرته للحياة. إذا تكونت لديه رؤية واضحة للحياة فسوف يصبح مواطن حرّ في الكون. والوالد (أو الوالدة) الذي لا يستطيع تغيير النظام السياسي يمكنه بالوقت نفسه تعليم أولاده الحقائق الفعلية لكيفية النجاة في كارثة. وجب أن يكون هناك قاعدة صلبة لمعرفة الواقع وإلا تحولت كل صعوبة عامة إلى غموض نهائي، وهذا غير صحيح أو عقلاني.

علينا التفكير بالأمر بهدوء. عندما يقول أحدنا مثلاً بأن "فلان" حصل على وظيفة أفضل من وظيفتي، فكر في الأمر جيداً، وأنظر إذا كان مهماً لدرجة أنه جعلك تشعر بالغيرة. لأنه إذا استمريت بالشعور بالغيرة لفترة طويلة فسوف تكون مكافئتك الإصابة بقرحة المعدة. رغم أن "فلان" الذي حصل على الوظيفة يجهل بأنك لم تستحب له ذلك. وإذا أفصحت له بشعورك بالأمر، وهذا عمل نادر، وجعلت منه عدواً لك، ربما يقرر بعدها بأنه لم يحتاج لصداقتك على أي حال. لكن المشكلة لم تنتهي هنا، حيث الكلام القاسي الذي استخدمته سوف يستمر بالعمل بداخلك، وأوّل ما تعرفه هو أن هذه الكلمات القاسية تحولت إلى حالة مرضية وغالباً ما تتجلى في جهاز الهضم. هذا يجعلنا نكتشف بأن قانون الكارما لا ينتظر دائماً لمحاسبتك في حياة تالية بل الحساب هو فوري، هنا والآن. يحاول الناس تبسيط هذه الحقيقة بأكبر قدر ممكن. جميعنا نرتكب الأخطاء خلال انشغالنا بمعترك الحياة، لكن يمكننا تدريجياً إدراك الجانب العملي، أو الجانب العلمي، لتوجهاتنا الفكرية. يمكننا اكتشاف حقيقة أن النتيجة تتبع دائماً السبب (مبدأ السببية) كما العربة التي تتبع دائماً الحصان. يمكننا اكتشاف حقيقة أن ألم المعدة الذي أصابنا اليوم قد يكون نتيجة لأسباب ارتكبناها البارحة أو قبل البارحة، مثل الشراهة في الطعام أو شرب الكحول أو طعام غير صحي أو حالة عصبية شديدة أو حالة يأس شديد أو غيرها من أسباب أخرى مختلفة. علينا إدراك حقيقة أنه مهما قمنا به من أفعال خاطئة فلا بد أن نعاني من ألم في مكان ما. وهذا الألم يمثل بذاته مجموعة من الحقائق الصحيحة. يمكننا فعل ما نريده بخصوص أي شيء ما عدا الجسد المادي لدينا. يمكننا تغيير أي شيء ما عدا هذه البنية المادية التي نعيش فيها، والتي هي مهمة لوجودنا في هذا العالم. لا نستطيع خداع جسدنا، لا نستطيع أن نغشه ولا نستطيع

علاجه إذا ساهمنا في إمراضه إلى أبعد مدى. هناك وعكات خفيفة نستطيع معالجتها، لكن إذا لم نزيل المسبب كلياً فسوف تعود الوعكات آجلاً أم عاجلاً. وأينما وجدنا فرد لا يتمتع بتكامل عقلي ثابت فنجد مرشح قوي للإصابة بحالات صحية سيئة.

هذا لا يعني بأننا سوف نعيش بسعادة وهناء فقط لأننا التزمنا بقوانين الحياة. عندما نتكلم عن قوانين الحياة فلا نعني القوانين المتعلقة بالمنظومة الغذائية فحسب، حيث قوانين الحياة المتعلقة بالجسد تتجاوز تلك المتعلقة بالأغذية. ليس هناك طريقة لأن نكون لؤماء وقاسين في تصرفاتنا دون أن نلاقي مشاكل. والشعور الجميل بالإنتصار الذي يصيبنا عندما نهين شخص آخر سوف يدوم لدقيقة أو اثنتين، لكن الكيمياء الجسدية لدينا سوف تصاب بخلل لمدة شهور. كل شيء غير بناء وغير محبب وغير متعاون أو لا يسعى للخير، كل شيء لا يتسم بهذه الدوافع السابقة يكون في حالة معاناة تكون درجتها مساوية لدرجة التصرف المسيء الذي بذله. بعض المعاناة تكون جسدية وبعضها عاطفي وبعضها عقلي. لكن في النهاية، أينما ومتما قام الفرد بتصرف خاطئ فسوف يدفع ثمنه، آجلاً أو عاجلاً. قد يبدو الأمر رهيباً لكنه ليس شريراً على الإطلاق. لأننا نحوز على قدر واسع من الخيارات، ونحوز بداخلنا على أدوات تمكننا من تحقيق غايتنا بشكل صحيح وسليم. وكامل الطبيعة والكون والقوى الإلهية تميل إلى دعم الأعمال الصحيحة والسليمة. ما تريده هذه القوى العظمى، وأكثر من أي شيء آخر، هو أن يتمكن الكائن البشري من أن يصبح عامل أبدي للخير في مسيرة ارتقاء البشرية. تنمية العرق البشري تمثل مشروع قائم بذاته، وتديره قوى أعظم بكثير مما نحن عليه. إنها موجة حياة عظمى تسير في الفضاء ونحن نمثل جزء منها. وعلى حواف هذه الموجة العظمى تتعلق أنواع مختلفة من الكائنات الضالة. نجد بين هذه المجموعة الضالة كافة أنواع الشخصيات الشريرة، كالمجرمين ومثيري المشاكل وأفراد العصابات وغيرها من شواذ بشرية. هذه المجموعة من الشواذ البشرية تعمل على إبطاء وإعاقة النمو الطبيعي للعرق البشري. كلما زاد عدد هؤلاء الشاذين في مجتمعنا وزاد معهم التسميم الفكري والعاطفي وحتى الجسدي، كلما زادت مشكلة النمو الطبيعي للفصيلة البشرية. الدرس الذي يمكننا تعلمه من مشكلة صغيرة

في الكبد لدينا يمكن أن ينطبق على السبع مليارات من البشرية التي تسكن هذا الكوكب. كلهم لديهم عقول، ومعظمهم عقولهم لا تفيدهم كثيراً. بدلاً من أن تقود تلك العقول إلى السلام والتكامل نجدها تقودهم إلى المزيد من المشاكل.

المسألة الآن تكمن في كيفية الإفلات من هذا الوضع. ماذا علينا فعله؟ بالإضافة إلى كل ما ذكرناه سابقاً، ما الذي يستطيع أن يفوق العقل بالحيلة؟ يمكننا القول بأن الروح لديها القدرة، لكن لا أعتقد بأن ذلك المستوى الذي تنتمي إليه الروح له أي اعتبار لهذا المستوى. نعود إلى السؤال، ما الذي يمكننا فعله لكي نحتال على العقل؟ الذي يستطيع الاحتيال على العقل، إذا منحناه المزيد من الوقت والتفكير، هو العواطف. العواطف هي أكثر قدماً من العقل. كان لدينا عواطف قبل أن كنا نستطيع التفكير. لكن العواطف تمثل شيء مختلف تماماً. إذا كانت العواطف موجهة للكره فسوف تكرّس العقل لكي يجعل ذلك الكره أكثر الأشياء أهمية في العالم. هذا ما يحصل في الحروب. الحروب هي عواطف مستثارة بطريقة تجعلها تتحول إلى كره عقلي. لكن من زاوية أخرى، إذا تم إثراء العواطف بطريقة معينة بحيث جعلت نبيلة وأكثر أهمية بالنسبة لنا فسوف تكون النتيجة سيادة السلام وعمل الخير وعمق النظر. بنفس الطريقة يمكننا القول أنه فوق مستوى الأنانية يمكن أن تبرز بطولة عظيمة، أي ارتقاء الفرد فوق مستوى أمنه الخاص بهدف حماية شيء أعظم من نفسه. الأمر ذاته ينطبق على العواطف العديدة الأخرى والتي لها مستويات أرقى من المستوى الذي تتجلى فيه بحياتنا.

الفرد الذي يستطيع تنشيط النظرة العاطفية في الحياة، أو يستطيع أن يحب بصدق وإخلاص، فيكون في موقع يمكنه من اكتساب الكثير من الفوائد بشكل فوري ومباشر. لكن المشكلة تكمن في أن معادلة [الحب+ التفكير] يمكنها أن تحمل الكثير من الدوافع المستترة. بدلاً من أن يكون الحب صادق وصحيح وحقيقي، نجد أن الفرد يحب من أجل الكسب. هو يحب لأنه يأمل بأن يعود عليه هذا الحب بمصلحة ما. الأمر مماثل للشخص المتدين الذي يعتقد بأنه إذا بنى معبد فهذا سيكون لصالح الإنسانية، لكنه بنفس الوقت فعل ذلك لأنه يتوقع أن يشتهر ويزيد من رصيده

الاجتماعي. وجب مراقبة هذا النوع من الأشياء بشكل دائم. في حضور المحبة الصادقة والمخلصة، نادراً ما يبدي العقل الكثير من المعارضة. لكن حيث إبداء المعارضة هو المكان الذي لازال العقل فيه ملوثاً بدوافع مستترة لم يصححها الفرد، او ارتقى فوقها، في مزاجه الخاص. عندما نعمل في هكذا حالات غالباً ما نلجأ إلى الدين طلباً للمساعدة. نحن نلجأ إلى الدين لأننا نعتقد بصدق بأنه يمنحنا قيمة جديدة بحيث نتمكن عبرها من تحويل العقل لدينا. لكن القليل من الأديان كانت ناجحة بصفتها مؤسسات عقلية. فهي دائماً تلتمس سمو الروح والنعمة الإلهية، هي تلتمس حب الإنسانية والحب الإلهي، والاعتراف بالإحسان الكوني الذي يحكم كافة الأشياء، وأكثر من هذا كله، تقول بأن أخطائنا يعود سببها إلى تخلينا عن ممارسة شعائرنا الدينية. بالتالي ليس هناك مكان لموضوع العقل في الأدبيات الدينية السائدة اليوم.

يمكننا القول إذاً بأن الحب يستطيع فعل الكثير إذا كان صادقاً. يستطيع الحب أن يتناول موقف سيء ويصححه. لكن على عملية التصحيح أن تكون صادقة. الفرد المصاب بألم في المعدة لأنه يقيم جدالاً دائماً مع ابنته لا يمكننا الافتراض بأن معدته سوف تشفى بعد أن يتصالح مع ابنته مباشرة. الأمر ليس عملية تجارية كما يمكن أن تبدو لنا. لكن إذا كانت مشاعر الشخص صادقة جداً بحيث أنه قد يقدم تضحية لشخص آخر دون أي دوافع مستترة، مهما كانت التضحية صغيرة لكن عليها أن تكون صادقة ودون توقع أي شيء في المقابل، فقط في هذه الحالة سوف تتجلى لهذه المبادرة فائدة علاجية. كلما أصبحنا أكثر سلاماً وهدوئاً وكلما أحببنا المحيطين بنا تزيد معها قدرتنا على تجاوز المصلحة الذاتية وندرك بأننا نعيش في عالم يوحدنا جميعاً بحيث نعيش ونموت فيه معاً، وإذا توصلنا في النهاية إلى إدراك أنه لا خير لنا كأفراد إلا إذا ساعدنا على بناء خير مشترك بين كل الأفراد. وهذا يتم عبر الأديان ويمكن تعزيزه من خلال العلم، لكن بعد إصلاح هذا الأخير. وجب على العقل أن يتخلص من وهم الدوافع المستترة. وجب أن لا يكون هناك أي فكرة مخادعة مخبأة في مكان ما. إن ما نفعله في الحقيقة هو البحث عن شيء لمصلحتنا، رغم أننا نبدو ظاهرياً بأننا نساعد الآخرين. علينا أن نتخلص من كافة

الدوافع المستترة، لأن العقل الذي يعتمد على الدوافع المستترة سيستمر في أن يكون متآمراً، سوف يستمر في استدامة تلك التوجهات التي لا تساهم أبداً في الخير العام.

نحن على تواصل مع الآخرين أكثر مما نتصوره. هناك القليل جداً من الناس الذين يعيشون لأنفسهم وبأنفسهم. نحن لسنا أفراد في بحر من الوجوه، بل كلنا أفراد بشرية. كلنا نعاني من المشاكل ذاتها. وكل حياة تلتقي وتتفاعل مع أشخاص آخرين متممة بذلك سنوات وجودها في العالم. بالتالي من المهم أن يتعلم كل شخص كيف يفهم التعامل مع الناس، وكيف يعمل معهم، لكن دون أن يتدخل بآراءهم ومعتقداتهم وأحكامهم المسبقة ومواقفهم بخصوص المواضيع المختلفة. علينا إدراك حقيقة أن الشخص الذي ينتمي لدين مختلف عن ديننا يمكنه أن يكون أميناً وصالحاً، وأنه لا يحق لنا الحكم على ذلك الشخص من الناحية الشخصية، إلا إذا كان سلوكه هو الدافع إلى ذلك. الأمانة ليست حكر على أتباع دين دون غيرهم. الأمانة هي صفة إنسانية ويمكن أن تتجلى عند أي شخص مهما كان دينه. كافة الأديان تدعو إلى الأمانة. كل إنسان شريف يدعو إليها ويعيشها. وعندما تصبح الأمانة نمط حياة فسوف تقل الجريمة والعشوائية في العالم. لكن طالما بقينا نزعم هذه الصفة كحقيقة فكرية فقط، دون تطبيقها على سلوكنا، فسوف يضعف توجهنا العقلي، ويتحول العقل كلياً ونهائياً إلى خدمة أنانيتنا، وسوف يستديم هذه الخدمة المنحرفة باستمرار طوال حياتنا. وجب علينا أن لا نصنع جنوح فكري في عقولنا، لكننا نفعل ذلك كل يوم عندما نتآمر ونغش ونخدع، فقط من أجل تحقيق المصالح التي نسعى إليها بلهفة. نحن نستعمل هذا الجنوح الفكري عندما نحاول التأثير على الأخرين بهدف تغيير توجههم ليتوافق مع مصلحتنا الخاصة.

كل هذه الأمور غير مساعدة. العقل ببساطة يتعرض تدريجياً للفساد. والعقل الفاسد هو شيء بغيض. العقل الفاسد يكون متهيج ونزق، وغير منطقي، عدواني وحقود، مولع بالنزاع والقتال، وغيرها من الصفات السيئة التي يمكن التفكير بها. كل هذا لأنه أسيء تدريبه. واليوم يتخرج إلى العالم أجيال من الشباب اليافعين الذين تكون العيوب والخطايا متأصلة في داخلهم. هؤلاء الشباب لم يتعلموا القيم الحقيقية في

الحياة. لقد تعلموا فقط كيف يتقدموا بإصرار ولو على حساب كل شخص وكل شيء. لم يتعلموا أي درس أخلاقي بحيث يتكشف لهم ماذا يحصل نتيجة سلوكهم المنحرف. لم يتلقوا التعليم الكافي الذي يمنعهم من تناول المخدرات. رغم أنهم يقرؤون في الصحف ويشاهدون في الأفلام السينمائية ويراقبون في كل مكان نتائج الإدمان على المخدارات، لكنهم يستمرون في ممارسة هذه العادة. لكن لماذا؟ لأنه في عقولهم يقومون بتبرير أنفسهم بأكثر من طريقة. إحدى الطرق هي أنهم لا يهتمون بالثمن الذي دفعوه مقابل الشعور الممتع الذي يختبرونه. كيف يمكن لشباب لديهم عقول من المفروض أنها تنمو وتزداد وعياً ليصبحوا مواطنين مفيدين، كيف يمكنهم التورط في شيء كهذا؟ السبب هو أن العقل يساير هذا العمل ويتعايش معه. العقل تلقى منذ البداية كافة المنميات السلوكية التي جعلته يتقبل هذه الحالة. العقل يعتقد بأنه أمر رائع أن يكون شاطر، وأن يكون مميز، وأن يكون مخاطراً، وأكثر من هذا كله، أن يفقد كل الإحساس بالمسؤولية، فلم يقلق ويفعل كل ما يريده هنا والآن. كل هذه التوجهات المختلفة تنتهي في مأساة. وفي هذه الحالة يكون الجسم قد نال قسطه من المعاناة. ومعظم هؤلاء الشباب سوف يعانون من نتيجة هذا التوجه الخاطئ.

لماذا يفعل العقل هذا بنا؟ لماذا العقل لدينا لا يقبل بالوصايا العشر مثلاً؟ السبب يعود بشكل كبير إلى الدوافع المستترة في داخلنا. ليس هناك روح شريرة في أي مكان لتعلمنا كيف نصير أشرار. المشكلة تكمن في داخلنا حيث الناس ببساطة يريدون ما يريدونه. وطريقة الحصول على ما يريدونه هو امتلاك المال. هم مقتنعون بأنه إذا حازوا على ما يريدونه فسوف يحوزون على السعادة والرخاء والسلام والنجاح والتفوق والتمايز والسلطة. لكن ما يحصلون عليه في النهاية هي قطعة أرض كافية لدفنهم بعد أن يموتوا. يعودون إلى التراب من حيث أتوا. ليس هناك أي طريقة لكسب هذه المعركة. لكن لماذا المعركة أصلاً؟ العواطف لا تحفز على ذلك إلا إذا كانت فاسدة بشكل كبير. الجسد يصرخ قائلاً لا تفعل ذلك، لكن العقل قد اكتشف كيف يجادل بهذه المواضيع حتى يستسلم له الفرد. العقل يسمح له أخيراً بفعل ما رغب به في السرّ وللأسباب السرية التي دفعته إلى ذلك. هذه الحالة تحصل باستمرار. وكانت تحصل منذ زمن بعيد جداً.

وجب السيطرة على العقل بالكامل. وعندما يلتزم الفرد بدين معين أو بأي مجال يساهم في حسن وجوده، عليه أن يشكل قناعة راسخة بهذا المجال. عليه أن يعمل باجتهاد على معالجة عقله. عليه استخدام ذلك الجانب من عقله والذي يمثل عقله الحقيقي. إنه العقل الإلهي لديه. عليه السعي إلى التحرر من عقله الحيواني الذي يساهم في خلق هفواته وأخطاءه وجنوحه. أوّل ما وجب أن يفعله الفرد خلال التفكير هو القرار إذا كانت الفكرة خاطئة أو صحيحة. إذا كانت الفكرة خاطئة فعليه رفضها فوراً. لكن إذا كانت الفكرة صحيحة فعليه الكفاح من أجلها حتى لو استنزفت كمية كبيرة من الوقت والطاقة والتضحية. لكن الحقيقة تبقى قائمة، وكانت قائمة على مر العصور، وهي أن العقلين في حالة صراع دائم فيما بينهما (أي العقل العلوي والعقل الدنيوي). العقل الدنيوي هو موجه لغاية إشباع الشهوات ونيل الرغبات، بينما العقل العلوي موجه لغاية تهذيب النفس وإصلاح الأخلاق. الدنيوي يقول افعل ما ترغبه، والعلوي يقول افعل ما يتوجب عليك. والعالم اليوم مقسوم بين هذين الموقفين المختلفين تجاه مشاكل الوجود. إذا لم نحل هذه المسألة كأفراد فسوف لن نتمكن من الاستمرار بطريقة الحياة التي نريد أن نعيشها. إذا لم نريد فعل شيئاً بخصوص هذه المسائل فهذا يعني أننا مرضى من الناحية العقلية والنفسية والعاطفية. وفي الوقت الذي يوجد فيه الكثيرون الذين لم يتدربوا على حل مشاكلهم يمكننا بالتالي القول بكل ثقة بأن نسبة كبيرة من سكان العالم اليوم هم مرضى. أكثر مرضاً من أولئك الذين يخضعون اليوم للعلاج.

الجانب العلوي من العقل، أو العقل الإلهي، هو العقل الحقيقي في داخلنا، هو في حالة صراع دائم مع العقل الدنيوي الذي يسعى إلى إشباع الشهوات. يشيرون إليه أحياناً بأنه الصراع بين الروح والجسد. هو الصراع القائم بين النفحة الإلهية وانعدام النفحة الإلهية. هو الصراع بين السبب الخفي والانحراف المرئي. كل فرد منا لديه هذا الصراع في داخله. لهذا السبب علينا أن نهتم بهذا الأمر ونحاول دائماً ترجيح كفة العلوي على حساب الدنيوي، وذلك بواسطة القيام بالأعمال بشكل صحيح وصائب. هذا الأمر لا يعتمد على فلسفة المكافئة والعقاب، بل على منظومة صقل وتهذيب بحيث يرتقي الفرد فوق الحاجة للعقاب من خلال التغلب على أخطاءه. من

خلال هذه الطريقة سوف يتحول العقل إلى أقوى أداة للخير يمكن تصورها. لكن إلى أن يأتي ذلك الوقت سوف يبقى العقل في صولته وجولته المعهودة محاولاً أن يقنعنا بأن نساوم على مبادئنا لكي نحصل على القليل من المتعة الدنيوية. هذه الفكرة وجب أن تتوضح جيداً لدينا لكي نتخذ الإجراءات اللازمة بخصوص الأمر.

أنظمة التأمّل الروحية

قد تمثّل مشكلة بدلاً من حلّ

قبل أن أبدء بتناول موضوع التأمّل أود أن أشير إلى أن هذا العمل لا يمثل إنتقاد أو التقليل من أهمية الأنظمة الصوفية والتجاوزية بأي طريقة من الطرق. لكن من جانب آخر أصبح واضحاً يوم بأن بعض هذه الممارسات والإجراءات يتم إساءة استعمالها وممارستها. البعض الآخر من هذه الأنظمة هو غير مفهوم بالكامل، بحيث عدد كبير من الأشخاص الصادقين في إلتزامهم بهذه الممارسة قد أصيبوا بحالات عقلية مضطربة كنتيجة مباشرة لمحاولتهم ممارستها بجدية. هذا بالتالي يجعله مهماً المساعدة في توضيح هذا الموضوع لمصلحة أبناء هذه المنطقة من العالم. أولاً علينا أن ندرك حقيقة أن الفرد من منطقتنا ليس كائن متأمّل بطبيعته. هو لم ينشأ وسط ثقافة دينية أو شعبية تمارس التأمّل. لذلك نجده مهما بذل من جهود محاولاً تنمية تلك المظاهر من عقله والوعي لديه التي تساهم في حالة التأمّل فسوف يواجه صعوبة وحتى فشل. الفرد من منطقتنا توجه نحو الدين والحقيقة والله لمدة ألفي عام تقريباً بطريقة الإيمان والتقوى والورع والتكريس، وهذا أمر مهم جداً، لكن الحب المخلص لله أصبح يمثل الطريقة التي ألفناها وغالباً ما يتم التعبير عنها بواسطة الصلاة. الصلاة مهم فعلاً، وبشكل حيوي، لكن من الناحية التقنية فهو مختلف تماماً

عن التأمّل. الصلاة هو التقرب على قاعدة الورع والتقوى والعبادة، وهنا أيضاً لدينا مشاكل أخرى، حيث نحن لم نعتاد على أن نكون ببساطة متعبدين لأي شيء. ربما نحن لدينا إعجاب كبير بأنفسنا لكن هذا لم يرتقي إلى مستوى العبادة.

الفرد من منطقتنا ليس كائن متأمّل بطبيعته. هو لم ينشأ وسط ثقافة دينية أو شعبية تمارس التأمّل. الحب المخلص لله أصبح يمثل الطريقة التي ألفناها وغالباً ما يتم التعبير عنها بواسطة الصلاة.

الفرد يعيش في عالم مادي، والتنمية السريعة للظروف المادية في هذا العصر أنتجت وجهات نظر فكرية دفعتنا إلى الوثوق بالعقل أكثر مما هو لازم. العقل هو أداة مفيدة، لكن فكرة أننا ولدنا موهوبون بقدرة عقلية مبالغ في منحها أهمية دون سبب، وأنه سوف يخدمنا بشكل جيد دون أي مجهود من قبلنا، هي فكرة غير صحيحة. كما تقول الفلسفة الشرقية، يمكن للعقل أن يكون قاتل لما هو حقيقي. وهذا بالضبط يمثل الواقع، حيث العقل هو سبب إنتاج معظم البؤس والمآسي التي أصابت كامل العالم في الألفيتين الماضيتين، وخصوصاً القسم الغربي منه. وجب منح أهمية كبيرة للمشكلة الفعلية للعقل. جميعنا ولدنا مزودين بعقول مختلفة الاختصاصات ودرجات مختلفة من التطور. أي معلم مدرسة يمكنه الإشارة إلى هذه الحقيقة. هناك توجهات

نحو جوانب متنوعة تكون مهمة في تعليم الفرد. لكن هناك توجه لم نسمع عنه سوى في السنوات الأخيرة وهو التوجه نحو التأمّل. نحن نفتقد للقواعد الأساسية لحياة متأملة. وفي الحقيقة نحن خائفون قليلاً من محاولة عيشها، لأنها قد تنتهي بمخاطر وأضرار جسدية ونفسية. بالتالي على الفرد الذي يعمل على تطوير نفسه أن يدرك بأن عقله هو أداة متخصصة. عقله هو ملكه حصرياً. لكن فيه محدوديات وجب عليه اكتشافها، وبعدها يمكن إلى درجة معينة تطويرها أو تعديلها أو تغييرها. تستطيع الذاكرة أن تساعدنا في المحافظة على علم أو معرفة معينة. لكن كل عقل لديه حدوده، ومتما حاولنا اختراق هذه الحدود نجد دائماً صعوبات. يمكننا إيجاد مثال واضح في مجال المهارات المتخصصة. الفرد المصاب بالطرش لن يستطيع أبداً التعلم على آلة موسيقية. الفرد الذي يفتقد لأي قدرة على التأليف والتشكيل سوف لن يكون فنان مهما حاول في هذا المسعى. كل فرد يستخدم الملكات التي يحوزها فقط. وهذه الملكات هي التي تدفعه إلى اتخاذ التوجه الذي يتناسب معها. فيجد مثلاً أنه بدلاً من أن يكون فنان أو موسيقي من الأنسب له أن يكون كاتب أو روائي، أو يمكنه أن يكون عالم أو تاجر. الأمر لا يعتمد فقط على اختياره فحسب بل على قدرة ملكاته في دعم قراره الذي اختاره. إذا كان العقل لا يريد ذلك الاختصاص الذي اختاره صاحبه فسوف يواجه الشخص صعوبة كبيرة في أن ينجح بذلك الاختصاص.

الأمر ذاته مع باقي الناس وفي مستويات مختلفة من التفكير والذين لديهم أجسام وعقول وعواطف مجموعة وفق نموذج متوافق ومتناغم وسعيد. هناك أشخاص يعيشون كامل حياتهم مع مشاعر طبيعية، حيث يحبون أصدقائهم وأولادهم كما أنهم يتمتعون بحضور الحيوانات الأليفة وكذلك نراهم يعملون باجتهاد للمحافظة على منزل مستقر ومتناغم، وقبل أي اعتبار آخر نجده راغباً في إقامة علاقة هادئة وبناءة وسعيدة مع الحياة. لكن على الجانب الآخر نجد أولئك الذين تسيطر عليهم الطموحات، وهم الأكثرية اليوم، وأحياناً يقودهم عقلهم إلى نهايات مأساوية. أينما ذهبنا نجد أن عقل الشخص متناسب مع الجسد الذي يسكنه. عقله متناسب مع شخصيته وحتى يمثل قاعدتها الأساسية. نرى أن عقله يقول له ماذا عليه فعله وكيف عليه التفكير وما يمكنه تحقيقه وإنجازه وكيف يستطيع إثراء حياته. صحيح أنه يوجد

اختلافات بين الأشخاص، لكن هذه الاختلافات ليست بالضرورة حالات تقدم أو تراجع، حيث الفرد الذي يحب الزهور ويرغب في أن يكون بستاني سوف يفلح بنفس المستوى الذي يفلح فيه عالم الرياضيات. وجب منح المزيد من الاعتبار للميول الطبيعية للفرد، لأنه إذا سار عكسها فسوف تسوء صحته وعمله المهني يصاب بخيبات وإحباطات. وإذا كان الإحباط قوياً فقد يصبح الفرد مريض عصبياً أو حتى عقلياً. كل هذا لأنه لا يتناسب مع الحياة التي يعيشها والتي لم تجلب له السعادة أو الاكتفاء الحقيقي. هذا لأن العقل لم يدعم هذه الطريقة في العيش. العقل لم يتناسب مع طريقة العيش التي فُرضت على صاحبه.

لأن العقل يحوز على هذه القدرة، فإن مسألة تعليمه تتطلب تقنيات متقدمة وحكيمة. نستطيع استخدام العقل لكي يعلمنا، لكن علينا إيجاد التفاعل الكيماوي الداخلي المناسب الذي يجعل العقل القائد الطبيعي والسعيد والسليم لحياتنا وحارس صحتنا وحامي سعادتنا، كل هذه الإنجازات تتطلب اعتبار كبير. بالإضافة إلى ذلك، يوجد أمر آخر ذو أهمية كبرى وهو المخطط الشامل لطريقة الحياة التي نعيشها. في هذه الفترة بالذات من تاريخ الشعوب نجد أن كل شيء يسبب التوتر. المنافسة هي شديدة، والفرد يستخدم ملكاته العقلية بطريقة غير سليمة، وهو يفعل ذلك لأنه يظن بأنه يتوجب عليه ذلك. وهو يعتقد بأنه ما من طريقة لتحقيق النجاح والأمان الذين يرغبهما دون استخدام عقله لاكتساب الثروة. بالتالي يبدأ بدفع العقل إلى المرض، لأن هذا العقل ليس مرتاحاً وسعيداً، وهذا يمنعه من حراسة وإدارة الجسم بشكل جيد، ويعجز أيضاً عن إدارة مجريات الإنجازات الحياتية المقدرة للفرد والطبيعية لرغبات القلب. يتحول العقل تدريجياً إلى حالة خطرة، حيث يفكك الأسر ويهدم المنازل ويدمر التفاؤل بالحياة والنزاهة اللازمة لعيشها، وقد يقود إلى الجريمة والفساد، وأخيراً يمكنه أن يدمّر الفرد وحتى الأمة بكاملها.

في هذه الحالة يصبح واضحاً ضرورة اتباع طرق خاصة لكي نحصل على الفوائد الروحية للتفكير الصحيح. لقد ربطنا التأمّل بالدين بشكل وثيق، وأحياناً ربطناه بفلسفة باطنية محددة. لكن في الحقيقة، التأمّل له علاقة أكثر بالحياة الداخلية للفرد،

وهذا يجعل التأمّل صعب التعريف بشكل دقيق، لأن أداءه ووظيفته تكون مختلفة في كل شخص بذاته. يوجد معايير مختلفة بين شخص وآخر. وهذا يجعله غير ممكناً فرض معادلة موحدة للنمو العقلي بحيث تثمر نفس النتيجة لدى الجميع. على كل فرد أن يستكشف نفسه بنفسه. لذلك أعتقد بأنه علينا البدئ بممارسة التأمّل ليس بالإنخراط فوراً بمدرسة معينة أو نظام روحي ما بل عبر إجراء مسح شامل لأنفسنا. نبدأ بالتفكر حول ما نريده وما نريد تحقيقه من الخير الدائم، وكم من مثاليتنا سوف ينشط ويتفعّل، وإلى أي درجة يمكننا مواجهة الصعوبات كنتيجة لقرارنا، والأهم من ذلك كله هو ما الذي سيفعله العقل لكي يساعدنا إذا قررنا استخدامه بالطريقة التأمّلية.

أوّل الشروط التي تتطلبها ممارسة التأمّل هو توفر جو من الهدوء والسكون. وجب على الفرد أن لا يكون منزعجاً أو متأثراً بحالة عدم الاستقرار والتوازن الداخلي. أي بمعنى آخر، وكما عبر عنها أحد الفقهاء في هذا المجال: *".. لم يعد بإمكاننا اعتبار العقل مجرّد ملعب تتلهى فيه النزوات.."* . لكن هكذا هي الحال مع الكثير من الناس. معظم الناس يشكلون حياتهم العقلية بأنفسهم، دون منح أي اعتبار لحاجات العقل الأساسية أو ميوله الطبيعية. البعض يسمحون لعقلهم أن يكون قاعدة لعلاقة طائشة وعابثة مع الحياة، فيتحول إلى كيان محترف في التصورات الخاطئة والمنطق المنحرف وسوء الاستخدام والاستغلال وعدم المسؤولية. لكن الأمر المهم هو أن العقل إذا تُرك ينشأ لوحده فسوف يهذّب نفسه بطريقة معقولة وسليمة لكن بشرط أن تكون الحياة بعموميتها محكومة بفطرة سليمة وصوابية وحسن تمييز. العقل سوف يتعاون مع الميول الطبيعية للشخص. هو يفعل ذلك بهدوء وسلام وبتعاون تام. لكن عندما تتشوّش ميول الشخص فسوف يصبح العقل محنة بدلاً من نعمة. بالتالي فإن الوظيفة الطبيعية لعقل الكائن البشري تتطلب وجود حياة طبيعية أولاً قبل أن يتمكن الكائن البشري من استخدام ملكاته وقدراته وقواه المختلفة بالطريقة التي أقرت بها الطبيعة منذ البداية، وليس كما تقرها البرامج التي تعلم الفرد كيف ينجح في حياته العملية وكيف يصنع المال وكيف يكون ساحراً في محيطه الاجتماعي وغيرها من غايات وأهداف اصطناعية ليس لها أساس أو قيمة بالنسبة للخطة التي رسمتها

الطبيعة لحياة الإنسان. إذا كان الإنسان طبيعي في حياته فسوف يكون العقل لديه مقبولاً وعقلانياً، حيث يستطيع هذا العقل أن يهتم بنفسه ويساعد الفرد على عيش حياته. العقل لدى الشخص العادي هو عقل سعيد، هو يمثل عامل بناء، يكون بسلام مع نفسه ويتقبل نفسه كما هو عليه، ونجده يحفّز باستمرار على دوافع بناءة ومثالية ذات قيمة.

إذا كانت هذه ليست الحال مع الشخص، ونجده يسعى إلى الإنخراط بمنظومة دينية معينة لأنه قرر تحسين حياته الداخلية، فيتوجب عليه أولاً معرفة ما هي هذه الحياة الداخلية. بعض أنظمة التأمّل تنصح الشخص أن يقلّص عقله إلى درجة الفراغ أو خلق صفحة بيضاء تماماً. لكن لاحقاً نقرر بأننا لا نعتقد أن هذه الطريقة هي الأفضل. فنسعى إلى اتباع طريقة أسهل لتحرير العقل من الإرهاق والإجهاد والضغوط المختلفة، ثم نسمح له أن يكون ساكناً. إذا كانت الحياة الداخلية للشخص، أي تلك التي تطفو على السطح خلال النوم وفي الأحلام، أو تلك التي تسبب القلق والحصر النفسي، أو تلك الحياة الداخلية التي لها طبيعة تنافسية وتحمل أحقاد على الآخرين ومعرّضة للغيرة والحسد والحزن الشديد والكره الشديد.. إلى آخره، إذا كانت هذه الأشياء، أو بعضها، داخلة في تركيبة الفرد خلال ممارسته التأمّل، فسوف يستحيل عليه التقرب من الإله الأعلى بنجاح قبل أن يصحح أخطاءه. بمعنى آخر، قبل أن يتمكن من الانخراط في طريقة حياة صوفية عليه أن يعالج الأخطاء العامة في حياته اليومية بأكبر قدر يستطيعه. والمجهود لتحقيق هذه النتيجة يمثل برهان على الصدق والإخلاص. الشخص الذي ينوي التغيير للأفضل ويتخلى عن الأشياء التي طالما أمتعته لاعتقاده بأنها ليست لصالحه، فهذا الشخص هو صادق ومخلص في مسعاه. وبداية الحكمة هي الصدق والإخلاص، وبالتالي فعلى هذه السمات أن تأتي أولاً.

بالتالي عليك أن تبحث في نفسك وترى ما الضروري الذي وجب فعله لكي تكوّن علاقة هادئة وبهيجة وخيرة وسالمة مع تفكيرك الخاص. إذا كان تفكيرك سلبياً باستمرار أو أنك تتوق لشيء ما باستمرار أو أن عدوانيتك وخصوميتك تنتفض لأقل

محفّز خارجي أو أن المجريات العامة في الحياة تمثل معوقات ومعطلات لما تبتغي فعله، فهذا يعني أن عليك العمل على العقل لديك. وهذا بالضبط ما فعله الحكماء منذ أيام فيثاغورث، لكن أنظمة التفكّر العائدة لفيثاغورث لم تكن كما التأمّل الذي نألفه اليوم. كانت ممارسة الاسترجاع بالذاكرة، أو التفكير بالماضي، عبارة عن إجراء يتم خلاله العودة بالذاكرة إلى بداية النهار والبحث عن الأخطاء التي اقترفها الفرد على طول ذلك النهار والنظر إلى عواقب تلك الأخطاء. هذا التمرين الاسترجاعي يساعد الفرد على التحكم بنفسه ويضعه في علاقة تعليمية مع مجرى تفكيره. يبدأ برؤية الأمور التي لم يكن ينتبه لها من قبل. بعض الأحيان عندما يقول كلام بغيض ثم يرغب في نسيانه ويضحك منه ويتناساه، لكن الفرد يستمر في كونه بغيض بتصرفاته وأقواله. لكن تمرين الاسترجاع بالذاكرة يستعرض له تدريجياً كيف أن هذا السلوك سوف يكلفه خسارة أصدقائه وعمله وعائلته وحتى احترامه لنفسه إذا لم يصحح هذه العادة السيئة. إذاً، تمرين الاسترجاع بالذاكرة يساعد في إعادة تنظيم الحياة، واستعادة صلاحية القانون الطبيعي فوق السلوك البشري. ساهم تمرين الاسترجاع بالذاكرة في جعل الفرد يدرك ما قرر الكون أن يجعل وظيفته في الحياة. هذا لا يعني بالضرورة أن الأمر سيحصل فوراً وبسرعة، بل يكشف للفرد هوية إمكانياته الطبيعية المخصصة له.

تمارين التفكّر العائدة للمدرسة الفيثاغورثية كانت ذات طبيعة مختلفة. التفكّر هو شكل من أشكال التركيز. التفكّر هو البحث عن المعنى في الأشياء. التفكّر هو أن يجلس الشخص المتفكّر بهدوء في حديقته ويسمح للزهور أن تتحدث معه ولو بطريقة رمزية. التفكّر هو البحث عن القيمة. هو الغوص إلى ما تحت سطح الأشياء التي تبدو ظاهرياً بأنها سطحية ومن ثم اكتشاف سبب وجودها. يساعد التفكّر أيضاً على ترتيب الأشياء بمكانها الصحيح. هي تساعد الفرد على الاكتساب تدريجياً قوة روحية. التفكّر النهائي هو التفكّر بالحياة ذاتها، والتي بطريقتها الخاصة تمنحنا إحساس جديد بالعلاقة القائمة بين الإله الأعلى والإنسان.

التركيز هو نظام آخر علّمه فلاسفة اليونان القدماء. كانت هذه أيضاً ممارسة مجدية لأنها ساعدت الشخص على تحقيق الاستمرارية في مجهوده الخاص. الأفراد الذين يكون تفكيرهم مبعثر، أي الذين مثلاً ينشغلون بمجموعة أعمال مرة واحدة لكنهم لا ينجزون سوى القليل منها، أو الأفراد الذين يتعبون من أمر ما بسرعة، أو يقرروا تأجيله وتنحيته جانباً لأنه بدأ يبدي صعوبة، كل هذه الحالات هي نتيجة ضعف التركيز. عندما يكون التركيز ضعيفاً أو منعدماً فهذا يجعل الشخص مجرّد من العمق في الغاية التي يسعى إليها. أو هو لا يعرف كيف يجعل إمكانياته وملكاته تتكشّف. انعدام التركيز قد يجعل حالة التلميذ سيئة في المدرسة، كما أنه يصنع ربة منزل فاشلة، أو رجل أعمال فاشل، وكما أنها تصنع قائد خطير في المجتمع. التركيز يعني الالتزام بالمهمة حتى إتمامها إلى النهاية. وإذا لم ترغب بإنهائها فكان عليك عدم البدء بها منذ البداية. لأن الانشغال بها حتى منتصف الطريق ثم التخلي عنها مقابل شيء آخر، كالانتقال من مذهب إلى آخر في الدين، أو من مستوى معين من الإيمان إلى مستوى آخر دون إنجاز شيء على الإطلاق، دون إنجاز أي غاية جوهرية، أو عدم الإستمرارية بالعمل لأن صعوبته بدأت تتزايد، كل هذه الأفعال هي غير مجدية. التركيز هو التمرين الذي كان الفيثاغورثيون معجبون به. كانوا يرغبون في هذا النظام الذي يعلم كيفية المحافظة على الإستمرارية. أي أن كل عمل وجب إتمامه حتى النهاية. لأن القانون لا يتجلى قي نموذج المهمة الموكلة سوى بعد إتمامها حتى النهاية.

هذه هي أنظمة التدريب العقلي لدى الإغريق. وقد وجدت هذه الأنظمة طريقها إلى الفلسفة الأفلاطونية المستحدثة والتي نشأت في الإسكندرية بمصر، ونراها أيضاً في تعاليم الغنوصيين (العرفانيين) لكن بهيئات مختلفة نوعاً ما. هذه التعاليم الأخيرة كانت تمثل خلطة مؤلفة من التفكير الشرقي والغربي معاً. لكنها شملت طريقة يغلب عليها طابع غربي، وهذه الطريقة يمكن تنظيمها وسوغها بطريقة أو بأخرى بحيث يمكنها أن توصل الفرد إلى حالة من الاكتفاء الذاتي والأمان الذاتي كما تجعله قادراً على إدارة حياته بشكل ناجح وفعال.

الطريقة الآسيوية

على الجانب الآخر من موضوع التأمّل نصل إلى الطريقة الآسيوية. آسيا تمثل الجانب الآخر من العملة النقدية. وأقصد بذلك أن الجانب الشرقي من العالم كان ولازال منذ الزمن البعيد أكثر ارتباطاً بالحياة الداخلية والتكريس الداخلي والسعي إلى تنمية المصادر الداخلية بدرجة أكبر من شعوب الجانب الغربي (بما في ذلك الشرق الأوسط). المفكر الشرقي هو مهتم بما هو عليه، بينما المفكر الغربي يهتم أكثر بما لديه (أي ما يملكه). لقد أنتج الجانب الشرقي أنواع كثيرة من الأنظمة، الدينية والصوفية والسحرية بمعنى ما. لأنه في الأنظمة الشرقية، مثل التانترا وغيرها، يوجد خلطة غريبة بين الدين والفلسفة التجاوزية. لكن الحقيقة الأبرز التي يمكننا إدراكها هي أنه يستحيل الإقرار بأن كامل أجزاء بلد معين هي الأفضل في تلك البلد.

يوجد الكثير من الأخطاء في آسيا بقدر ما يوجد أخطاء في جانبنا الغربي من العالم. لكنها أخطاء مختلفة ومن نوع آخر. ولسوء الحظ فإن الآسيويين يتعلمون الأخطاء الغربية الآن لأسباب استعمارية واقتصادية وسياسية وثقافية وغيرها. لكن هذا لا يمنع الآسيويين من أنهم ينقلون إلينا أخطائهم أيضاً. هذا التبادل في الأخطاء هو معقد خصوصاً في المسائل المتعلقة بالدين.

الدين يمثل جوهرياً أساس كافة الجهود البشرية المبذولة بهدف النمو والإرتقاء. الدين لازال معنا منذ بداية التاريخ البشري في هذا العالم. يعود إلى تواريخ مديدة بحيث تتجاوز استيعابنا. الدين جوهرياً له غاية رئيسية واحدة، وهي أن يصل الإنسان إلى حالة تناغم وانسجام مع الخطة الإلهية التي يمثل جزء منها. الدين هو تبجيل الإله، وكذلك تبجيل تلك المبادئ المرتبطة بإرادة الإله. لذلك فقد أصبح الدين مهم جداً. لكن أن يسعى الفرد إلى تنمية مصالح خارجية على حساب إضعاف مبادئه الدينية، هنا تكمن المشكلة. أي بدلاً من السعي إلى كمال حياته الداخلية بصفتها غايته الرئيسية، راح الإنسان الغربي يميل إلى رؤية هذه الحياة بأنها انتقالية ومؤقتة وهذا جعل الكثير من الشخوص البارزة والمهمة في مجال التقدم الاقتصادي والصناعي والسياسي اليوم لا يؤمنون حتى بوجود إله أعلى أو بخلود الروح البشرية، وبالتالي كامل تفكيرهم هو موجه إلى تحقيق الطموحات وإشباع الشهوات في هذه الحياة. هكذا أشخاص في هذه الوضعية تكون إمكانياتهم ضعيفة في مجال الأنظمة التجاوزية. حتى لو حاول أحد هؤلاء الأشخاص الإنخراط بها فالشيء الوحيد الذي يمكنه فعله هو سوء استخدامها.

أما في الجانب الشرقي من العالم، وإلى درجة معينة لازالت قائمة اليوم، يعيش الطفل منذ ولادته في عالم يعتبر بأنه يتخلله علاقة رائعة وسامية بين الأشياء الموجودة ومصادر تلك الأشياء. كانت الآلهة مهمة جداً بالنسبة لعقل الطفل في الشرق. كان الأهل يشكلون مثالاً للطفل، حيث تكون العائلة متدينة بشكل راسخ وواضح، والتزموا بثبات بمبادئهم الدينية، رغم أن هذه المبادئ الدينية لا تتوافق مع معتقداتنا. تلك القناعات الدينية العائدة لهم هي متوارثة من جيل إلى جيل، والطفل يورث حكمة العائلة مع حليب أمه. هذه الحالة تعني أنه مع بلوغ الطفل العشر سنوات أو الاثنى عشر سنة حيث راحت مسألة التأقلم مع المسؤوليات الاجتماعية تتشكل لديه، يكون لديه أيضاً مصدر قوي من الاستقامة الأخلاقية المتوافقة مع معتقد العائلة وحتى المجتمع ككل. كان الدين مهم جداً في حياة الناس، بما فيهم أولئك العاديين والذين ليس لديهم طموحات كبيرة بل يكتفون بفكرة بقاءهم فلاحين أو حرفيين لباقي حياتهم

وعبر الأجيال. هذا النموذ البسيط من الاعتقاد الديني وفر إرشاداً كافياً لحماية الفرد من أخطائه وكذلك صيانته بواسطة الإيمان الذي ولد معه.

في هذه المعتقدات الشرقية، وخصوصاً الهندية، كان أعظم الأمور في الحياة هو وجوب الفرد استعادة صحوته الروحية لإدراك علاقته مع الحقيقة ومع الواقع ومع الله. يفترض منه أن يفعل الأشياء التي عليه فعلها، يبدأ حياته وعليه ديون وجب عليه تسديدها وأهمها دين الولادة إلى هذه الحياة. ربما أوّل الأمور التي يمكننا تناولها بصفتها خلفية المعتقدات الشرقية هو الإيفاء والأداء. أي الدين بالنسبة لهم هو أداء الواجب وإيفاء غايته. ليس هناك شخص متديّن، أو يريد أن يُعتبر متديّن، يسعى إلى تجنب أو التهرب من الأعباء الطبيعية للعيش. مفروض عليه أن ينجز الأقل قبل أن يخوض مع الأكثر. الفرد إذاً يبدأ حياته وهو يحمل دين عليه، يكون أولاً مديناً لوالديه الذين جلباه إلى هذه الحياة. هو لا يستطيع سدادهما، لأنه في الوقت الذي يكون فيه بحالة تمكنه من السداد يكون والديه قد فارقا الحياة. يمكنه تمجيد ذكراهما أو يحترم الأشياء التي فعلاها، لكنه في النهاية لا يستطيع الدفع لوالديه مقابل ما قدما له. لكنه يستطيع إلغاء هذا الدين من خلال منح نفس الفضائل التي اكتسبها منهما إلى أولاده. كما ولد هو في الحياة فمن واجبه أن يساهم في ولادة أرواح جديدة إلى هذا العالم. لذلك فقد سدد الدين لوالديه عن طريق أن يصبح هو والداً وتحمل كامل المسؤوليات والواجبات المترتبة عليه كوالد. هو أيضاً يؤدي واجبه الاجتماعي في العمل، حيث على كل فرد عادي أن يقدم مساهمة في دعم الغاية من وجوده في العالم الذي يعيش فيه. الأمر هنا لا يتعلق بالمال بل يتعلق بالواجب تجاه الطبيعة التي تمنحه خيراتها. الأمر متعلق بالهواء والبحر والزهور والطيور وكل شيء، جميعها تساهم في حسن حالة الفرد، لذلك عليه واجب ليؤديه، وهو جعله واجباً دينياً أن يساهم في خير كل شيء حيّ. لا يوجد أي فضيلة في التهرب من هذه المهمة. لا يوجد أي قوة في الهروب. المسار الحقيقي هو العمل حتى نهاية العمل. وعندما ينتهي ذلك العمل ويكون الفرد قد أدى كل ما عليه من واجبات ومسؤوليات حينها فقط يمكنه التفكير بنفسه. فقط بعد هذا العمل وليس قبله.

بعد أن يصبح الفرد متفرغاً بالتفكير عن نفسه، ربما حينها يفكر في الانخراط في حياة دينية. لأنه بعد انتهاءه من واجبات هذا العالم، يكون من واجبه الصائب، وفقاً لفلسفته الدينية، أن يحضر نفسه لمواجهة ما بعد الموت. عليه أن لا يذهب إلى العالم الآخر وهو غير مجهّز، وعليه أن لا يتأمّل حول ما سوف يحصل معه هناك. عليه أن يكون ثابتاً في التسليم بحقيقة أن حياة جيدة وتكريس صائب وسليم سوف يحضرانه بشكل جيد للإنتقال إلى العالم الآخر. وحينها تبرز مسألة جعله متآلفاً بعقله مع فكرة الانتقال إلى العالم الآخر، وبعدها لم يعد الخوف من الموت يزعجه بأي طريقة، حيث سوف يعتبر الموت مجرّد خطوة تالية نحو تكشّف الصورة الكبرى، هو يمثل درجة أخرى في مسيرة تطور الحياة البشرية. بعد التوصل إلى هذه الاستنتاجات قد يصبح هذا الفرد كائن تكيف مع الحياة المتفكّرة، أو تكيّف مع ما يمكننا اعتباره التأمّل، والذي يعني قدرة الفرد على استخدام المصادر الداخلية من حياته بطريقة بناءة.

إذا كان العقل يحاول فعل ما هو صائب، بينما الفرد يجره وراءه عبر حالات مختلفة من المساومة والجنح والأثم وغيرها، العقل الذي هو ليس كيان روحي بذاته بل عبارة عن جنّي محبوس في قارورة، يقول لصاحبه: *".. حسناً، إذا كنت تريد مليون دولار فسوف أجلبه لك.."*، فيبدأ العقل بتفضيل حيازة المبلغ على كل شيء نريده في حياتنا. لكن في النهاية، هذه الأشياء التي نحبها والتي يمنحنا اياها العقل هي ليست دائمة وليس لها أي قيمة جوهرية وعندما تأتي اللحظة الحاسمة بحيث يحين موعد مغادرة الفرد لهذا العالم يغادره وهو غير محضر نفسه لهذه الرحلة وغالباً ما يكون مرعوباً. الفرد يستطيع أن يجعل العقل يفعل ما رغبه، لكن من المؤكد أن النهاية سوف تكون مأساوية. هذا لأن العقل استُخدم بطريقة غير سليمة، ولأن الفرد لديه توجهات غير سليمة أساساً ويريد من العقل أن يساعده على إثبات صحتها.

لهذا السبب نجد أن كافة أنواع المدارس الفكرية يمكن إثبات صحتها من خلال تكريس العقل لتقبل آراء ومعتقدات وأقوال ذات توجهات محددة. يستطيع العقل أن يجعلنا نتقبل فلسفة معينة ومن ثم ندافع عنها حتى الموت رغم أنها قد تكون تافهة

وغير جديرة بكل هذا الاهتمام والتضحية. العقل إذاً هو مخادع. وخلال الاجتهاد في سبيل نزع الخداع عنه علينا التوقف عن سوء استخدامه، ونستخدمه بالطريقة السليمة التي وجد من أجلها. لذلك فإن عملية التكريس الديني في الحياة تصبح أخيراً التحقيق النهائي لنمط حياة خاصة بحيث كل شيء فعله الشخص عبر السنوات السابقة تعمل على تنشيط الفضائل والأخلاق التي يتمنى أن يعززها. تصبح طريقة جديدة وكاملة للنمو عبر المرحلة التالية نحو العلاقة مع المطلق.

بعد أن تحمل الأفكار السابقة في ذهنك وتحمل كتاب ما يتناول موضوع التدريب الروحي وتقرأ عن منظومة خاصة للتدريب، سوف تلاحظ بأن موضوع المنظومات التدريبية يشبه تماماً موضوع الأنظمة الغذائية التي تستهدف تخفيض الوزن حيث كل منظومة تزعم بأنها الأفضل، لكن في النهاية نكتشف بأن كل هذه الأنظمة والوسائل والوصفات المختلفة هي عبارة عن مبررات لشيء ما. صلاحيتها تعتمد على دعم العقل الساكن والقلب الهادئ. لا يمكن أن يكون هناك قيمة في أي تمرين ذو طبيعة دينية إذا لم يمتثل مع الالتزامات اليومية للشخص. وجب على الاستقامة الأخلاقية أن تأتي أولاً. الفرد لن يكون روحانياً من خلال أنظمة التدريب وتمارينها. فقط مدى روحانيته تستطيع أن تجعل نظام التدريب ممكناً. ربما تكون هذه مقاربة مختلة عن ما نألفه بخصوص أنظمة التدريب.

لذلك عندما تظن بأنك وجدت طريقة جديدة ولطيفة لتتحسن وتنمو بشكل أسرع وأسرع، من المجدي أن تجلس مع نفسك للحظة وتسأل: هل أنت تستحق هذا التحسن السريع؟ اسأل نفسك: هل أنا أقوم بهذا العمل من أجل تحسين حياتي فعلياً؟ أم أنني أحاول التهرب من مسؤولية حالية تزعجني؟ الفرد الذ يعاني من حالة عصبية وينخرط في نظام تدريبي سوف يواجه حتماً المشاكل. المشاكل تحصل عندما تُستخدم أنظمة التدريب كبديل عن الاستقامة الأخلاقية. أو الفرد الذي يؤمن فعلاً بأنه إذا بقي ساكناً وهادئاً لمدة نصف ساعة سوف يُسامح على كافة الخطايا التي اقترفها في حياته. هذا الفرد قد انحرف عن النقطة الجوهرية في الموضوع. لأن كل الفضائل في حياته، وليس الارتكابات، هي التي تجعل تلك النصف ساعة الساكنة

مهمة. وكذلك الفترات الأطول من التأمّل هي بأغلبها وسائل تهرّب. الفرد خلالها يحاول التهرب من عواقب أفكاره وعواطفه وسلوكه. يحاول الهروب من النفس التي هي نفسه وذلك من خلال محاولة استبدالها بنفس إلهية يأمل أن تكون مختبئة في مكان ما بداخله. إذا لم يجري التعديلات في نفسه أولاً فسوف يفشل كامل مشروع التدريب أو منظومة التمارين التي انخرط فيها.

التأمّل هو كما الصلاة، هو تعبير عن قلب مخلص ومكرّس نفسه. من دون هذه الحالة أولاً، سوف لن يكون هناك أي نتيجة مجدية. رغم أن العقل يستطيع إقناعنا بأي شيء. يستطيع العقل إقناعنا بأهمية هذا المجال التأملي، لكن هذا مجرّد توجه فكري ناتج من نمط فكري عام اعتدنا عليه. لذلك يمكننا دعم منظومة تأمّل معينة نتيجة إغراء العقل، لكن بنفس الوقت ليس لدينا أي خلفية معلوماتية عن الموضوع بالكامل. يمكننا ممارسة تمارين معينة وصفها أحد الخبراء في كتابه، لكن في الحقيقة هذه التمارين تكون بعيدة عن الواقع الفعلي للموضوع. هذه التمارين لن تتجاوز أبداً حدود القفل العقلي الذي يجعلنا معتادين على طريقة حياة غير بناءة ولا مفيدة ولا لها قيمة فعلية لنا. كل تلك الأمور الخارجية تصبح مجرّد قرابين تُجلب إلى مذبح الإله لدينا. نجلب زهور أعمالنا النبيلة وفاكهة التزاماتنا ونجلب صلاوات شفاهنا وتأملات قلوبنا، لكنها تبقى قرابين وعطايا نجلبها من خارجنا، علينا في الواقع أن نستحقها بأنفسنا. علينا أن نفعل الأشياء بالطريقة التي وجب فعلها.

إن كامل نظرية التأمّل هي بجوهرها الإدراك لحقيقة أنه إذا صرنا طبيعين بما يكفي داخل أنفسنا، إذا تخلصنا من كل شيء اصطناعي، ما سوف يبقى هو الواقع بعينه. أما فكرة جعل العقل صفيحة بيضاء فهي فكرة خاطئة بحيث ليس هذا ما وجب علينا فعله، لأنه في اللحظة التي فعلنا هذا سوف نفتح الأبواب للظواهر النفسية المختلفة والتي قد تمثل زقاق أعمى ومظلم، حيث قد تسبب ظهور كافة أنواع الأوهام النفسية، والكثير من الناس عانوا المرارة من حقيقة أنهم بالغوا في تقييم مستواهم الروحي. هم يظنون بأنهم يقومون بالأمر الصائب، ويعتقدون بأنهم يخدمون الحقيقة، ومقتنعون

بأن المنظومة التي يتبعون لها هي مقدرة من الله. لكن على المدى البعيد سوف ينتهي بهم الأمر في حالة عصابية ميؤوسة وغالباً ما تكون غير قابلة للعلاج.

لذلك فإنه أمر صائب أن ندرك بأننا لا نحاول أن نجعل العقل صفيحة بيضاء، بل ما نحاول فعله هو جلب العقل إلى حالة يكون فيها قد تخلى من أخطائه بدرجة كبيرة. العقل الذي يستخدم في مجال التأمّل سوف يقوم بالهلوسة بشكل كبير إذا لم يتم تنظيفه أولاً. يمكنه أن يهلوس بأشياء قرأناها أو أشياء قالها لنا أحدهم أو يتصور رموز قديمة أو غيرها، لا يوجد حدود لما يمكنه فعله خلال إغراقنا بعناصر مختلفة خاطئة ومحرّفة وزائفة. لكن عندما يكون العقل سليماً فسوف لن يفعل هذا. سوف يبقى هادئاً وبسلام، ويسمح لشيء آخر أن يسود تدريجياً. خلف العقل الذي نألفه في حياتنا اليومية يقبع التكوين الأسمى في الكائن البشري. الجانب الإلهي من طبيعته، أو الجانب العلوي من العقل، أو العقل العلوي، أو النفحة الإلهية، أو الروح وعلاقتها بالكون.. كل هذه الأشياء تقبع فوق مستوى العقل الذي نألفه. لكن العقل يستطيع أن يسترخي تدريجياً إلى النقطة التي تمكن الفرد من إدراك أو شعور أو لمس بعض من هذه الكيانات السامية في كيانه. لكن هذه الكيانات السامية تكون محجوبة بكل أنواع الظواهر النفسية الزائفة التي قد يخلقها العقل. الحل الآمن الوحيد لكامل المشكلة هو أن يقوم الفرد بتنظيف العقل كلياً قبل أن يستطيع الوثوق به والاتكال عليه. يمكن للعقل أن يكون خادماً للواقع الحقيقي، لكنه يمكن أيضاً أن يكون خادم للخيال الوهمي. إذا لم يوازن الفرد إحساسه بالقيم بشكل سليم فسوف يستمر العقل في مساعدته على خداع نفسه. سوف يستمر بمواجهته مع أوهام معتقداته الخاصة وكذلك بأوهام المذهب أو المنظومة أو المجموعة التي يرتبط بها. لا يستطيع الفرد أن يحقق غايته النهائية حتى يتجاوز أوهام الحياة.

على الجانب الآخر، إن للطبيعة طريقتها الخاصة في فعل الأشياء. الفرد الذي يثبط مسار الطبيعة، فقط لأنه يظن بأن هذا التثبيط هو فضيلة، سوف يقع أيضاً في مشكلة. ما كان عليه أن يفعل ما هو مناقض للقوانين البسيطة للحياة. الدين هو إيفاء وليس تثبيط. الفرد لن يدرك غايته من خلال المعاناة من فقدان ما يحبذه. بدلاً

من ذلك، هو يدرك غايته من خلال التمتع بالأشياء التي تعلم أن يعتبرها الأفضل. هو لا يتخلى عن شيء يحبه بل يتخلى عن اعتقاد مزيّف ويستبدله باعتقاد حقيقي مكانه. لذلك لا يوجد مشكلة تثبيط. الكثير من الأفراد والمجموعات الدينية يبدؤون حياتهم الدينية من خلال التخلى عن العالم الدنيوي بالكامل. لكن هذه العملية تنتهي بحالة واحدة فقط، العالم هو الذي يتخلى عنهم. الإيفاء يعني أن كل واجب أو كل مشكلة واجب مواجهتهما ومعالجتهما. لا أحد يستطيع الهروب من المسؤولية ويستبدل التأمّل مكان العمل اليومي. وجب أن تكون مسألة إيفاء صحيح وسليم لكل خطوة على الدرب. وإلى أن نعالج المسائل الصغيرة التي ترافقنا دائماً فسوف لن نُمنح المعالجة للمسائل الكبرى. إلى أن نواجه مسؤوليات هذا العالم فسوف لن نحوز على مرتبة عليا في العالم الذي يقبع ماوراءه.

علينا أن نتذكر دائماً بأن لا نهرب من المشاكل. وأن لا نحاول التهرب من هذه البيئة الرهيبة والمريعة التي اجتمعنا جميعاً لنخلقها والتي نحن مسؤولين عنها بدرجة معينة. بالتالي، من أجل أن نحصل على سلام من خلال الهروب من المشاكل المادية هو أمر واهم بالكامل. السلام ليس متمركزاً في الأشياء المادية، بل هو داخنا. وإلى أن نجد السلام في داخلنا يستحيل أن نتخلص من التخاصم والنزاع. لكن يوجد هناك طريقة واحدة فقط، وهي الاختلاء المؤقت. إنه أمر سليم أن يرغب الفرد في مناسبات معينة أن يقيم خلوة لمدة أسبوع أو اثنين لتغذية روحه عبر الراحة قليلاً من تعقيدات حياته العادية، لكن عليه أن يجري هذا الاختلاء بهدف إجراء تغيير شامل لحياته. لكن هناك أمور أخرى يمكنه فعلها. قد يجد مجموعة من الناس المنشغلة بفعل الأشياء التي علينا جميعاً فعلها. يمكنه الانضمام معهم لفعل ما يفعلونه. لكن محاولة الهروب من المشاكل من خلال الابتعاد عنها ببساطة، يعتبر خطأ كبير علينا تجنبه بأي طريقة ممكنة.

بعد أن ننشغل لفترة من الوقت بموضوع التأمّل، نحاول أن نتعرف على المزيد بخصوص توجهات العقل في مسائل التأمّل. لكن كيف علينا مقاربة هذا الموضوع؟ أفترض بأن المقاربة الأسهل له هي عن طريق التحسين والتهذيب التدريجي لمبدأ

الصلاة. يعتبر الصلاة من قبل الأغلبية بأنه طلب مستمر من قبل الفرد، سائلاً القوة الإلهية لأن تحقق حاجاته الشخصية أو أن يضع نفسه في رحمة الإله خلال وقوعه في مشاكل كان عليه معالجتها بنفسه وبواسطة مصادره الشخصية. بالتالي فإن الفكرة القديمة التي تجعل الصلاة مجرّد طلب شخصي أو سؤال أو استجداء، وكأن الأمر صائباً وسليماً أن يسأل الفرد ما يرغبه ويريده في كون يتمتع بإمكانيات لامحدودة، هذه الأفكار تنتمي لمقاربة عقلية غير منظبطة. في الحقيقة، وجب أن يكون الصلاة كما كان في الأزمنة القديمة، أي عبارة عن مبادرة شكر وامتنان. إذا كان علينا أن نتخذ توجه معين من الكون الذي نعيش وسطه وجب أن يكون توجهاً شاكراً وممتناً. السبب الوحيد الذي جعل الأمور تبدو غير مستحقة للشكر يعود إلى تصرفاتنا وأفعالنا. لقد تم منحنا كل شيء ضروري لخوض الحياة، كافة المصادر الداخلية والملكات التي تستطيع مواجهة أي نوع من المواقف والظروف يمكن أن نتورط فيها. علينا أن نكون ممتنين لمنحنا امتياز النمو. علينا أن نكون ممتنين لمنحنا امتياز المشاركة. علينا أن نكون أكثر سعادة عندما نعطي شيئاً بدلاً من أخذه. علينا أن نعتبر أنفسنا مواطنون في المجتمع العظيم، الغموض الكوني العظيم للحياة. نحن كائنات مذهلة ونتمتع بمهارة عجيبة، نحن هنا لغاية أكثر أهمية من الخروج والموت في حادث سيارة. نحن هنا أيضاً لكي ندرك بأن امتلاك ما هو ضروري قد يكون ممكن لدرجة معينة، لكن الامتلاك المبالغ به يتحدى السبب الفعلي وراء وجودنا. علينا أن نعيش ببساطة وهدوء واعتدال. ومن خلال ضبط حالة الإقراط في شهواتنا سوف نقترب أكثر وأكثر من السكون العظيم لحالة التأمّل الحقيقي. الحالة ليست عملية طلب واستجداء، بل حالة اعتراف وإدراك مباشر للأشياء التي علينا أن نكون ممتنين ومتشكرين لها. إنها فرصة لنا لكي نعبر، عقلياً أو جسدياً، عن احترامنا الهائل للمخطط العظيم الذي نسير وفقه ونعيش في رحابه. وعلينا أن نسعى إلى تكريس أنفسنا لخدمة ذلك المخطط. حتى البحث عن المعرفة عليه أن يستند على هذا الأساس. علينا أن لا نستخدم العقل لمراكمة تلك المعلومات التي لا يمكنها الإستمرار معنا بعد الموت. علينا أن لا نستعمل العقل للتعامل حصرياً ودائماً مع الأمور المؤقتة، أو المتع الشخصية. يمكننا أن نختبر المتع المختلفة، لكن بشرط أن نفهمها. وجب أن ندرك بأن المتعة الحقيقية هي اختبار الواقع الحقيقي، أي بطريقة

لطيفة معينة نكتشف حقيقة الأشياء. لكن عندما تكون المتعة عبارة عن إسراف مبالغ به فلن يكون له أي علاقة أبداً بنمو الشخص.

إذاً، على طول الطريق لدينا مشكلة مستمرة في محاولة تكوين توجه نحو إدراك حقيقة أن التشاؤم مستحيل. كيف يمكننا أن نكون متشائمين في كون يتسم بالإحسان الأبدي؟ كيف يمكننا الشكّ بشرعية الخلق الذي حتى أصغر جزئية فيه تمثل تحفة شرعية رائعة؟ كيف يمكننا الشك بالعوالم المختلفة والتي قد يساعدنا العقل على إدراك بعض منها وبهذه الطريقة يمكنه المساهمة في تحسننا. عندما يزداد وعينا بعجائب الوجود سوف يزداد إيماننا بشكل متوازي. أنا أعرف أشخاص شاهدوا الكثير من الأفلام الوثائقة الرائعة عن الطبيعة والأبحاث التي أجريت فيها، لكنهم في النهاية لم تترك هذه المشاهدة أي تأثير دائم في أنفسهم. تراهم يستعجبون من سلوك بعض الكائنات والذي يدعو للعجب فعلاً، لكن هذا الاعجاب يكون مؤقت ثم يتم نسيانه. ليس هناك إدراك أو اعتراف بفخامة هذه الكائنات الحية. ليس هناك إدراك لحقيقة وجود جواب واحد وهو وجود حياة مطلقة وحكمة مطلقة ومحبة مطلقة تحكم كل شيء. وجب أن يكون التأمّل عبارة عن إعادة إدراك لهذه القيم في أنفسنا. على التأمّل أن يمثل عملية تصحيح لأي خوف يظهر في العقل لدينا. وجب أن يعمل التأمّل بإستمرار على إعادة ضبطنا وإعادة منحنا الإستخدام الكامل لقوة التمييز. وجب أن يكون التأمّل مترافقاً مع الاستعجاب ومع الذهول ومع الإدراك الهائل لبيئتنا. يقولون بأن العاطفة الأولى التي تتجلى لدى الطفل الصغير هي الإستعجاب. يفتحون عيونهم إلى حالة لا تصدق من الأشياء. الشخص الحكيم جداً والذي يكون مكرّساً للإنجاز الأسمى من الدين، يفتح عيونه الداخلية إلى كون من العجائب اللانهائية. كون تكون فيه كل الأشياء الخيرة ممكنة. لكن فقط الجهل يقف بين الفرد وبين وإثراءه لحياته.

قد يقول البعض أنه ربما وجب أن لا يمنح الكون الإنسان ملكات وقدرات ليستخدمها. لكن هناك شيء آخر وجب أن يؤخذ بالحسبان، في مكان ما في المستقبل الأبدي للأشياء نجد أن كل فرد يبني نفسه لتحمل مسؤولية معينة، أي هو ينمو باتجاه شيء

ما. هنا في العالم الحالي قد يكبر الشخص ليصبح والد، أم أو أب، لكن في مكان ما في الفضاء نحن أيضاً نكبر من ناحية المسؤوليات. وفي مكان ما على طول الدرب لدينا أيضاً عمل لنفعله، ومصير لنلقاه. لدينا عمل كبير ننجزه تجاه الخير الكوني الذي نعيش في رحابه. والطبيعة تحرص بطريقتها الخاصة على أنه قبل منحنا المزيد من السلطة سوف نتعلم كيف نستخدم ما لدينا حالياً بحكمة. الفرد الطموح، ومن خلال تحريف وإفساد سلطته، سوف يتراجع إلى حالة متواضعة جداً، لأنه أساء استخدام امتيازاته. قبل أن يتم الوثوق بالفرد لينتقل إلى شيء أفضل، عليه أن يثبت حصرياً بأن لديه الشجاعة وقوة التمييز والإلتزام ليستطيع العيش كل يوم متوافقاً مع نور الحقيقة. عملية الاختبار تشبه شعائر الانتساب التي كانت تقام في العصور القديمة. في تلك الأيام، عندما أراد الفرد أن يكرس حياته لخدمة الآلهة، كان أولاً يخضع للاختبار. كان عليه أن يحوز على معرفة أوّلية، وكذلك عليه أن يكون ملماً بثلاثة علوم على الأقل، والعلوم المفضّلة كانت الرياضيات والموسيقى والفلك. كانت هذه علوم لا غنى عنها، وكان يقال له خلال دراستها بأن عليه أن لا يكسب منها ولو قرشاً واحداً، قد يصبح معلماً في مدرسة وبالتالي سوف يبقى فقيراً. ما كان ضروري هو أن عليه أن ينمي بداخله قوة تمييز، أي يفتح نافذة أو باب بداخله ليتمكن من رؤية شيء أكبر من الطبيعي. الرياضيات مكشوفة في كل مكان في الطبيعة. مجرد أن تعلمت المبادئ سوف تتمكن بعدها من رؤية تلك المبادئ متجلية في كل زهرة وكل جناح طير وكل بلورة صخرية.. وكل شيء آخر. الرياضيات هي الباب الواسع لمعرفة قوانين الوجود. أما الفلك فهو الباب المفتوح للكون، إلى المساحة الهائلة للعوالم والشموس والنجوم والتي تمثل جميعاً شهود على ذكاء أسمى، على واقع إلهي وقوة لانهائة تتجاوز كل إدراكاتنا واستيعابنا. هذه القوة التي بعد أن نبدأ بفهمها تفرض علينا الركوع خشوعاً وتبجيلاً للخطة التي جعلت وجودنا ممكناً. أما العلم الثالث والذي هو الموسيقى، فيكشف عن الجمال والتناغم والعجائب والمتع التي للفنون. الإدراك المستمر لحقيقة أن كافة الفنون الخلاقة تكشف عن قوانين تعمل في طياتها. قوانين الوجود هي ظاهرة بوضوح، ودراستها تكون أسهل، في مجال الرياضيات والفلك والموسيقى.

عندما يصل المريد اليافع إلى نقطة بحيث يبدأ النظر إلى الأشياء، والنظر إلى داخلها بنفس الوقت، بحيث لم يعد شيئاً بعدها عديم المعنى. ليس هناك شيء عديم المعنى أصلاً. إذا وجد شيء عديم المعنى فلا بد من أن يكون وهم أو خيال، وبالتالي فهو ليس شيء بذاته. من هذه النقطة وصاعداً يبدأ المريد بتنمية استقامته الأخلاقية، ويبدأ بتمييز التزاماته وهدف إخلاصه. ومع مرور الوقت يُسمح له بالدخول إلى الحرم وتجري أوّل شعائره الانتسابية. هذه الشعائر تكون بهدف التطهير، والتي وجب أن تسبق منظومة تمارين التأمّل. شعائر التعميد العظيمة للماضي القديم كانت تهدف إلى تطهير القلب والعقل والمهنة مهما كان نوعها. وكذلك إعادة التكريس لمبادئ الاستقامة الكونية. إذا نجح الفرد في تجاوز هذا الاختبار يكون قد حاز رسمياً على مرتبة المريد. تشمل الاختبارات التي تأتي فيما بعد مسائل جسدية مختلفة بحيث عليه أن يظهر الشجاعة الجسدية والسيطرة على الألم والسيطرة على كافة الدوافع والشهوات والتحكم بعواطفه وأفكاره، عليه أن يثبت بأنه سيداً لروحه. إذا نجح أخيراً في كافة الاختبارات التي تأتي فيما بعد، ومنح شهادة الإنتساب إلى كهنة المعبد، عليه أن يقطع عهداً بأن يستخدم كل ما تعلمه، بالإضافة إلى كل مهارة يحوزها في حياته، وكل قيمة يملكها، في خدمة الخير العام. هذه الأنواع من الالتزامات لن تكون ممكنة إذا لم يختبر الفرد شيء ما داخل نفسه. إنه صعب جداً بالنسبة للإنسان العصري أن يفكر في تكريس مهاراته فقط لخدمة الآخرين. لكن في الحقيقة هذه هي قيمته الوحيدة. لكنه رغم ذلك حول كامل مهاراته الآن إلى سلع تجارية قابلة للبيع والشراء، وبالتالي جعله صعب جداً عليه مشاركة صعوبات الحياة ومشاكلها مع الآخرين.

نصل الآن إلى منظومات التأمّل ثم نسأل أنفسنا: كيف يمكننا إدخال الأفكار السابقة إلى منهجها؟ كيف يمكننا أن نعيش هذه الطريقة الجديدة في العالم الذي نعيشه اليوم؟ في الحقيقة يوجد دراسات كثيرة عن أشخاص واجهوا كل أنواع الصعوبات والمشاكل خلال عيشهم هذه الطريقة الجديدة في هذا العالم العصري الذي لا يناسبها إطلاقاً. لكن بعد مراجعة تلك الصعوبات والمشاكل توضح أمر بشكل جلي. الشخص العادي لم يسبق أن وضع في موقف يتجاوز سيطرته. هو قد لا يستطيع السيطرة

على الموقف، لكن لم يطلب منه أبداً أن يفعل شيء متجاوز لقدرته على الفعل أو الفهم. ليس مفروض منه سوى أن يعيش وفق أفضل ما يعرفه. وإذا عاش وفق أفضل ما يعرفه فسوف تبدأ المشاكل بعلاج نفسها بطريقة عجيبة. لأنه مجرّد أن بدأت تجرّد المشكلة التي تواجهها من تدخل عواطفك وتفكيرك، أي في اللحظة التي تتوقف فيها عن الأسى على نفسك، أو اللحظة التي بدأت فيها تقبل حق الآخرين في الوجود ومن ثم تحترم طريقتهم الخاصة في الحياة، أي بمعنى آخر، عليك التوقف عن فعل لأشياء التي وجب عدم فعلها، فتجد بعدها أن المشاكل بدأت تنحسر وتزول تدريجياً. هذا لا يعني أنه عليك العيش تحت إدارة سياسية مختلفة، ولا يعني أنه عليك تغيير دينك أو مذهبك، ولا يعني أنه عليك التخلي عن عملك المهني. المقصود هو السعي إلى الاقتراب أكثر للاستخدام السليم لملكاتك. ليس عليك أن تتوقف عن العمل بل عليك أن تتعلم كيف تعمل بشكل سليم. الفرد العادي يمضي معظم وقته وهو يفكر كيف يمكنه التخلي عن العمل. لكن في الحقيقة، هو لا يتمتع بالعمل لأنه يمضي معظم وقته في حالة شكوى وتذمر من العمل. لكن عندما يعتبر عمله بأنه مساهمة في الخطة الكونية حينها سيكون العمل عبارة عن إيفاء وليس معاناة. إذا كان الأمر متعلق بالوضع المنزلي، والذي غالباً ما يطغي على باقي المشاكل، سنجد الأنانية والتوجه الخاطئ الذي يرفض الفرد الاعتراف بوجودهما وهذا سيؤدي حتماً إلى تفكك الأسرة وحتى الانفصال الكامل والذي يمكن تجنبه إذا ساهم أحد الزوجين بالعمل الجاد والمسؤول لتجنب هذا المصير. الأمر ذاته يتعلق بالأولاد، حيث يصعب في هذه الأيام السيطرة على طبع الصغار، لكن عندما يعتبر الوالدان، كما يفعل الهندوسي، بأنهما يحملان دين على عاتقهما من والديهما وعليهما سداد الدين من خلال الاهتمام بأولادهما ومنحهم أكبر قدر ممكن من الرعاية والاهتمام، بغض النظر إذا أحبا ذلك أم لا، وإذا تربى الأولاد بشكل سليم سوف يكتشف الوالدان بأن المشاكل تقل أكثر وأكثر. لكن إذا ظهرت المشاكل رغم ذلك في المستقل، فسوف يتمكن الولد من مواجهتها بالاعتماد على تجربته الخاصة في الحياة. يمكن جلب الأمور للإنتظام رويداً رويداً إذا تحمل الفرد حصته الكاملة من المسؤولية، واعترف بحصته الكاملة من المشاكل التي تحيطه.

إذاً، ليس هناك مشكلة كبرى في محاولة العيش بشكل أفضل. قد تكون بعض النهايات صعبة قليلاً لكننا لا نواجه أي من النهايات في الوقت الحالي. إذا قام الشخص بخطوة واحدة مستقيمة للأمام في فترة حياته يكون قد حقق الغاية من وجوده. الأمر المهم هو أنه سيغادر هذه الحياة بشكل أفضل، ولو بدرجة قليلة، من ما كان عليه عند ولادته. عليه أن يكون أفضل بما يكفي من حيث القيمة والتفهم والبصيرة والإدراك، وبدرجة أكبر مما كان عليه عندما جاء إلى الحياة. ليس متوقعاً منه أن يكون كاملاً. لكن يُتوقع منه أن يدرك تدريجياً أهمية الحياة الداخلية مقابل الظروف الخارجية. إذا كان يفعل ما مفروض عليه فعله سوف يكتشف أيضاً بأنه عندما يجلس بهدوء في مكان معزول ويجري حديث مع نفسه يجد بأنه مع رفقة جيدة. يجد بأنه شخص سهل المعشر والمعاملة، ولديه أحلام وآمال وإلهامات. كما أنه يبدأ بالتفكير في جماليات الحياة. جماليات الوجود وحصته الخاصة فيها. يجد أن الأشياء ليست غير مهمة لأنها قليلة أو صغيرة ولا أنها مهمة لأنها كبيرة أو كثيرة. بعد تهدئة نفسه، يتوصل الفرد تدريجياً إلى نقطة تبدأ الأشياء بأن تبدو جميلة بالنسبة له. يجد بأن الحياة الداخلية في حالة سلام. والسبب الذي كان يجعلها عديمة السلام هو حياته الخارجية. وعندما يبدأ معالجة الموضوع يحقق تدريجياً ما يمكننا وصفه بحالة تأمّلية دائمة. قال "سوامي فيفا كناندا" في إحدى المناسبات: ".. الحالات التأمّلية هي جوهرياً حالات مستمرة من إدراك الخطة الإلهية.."، أي مجرّد أن استطاع الشخص أن يفكر وفق هذه الطريقة، سوف يتمكن من إيجاد حلول مباشرة لأي مشكلة تطرأ في حياته. هو لم يعد يحمل مرارة في قلبه، ولم يعد موهوماً، ولم يعد مهوساً بطموحات غير متحققة، ولم يعد قلقاً من مسؤوليات تم إهمالها، لأنه في الحقيقة لم يترك شيئاً غير منجز ولم يتجنب أي مسؤولية، وكنتيجة لذلك، تكون حالته كما قالها الصينيون: ".. في الأزمنة القديمة نام الإنسان دون أن يحلم.."، فالأحلام بمعظمها هي تعبيرات عن القلق الذي نعاني منه، القلق على الأشياء التي لم نفعلها رغم وجوب فعلها، أو تلك التي فعلناها رغم وجوب عدم فعلها. ومجرّد أن بدأت هذه الحالة تتوضح أكثر ومن ثم تريح نفسها بنفسها، سوف يجد الفرد بأنه يستطيع النوم بعمق وسلام وكل شيء سوف يسير بشكل جيد. وحتى بعد أن

يستيقض ويمضي يومه في النهار سوف يستمر السلام بمرافقته. سوف تكون حياته لطيفة ومسالمة ومثمرة.

هناك أمور كثيرة في داخلنا والتي لم نستخدمها لفعل شيء. والتأمّل هو في الحقيقة إجراء يساعد على الدخول تدريجياً في حالة إدراك وثيقة وبناءة لطبيعتنا الحقيقية. التأمّل هو عيش الفرد بشكل مستمر في نور الشجاعة والتفهم والسلام الداخلي. نجد في عالمنا العصري الكثير من الناس الذين يحاولون دائماً الهروب من أنفسهم. يريدون الهروب من الملل. لذلك نجد الفرد يقوم بكل أنواع الأشياء. بعض تلك الأشياء ليست سيئة أو مضرة لكن لها معنى أو قيمة في لحظتها فقط. فنجده يمضي ليلة في الأسبوع يلعب الورق مع أصحابه، ثم نجده يقضي نهار في الأسبوع يشاهد مباراة كرة قدم أو غيرها، وهكذا يمضي معظم أوقاته إما يتسلى بلعبة إلكترونية أو مع أصحابه إما مباشرة أو على مواقع التواصل الاجتماعي.. نجده دائماً يشغل نفسه بأمر معين. لكن في الحقيقة ما الذي يفعله مع كل هذه المنافذ لتضييع الوقت؟ الجواب هو أنه لا يفعل شيء له قيمة، بل كل ما يفعله هو محاولة الهروب من نفسه. هو يحاول أن لا يكون بحالة ملل. لديه بعض من السنين ليمضيها في هذه الحياة والتي وجب عليه فعل كافة الأشياء الرائعة، لذلك نراه جالساً أمام التلفاز ويحضر برنامج سخيف وعديم القيمة، أو يتلهى بالجوال بين يديه، محاولاً أن يتخلص من أعباء الوجود. هو يريد أن يبعد عقله عنه وعن حالته المزرية. غالباً ما كان يفعل الناس ذلك من خلال إبعاد عقولهم عنهم، وذلك بواسطة توجيهها إلى الآخرين والالتهاء بمشاكلهم وعيوبهم عبر النميمة والثرثرة الانتقادية القاسية. لكن ما هو الحل لهذه المشكلة؟ الحل هو بسيط، علينا إدراك حقيقة أن كل فرد لديه حياة خاصة به، وأن التأمّل هو العيش باستمرار في نور الإدراك الداخلي. هو إدراك عميق بالقيمة، هو طريقة فعل الأشياء بشكل أفضل، هو طريقة للنمو نحو الجميل والمحبب، وهو النمو الطبيعي كما أزهار الوديان والحدائق التي تنمو، لأن النمو هو من طبيعتها.

الإنسان أيضاً ينمو، لأن النمو هو من طبيعته، النمو هو غايته وسبب وجوده. لا أحد يقول له هذا. لا أحد يجبره على النمو. لا أحد يقول له بأن عليه النمو. لكن النمو هو في الحقيقة إنجاز مستمر، هو الكائن الذي نحن عليه فعلياً والذي يتقدم تدريجياً عبر ضلال أخطائنا. هذا الكائن هو المعجزة التي منحت لنا منذ البداية. هو الحضور الذي يجعلنا أمامه مندهشين مذهولين، ورغم عظمته وهوله يمكنه التجلي عبر شيء بسيط، وهو طريقة حياة معقولة وبسيطة. إذا استطعنا التوصل إلى هذه الطريقة في التفكير نستطيع أيضاً تجنب معظم الهفوات والورطات التي نواجهها اليوم عندما نعجز عن معرفة إلى أين نلجأ للحصول على أجوبة على التساؤلات التي نريد إجاباتها. بدلاً من الأخذ بفكرة أن التأمّل سوف يوصلنا إلى الجنة بأقصر طريقة ممكنة، أو أن إحدى تلك المدارس الكثيرة سوف توصلنا إلى الجنة فوراً بشكل لحظي إذا أطعنا قوانينها، علينا أن نسأل أنفسنا ما هي الغاية من كل هذا. هل تستطيع أي منظومة أن تأخذ شخص أحمق وأناني وسريع الغضب ثم ترتقي به إلى أعلى المستويات الروحية؟ الإنسان وجد هنا لكي ينمو، وإذا لم ينمو فما هي مكافأته في العالم التجاوزي؟ لماذا عليه القول بأنه يستطيع اقتراف كل الأخطاء هنا في العالم ومن ثم يتمتع بالنعيم في العالم الآخر؟ الجواب بسيط: كل ذلك ممكن من خلال خدعة العقل الذي يقنعه بهذه الفكرة ويجعلها تبدو حقيقة واقعية. الفرد في الحقيقة لا يستطيع نيل هذه المكافئات دون استحقاقها، عليه أولاً أن ينمو لكي يستحقها.

العقل هو أحد الأدوات المذهلة التي يمكنها مساعدة الشخص على النمو، لكن على الشخص أولاً أن يكون صادقاً مع العقل إذا أراد أن يكون هذا الأخير صادقاً معه. إذا أراد الفرد من عقله أن يفعل الأشياء التي تساعده على النمو، عليه أولاً عدم تلقينه بمهمات غير واقعية أو غير منطقية أو غير مجدية. قد يبدو الأمر أكثر صعوبة من ما هو عليه، لأنه في الحقيقة معظم الناس يرغبون في أن يكونوا سعداء، فيتركون العقل لديهم يجري على هواه. القليل من الناس يتمتعون بالألم إن كان عقلي أو عاطفي أو جسدي. القليل من الناس يرغبون في أن يكونوا مختلفين عن عالمهم أو جيرانهم أو عائلاتهم. إنهم يفضلون أن يكون لديهم حياة مسالمة، لكن من أجل أن يكسبوا هذه الحياة المسالمة عليهم الاستغناء عن بعض الانحرافات المدللة في

طبيعتهم. من أجل أن يحصلوا على تلك السعادة والحرية الرائعة التي يريدونها فعليهم التوقف عن اقتراف الأخطاء التي تدمر إمكانية حصولها. إذا عرفنا هذه الحقيقة فسوف نكتشف بأن مصيرنا هو في أيدينا طوال الوقت.

نحن نستطيع أن نكون ما وجب أن نكون إذا كنا جديين بذلك. لكن في هذا النوع من المواضيع فإن الجدية بخصوصها قد تمثل مشكلة أحياناً. يسعى الناس بشدة أحياناً في محاولة أن يكونوا خيرين، لكن أحياناً يفضلون لو كانوا أشرار بدلاً من ذلك لأنهم سيكونوا أكثر سعادة. لكن في الحقيقة ليس هناك حاجة لهذا المجهود الكبير. ليس هناك حاجة لأن يعيش الفرد باستمرار في حالة إحباط محاولاً التخلص من الأشياء التي لا يرغب في التخلي عنها. كل هذا لأنه يريد أن يكون روحانياً. دعونا نقول مثلاً أنه بالنسبة للصوفي أو الفيلسوف أو المثالي أو المتديّن الحقيقي فإن الخيرية تعتبر في النهاية الأمر الطبيعي. الخيرية هي كيف وجب أن تكون الأمور. الخيرية هي المحافظة على الصدق والمحافظة على الثقة والمحافظة على الإيمان بالخطة التي هي سامية وجليلة بكل أجزاءها. الخير هو في جوهره مهجع للإله. الخير هو أحد الأسماء التي استخدموها في الماضي للإشارة إلى الله. كما يعني أنه من خلال كوننا أخيار فنحن ببساطة نصون الأحكام والقوانين. ومن خلال الحفاظ على القوانين والأحكام فنحن نطيل العمر ونتجاوز أخطار الأمراض التي تصيب الجسد ويكون لنا المزيد من الاصدقاء وأسرة أفضل وأولاد أفضل وعلى المدى البعيد عندما ننظر إلى الوراء عبر السنوات نشعر بتحقيقنا لإنجاز عظيم. وعندما تحين سنوات التقاعد حيث يستقيل الفرد عن حياته العملية الصاخبة، يكون في الحقيقة كائن مشغول بالكامل داخل نفسه. حينها يستطيع الاستقرار والتفكر أكثر في العجائب التي كان لها معنى بالنسبة له. يستطيع تحسين معرفته وبصيرته. يستطيع التقدم أكثر في عملية تكشّف عناصر مختلفة من شخصيته والتي تحتاج لاهتمام خاص. وفي الحقيقة يمكنه أن يتمتع بالأمر. إن السعي لأن يكون الفرد شخص أفضل يعتبر هواية عظيمة إذا اعتاد على الأمر. إنها تفعل لنا أكثر بكثر من أن نخطط لرحلة سفر أو إجازة استجمام. إنها في النهاية تختصر في فعل الأشياء التي وجب فعلها والسرور من رؤية عواقبها بعد فعلها بشكل جيد.

يمكننا إذاً اعتبار التأمّل بأنه في الحقيقة طاعة مستمرة للقسم الأفضل من كياننا. إنه الإدراك المستمر لحقيقة أننا مميزين، وأننا لسنا مولودين في هذا العالم لكي نفشل أو نعاني. نحن هنا كجزء من خطة عظيمة نحو الانتصار، نحو النجاح، نحو الإنجاز الحتمي. ومع هذه الطريقة في التفكير سوف ننجح في النهاية بتغيير توجهاتنا وميولنا. إن أي إنسان يخوض حالة إحباط أو حالة نفسية قاهرة أو غيرها من حالات يائسة هو في الحقيقة ضحية للعقل لديه. جميعنا بطريقة أو بأخرى نمثل ضحايا للعقل لدينا. الطريقة الوحيدة التي تمكننا من تجاوز هذه المسألة هي أن نجعل العقل لدينا شيء نافع بدلاً من شيء معيق. يمكننا أن نتعرف تدريجياً على حقيقة أن العقل هو جهاز مذهل وعجيب، وعلينا أن نكون ممتنين لوجوده، لكن علينا قبل ذلك أن ستخدمه بحكمة. العامل الفقير يشكو دائماً من سوء أداء أدواته، وكذلك الحال مع الذين يلومون عقولهم على أخطائهم، أو يلومون عقول الآخرين على مشاكلهم. لكن الحقيقة هي أنه على العقل أن يخضع للتعليم والتوجيه بطريقة محددة جداً. لكن ليس بالضرورة عن طريق تعلم الكتابة والقراءة والحساب، بل من خلال إدراك مسؤوليات الحياة وغاياتها.

وجب أن يكون العقل ملتزماً. عليه أن ينشط فينا لغاية تحقيق الخطة الإلهية المبطنة داخلنا. نحن هنا لاستخدام العقل للتقدم بمصيرنا. إن إنكار قيمة العقل هو عمل عديم الفائدة. إن القول بأنه كان ولازال دائماً فاسداً هو غير صحيح، حيث الإله الأعلى لم يخلق أبداً كيان فاسد كمدير ومرشد في الحياة. المشكلة ليست في العقل بل في طريقة استخدامه. إن طريقة توجيهنا له هي التي صنعت منه أداة خطيرة. إنها عملية سوء استخدام لقوة ما. الطريقة الوحيدة التي تجعلنا نصحح هذه القوة هو تصحيح أداءها. علينا أن لا نحاول التخلص من هذه القوة، لكن ما علينا محاولة فعله هو البناء عليها لتحقيق الغاية التي خلقت من أجلها. العقل موجود لكي يساعدنا على النمو. سوف نكون أكثر فقراً إذا لم نستخدمه. لكننا سوف نكون فقراء جداً إذا أسأنا استخدامه.

لذلك يمكن اعتبار التأمّل بأنه نوع من الوضع العقلي الطبيعي. هو ربط العقل بذاته مع قناعات الحياة الداخلية. كما الصوفي العجوز الذي دخل إلى الدير ومنح حياته لخدمة الفقراء، كذلك على العقل أن يكرس نفسه. وجب رعايته وتحفيزه على تكريس نفسه للخدمة السليمة للجسم الذي يحويه، وكذلك يساعد في قيادة الشخص الساكن في الجسد نحو الحقيقة الأبدية المرصودة منذ البداية. العقل هو شيء ثمين جداً. وأي منظومة تعمل على تحريفه أو إفساده أو تلزمه بشيء أقل شأناً منه سوف تؤدي في النهاية إلى حصول مأساة وخيبة أمل. وجب أن لا يخضع العقل للإجبار أو الإكراه، بل وجب قيادته بلطف وهدوء عبر دروب العيش البناء. السليقة وحسن التمييز يمثلان بداية جيدة لهذا التعليم الذي يخضع له العقل. ومن خلال النماذج الطبيعية اليومية يمكننا أن نكون أكثر اهتمام وتفكر كل يوم، أكثر إلتزام، أكثر إحياء للضمير، فنستطيع أن نجد العقل على المدى البعيد قادراً على أن يوصلنا إلى الدرب الصحيح، وإلى المجد المرصود، وسنكون سعداء جداً بهذه النهاية الرائعة.

مسألة البحث عن معلم روحي

يوجد مسألة غالباً ما تلفت انتباهنا بين الحين والآخر، حيث الكثير من الباحثين عن الارتقاء الروحي يريدون أن يعرفوا أين يتوجهون، ومن يجدون، وإلى أي مدرسة روحية ينظموا، وعن أي مدرسة ينفصلوا،.. إلى آخره. هذه التساؤلات هي كثيرة التواتر. لكن في الحقيقة، المسألة لا تكمن في أي مدرسة أو فلسفة أو تعليم أو غيرها من تلك التي ينشدها المريدون، بل تكمن في موضوع مهم آخر لم يطرأ في بال الكثيرين. خلال بحثنا عن وقائع أخرى غير واقعنا الحالي، علينا أن نعتمد على أحكام معينة، أو نماذج معينة أو غايات أو متطلبات أو غيرها، ولحسن الحظ لدينا هكذا أحكام، وهي متشابهة في كافة أنحاء العالم. إن تعاليم الأرهات في الصين والأسياد المهرة في أوروبا (والشرق الأوسط) مثل الخيميائيين والعرفانيين وباقي هذه المجموعات المختلفة. المبادئ الباطنية في كل هذه المذاهب هي ذاتها مبدئياً.، كما أنها متشابهة بشكل كبير في الممارسة. الأمر مشابه لعلم الطب والعلاج، حيث أينما كنت في هذا العالم فسوف تختار نفس الدواء أو العلاج الشافي للمرض الذي تعاني منه تحديداً. وبالطريقة ذاتها، من يسعى إلى الحقيقة عليه أن يسير في درب محدد. عليه أن يتبع الطريقة العريقة والأبدية التي لا تتغير أبداً.

في تقليد الخبراء الأسياد في أوروبا لدينا مثلاً النظام الخيميائي، وهو يتمثل بسلسلة إجراءات تقود في النهاية إلى تحويل المعادن البخسة إلى ذهب. المعادن البخسة ممثلة بالكواكب والمحاليل الكيماوية المختلفة التي نجدها في المخطوطات القديمة

للخيميائيين. كل هذه المعادن والمحاليل الكيماوية تمثل في الحقيقة أقسام وجوانب مختلفة من كيان الفرد والتي وجب معالجتها بطريقة معينة حتى ينقي المريد نفسه وترتقي روحه وحينها يكون جوهره قد تحول إلى ذهب وهو رمز الصفاء والارتقاء الروحي. بينما في أسيا نجد كل من البوذية والطاوية والكونفوشيوسية والهندوسية ونجد أيضاً أن مرتبة السيادة في هذا المجال هي ناتجة من انضباط مخصّص يؤدي إلى هذا الغرض. هذا الانضباط يمثل إجراء يعتمد نجاحه على الفرد بعينه. في كل من الأنظمة الشرقية والغربية تتحدث التعاليم عن انقسام كيان الفرد إلى أربعة مستويات. هذه المستويات تتجسد في حياتنا المادية بهيئة ملكات وقوى ووظائف مختلفة. [١] أدنى المستويات هو المستوى المادي والممثل بالجسد. [٢] فوقه مباشرة يوجد مجال الطاقة الحيوية. [٣] فوقه يوجد المجال العاطفي. [٤] فوقه يوجد المجال العقلي. هذه المستويات تشكل أربع درجات وجب على المريد صعودها بالتسلسل لكي يصل أخيراً إلى المستوى الخامس وهو ما يسميه الخيميائيون بالجوهر أو الأكسير. وتسميه الفلسفة البوذية بـ"البودهي النقي" الذي هو رمز التنور الكامل.

من أجل أن نفهم هذا الموضوع، علينا أن ندرك أيضاً بأن لا أحد يستطيع أن ينمو بالنيابة عن أحد. ليس هناك أي إمكانية لتوكيل مسؤولية النمو لمعلم أو وصفة سريعة أو أي عامل آخر. النمو هو بكل بساطة عملية نمو. بصفتنا جميعاً غير منتسبين إلى أي من المدارس الروحية الأصيلة، هذا يجعلنا كما الأطفال الصغار الذين ينتقلون من سن الطفولة إلى المراهقة إلى سن البلوغ. المعلمون الكبار الذين عاشوا في الماضي كانوا يعلمون أسلافنا بطريقة صحيحة، كانوا مرشدينا الأسلاف. لكن الأمر انتهى الآن، وعلينا أن نبدأ من جديد ولوحدنا. أحد المشاكل التي نواجهها في زمننا الحالي هو مسألة محاولة تعليم شبابنا كيف يعيشون على عاتقهم ولوحدهم. لكنهم سيرحلون عن والديهم وعائلتهم مهما كانت الأحوال، لأن تأثير الوالدين لم يعد قوياً لكبحهم وضبطهم. يمكنك تربيتهم وتعليمهم في البداية ما تريده من تعاليم وأفكار ومعتقدات، لكن على المدى البعيد سوف يفعلون ما يريدون فعله. ربما بعضهم قد يواجه ظروف صعبة وبالتالي عليهم النمو عبر المعاناة. آخرون قد يجدون أنفسهم أكثر حظاً فيصبحون مواطنين مقبولن بدرجة أكبر. لكن في النهاية، كل منهم عليه

أن يبحث عن طريقه الخاص في الحياة، واختياراته تعتمد على سماته الشخصية الخاصة ومدى استقامته الأخلاقية التي يتمتع بها.

عندما نبدأ بمعالجة مسألة التعليم، محاولين إيجاد معلم روحي، نعلم بأن ما بوسع المعلم الروحي فعله هو الطلب من الفرد أن يقوم بأعمال محددة. لا يستطيع الفرض على أحد القيام بأي من تلك الأعمال المحددة. كل ما سيقوله هو: *".. إذا أردت نتيجة معينة فعليك أن تحرّك المسببات التي ستؤدي بدورها إلى حصول تلك النتيجة تحديداً.."*، أي إذا لم تنوي أن تتسبب بتلك النتيجة فسوف لن تحصل عليها، ولا أحد سيحصل عليها ويقدمها لك، الآلهة لن يمنحوها هكذا من لا شيء. كل فرد عليه أن يستحق مصيره الخاص. عليه أن ينجز الخطة التي خصصت له في الحياة. هذه العملية تمثل جزء من منظومة كاملة متكاملة ولها غاية محددة وهي تنوير كل شيء موجود. هذا التنوّر يمثل مسؤولية فردية تماماً بحيث لا أحد يستطيع مساعدة الفرد المعني على تحقيق التنور.

من الممكن أن يكون الفرد ملهماً نتيجة اختلاطه بالأشخاص المناسبين الذين يعملون بهذا المجال أو يكونوا مجرّد أشخاص عاديين لكنهم يتمتعون بنقاء روحي معين أو نوايا راقية أو جودة عالية أو غيرها من محفزات تشجّع الفرد على الانخراط بهذا الطريق، لكن هذه الصحبة لا تساهم بأي حال من الأحوال في تزويد الفرد بالمكونات الجوهرية التي وجب وجودها بداخله أصلاً. كل ما يمكنهم فعله هو إلهام الفرد على اتباع هذا الدرب. وحتى المعلمون الروحيون يتوقف دورهم عند هذا الحد. كل ما بوسع المعلم فعله هو إلهام الفرد للقيام بالعمل المعني. وأي معلّم يوعد بأمور غير ذلك وجب أن نتعامل معه بحذر واحتراس. هكذا معلمين يستغلون حقيقة أن معظم الناس جاهلون في هذا المجال ويبحثون عن أحد ليمنحهم علاج سريع وعديم الألم لمآسي الوجود وغموضه.

جميعنا نرغب في فعل ما يحلو لنا، لكننا نريد إيجاد طريقة لتحقيق ذلك وبنفس الوقت نسعى لتجنب عواقب أخطاءنا. هذا أمر غير ممكن إطلاقاً. ومهما زُعم بخصوص

هذا المجال، تبقى الحقيقة أنه على كل فرد أن يعيش نمطه الخاص لتحقيق غايته في الحياة. على أي حال، يوجد تعليمات وإرشادات، بعضها صعب وخشن نوعاً ما، لكنها ترشد المريد وتساعده للوصول إلى نتيجة مجدية. وجب أن نعلم في البداية بأن جميع تلك التعاليم المختلفة تتألف من أربع درجات، وحياة الطهارة تبدأ من الدرجة الأولى ثم ترتقي بالتدريج عبر الدرجات الأخرى. وفي منظومة التعاليم الشرقية مثل منظومات كل من اليوغا في الهند، والأرهات واللوهان والطاوية في الصين، وكذلك المنظومة الصوفية الإسلامية والمسيحية، وغيرها. الحقيقة البسيطة التي تجتمع عليها كل هذه المنظومات هي أن النمو الروحي الكامل المتكامل يبدأ أولاً من المعالجة الصحيحة لتطوير الجسد المادي والعمل على تكامله التام.

وجب تحويل الجسد المادي إلى قاعدة صحيحة ومناسبة لكي تتحمل كامل مجريات المشروع المراد تنفيذه. لذلك على المريد أن يجتهد إلى إعادة الجسد بقدر ما يستطيع إلى حالته الطبيعية من التناسق والانسجام. هذا يعني أن أي عادة مدمرة تعرض الجسد للخطر قد تمثل عائق حتمي لكامل العملية. المريد لا يستطيع اتباع هذا الدرب الروحي بينما يتناول كوب من الخمر بين حين وآخر ثم يسعى إلى إنجاز ما يرغب إنجازه في هذا الدرب. الأمر غير ممكن. وجب منح الجسد المادي الأولوية دائماً بهذا الخصوص. هناك أمر آخر ذو أهمية وهو الاختلاء وحيداً في العراء، وهذه هي طريقة المتصوفين القدماء الذين وجدوا في بعدهم عن الناس جو مناسب لإتمام مسيرتهم الروحية عبر التأمّل والاختلاء. نحن العصريون طبعاً لم نعد نستسيغ هذه الطريقة لأنها لا تناسبنا إطلاقاً، وبالتالي سوف أذكر طريقة الماهايانا (مذهب بوذي) والتي لا تتبع الاختلاء والتأمّل في العراء بل نعيش حياتنا اليومية بشكل عادي لكن علينا مواجهة كل يوم ومشاكله المختلفة مع زيادة درجة ارتقاءنا نحو التنوّر بشكل تدريجي. أي بمعنى آخر، على العالم المادي أن يخضع لسيطرة المريد في داخله. على المريد أن يجد طرق مختلفة للعيش في وجوده المادي لكن دون أن يُفسد أو يتأثر سلباً من قبل هذا الوجود. يبدو أن هذا الأمر صعب التفكير به لأن كل ما نفعله في العالم المادي يُفسدنا. لكن الأمر الذي يفسدنا أكثر هو أن نُجبر

على فعل ما لا نريد فعله. لذلك وجب علينا منذ البداية معالجة هذه المشكلة، أي علينا التوقف عن عدم الرغبة في فعل ما هو ضروري.

يمكننا تجنب المشاكل الطارئة عبر عدم خلق مسببات تؤدي لها. يمكننا البقاء على سلامة الجسد بأكبر قدر ممكن عبر العيش بطريقة معتدلة. يمكننا الحرص على أن يتلقى جسدنا التغذية المناسبة والتهوية المناسبة وغيرها من عوامل أساسية لسلامته، وكذلك نوفر ظروف مناسبة للسلام والهدوء والنوم الكافي. أحد الأشياء التي أشارت إليها الأنظمة الروحية القديمة هي أهمية الابتعاد عن تناول الأدوية المخدرة من أجل أن نتمكن من خلق التأثيرات المرجوة. صحيح أن الفرد ملزم أحياناً بتناول الأدوية لكن علينا عدم التعامل مع الجسم عندما يكون في حالة خدر أو هدوء أو غيرها من حالات تنتجها الأدوية الكيماوية. وجب أن نتعامل مع الجسم عندما يكون خالي تماماً من المواد الكيماوية أو المخدرة. الفرد هو راعي جسده، وبالتالي هو المسؤول الوحيد عن أداءه لوظائفه المختلفة. عليه أن يسلم بحقيقة أن الجسد هو الأخ الأصغير للعقل، وإنه من واجب الأخ الأكبر حماية وحراسة أخوه الأصغر. إنه من واجب الفرد عدم إهمال الحاجات والمتطلبات المادية للعيش، لكن وجب عدم السماح بحصول أي إفراط أو مغالاة في استخدام الجسم والذي يكون نتيجة انعدام البصيرة لديه. على الحياة الروحية أن تكون طبيعية لكن عليها أيضاً أن تكون بسيطة ومتواضعة.

وجب إذاً اتباع حياة بسيطة ومباشرة. لأن الإفراط والإسراف قد يسببان في الإضرار بالجسد وباقي الأعضاء الجسدية الأخرى. إن فكرة العيش في هذا الجسد فقط من أجل استخدامه لتحقيق طموحات أنانية وإشباع رغبات دنيوية هي فكرة خاطئة تماماً. الجسد في الحقيقة هو خادم مطيع للفرد الذي يُفترض بأنه يعرف ماذا يفعل. أما إذا كان الفرد يجهل هذه الحقيقة فسوف يعجز الجسد عن مجاراة سلوكه الخاطئ. إذا لم يكن هناك قيادة حكيمة ومسؤولة لهذا الجسد فسوف ينهار وينعطب. منذ بداية الدرب المؤدي إلى التنوّر، على الفرد أن يجلس بهدوء ويأخذ وقته الكافي لمحاولة خلق صداقة حميمة مع جسده، وربما تكون هذه أول مرة يقوم بها الفرد في حياته. حاول

أن تجعل جسدك عضواً مهماً وقيماً في كيانك العام. إذا كان الجسد صحيحاً وسليماً فسوف يلبي كافة الحاجات دون أي مشكلة. لا تضعفه من خلال الانغماس في الملذات، ولا تعطبه من خلال الانخراط في مغامرات خطيرة، أو تنهكه من خلال قيامك بمشاريع عديمة الفائدة. الجسد مستعد دائماً للتضحية، لكن وجب أن تكون الغاية عظيمة وليس تافهة.

وجب إذاً منح الجسد أولوية الاعتبار. وهذا يعني وجوب التعديل التدريجي في سلوكنا وميولنا المختلفة. وسائل الترف والرفاهية قد تكون أكثر ضرراً للجسد من كونها مفيدة. لكن الجسد غالباً ما يبدو أنه يتحملها وهذا لأن العقل أو العاطفة، المسيطران على الجسد، يرغبان في ممارسة ذلك الترفيه. متما يقوم كل من العاطفة والعقل بدفع الجسد إلى أي إفراط متجاوز للحد فسوف ينتج ضرر ما في الجسد. وجب مراقبة وضبط هذه الناحية بحذر، أو سوف نواجه المشاكل.

بعد المستوى الجسدي يأتي مستوى آخر، لكن لا يمكنه أن ينشط ويتجلى ويصبح مفيداً إلا إذا تم ضبط الجسد بطريقة سليمة ومتوازنة. علينا أن نرتقي بناءً على أساس قوي ومتين. إذا لم نعالج الأدنى لا يمكننا معالجة الأعلى. لنفترض بأننا قمنا بضبط الجسم وموازنته من خلال توفير كافة الشروط المذكورة في الفقرات السابقة، مع عدم تضحية سلامته من أجل تحقيق غاية دنيوية خاصة بنا، إلا إذا كانت هذه التضحية مبررة أخلاقياً. الفرد الذي قدم حياته مثلاً من أجل إنقاذ حياة أخرى لم يكن قد أعطب جسده بل قدمه أضحية لغاية أرقى. ذلك الذي هو أرقى يمثل دائماً أساس واقع الأشياء وقيمتها الحقيقية. لنفترض بأننا نفذنا كامل الإجراءات المناسبة للجسد ورحنا نعيش ببساطة، بحيث لم نعد نتبع الإفراط في تصرفاتنا ولم ننغمس في الملذات والجسد لم يعد يتأثر سلباً بفعل أي حالات خارجية، نستطيع الآن الارتقاء لمعالجة المستوى التالي.

المستوى التالي يتعلق بما نسميه مجال الطاقة الحيوية، وهو مصدر إمدادنا بما نسميه قوة الحياة أو الطاقة الحيوية. هذا المجال الطاقي هو الذي يحي كل الأشياء

ويفعمها بالحيوية. هذه الإحيائية تتجلى في الجسد وتبعث فيه الحيوية التي تنعشه وتحميه وتجعله قادراً على تلقي الجهود والوتائر المختلفة من مصادر عليا في كيان الفرد. هذا الجسم الحيوي، بصفته مجال طاقة، فهذا يجعل وظيفة المريد الذي يريد الارتقاء في المجال الروحي أن يعمل على تخفيض الضغوط الطاقية. كما عليه أن لا يستنزف طاقته الحيوية لأن هذه الطاقة هي الحياة، والحياة هي قوة الله في كياننا. بالتالي وجب أن تُحفظ الطاقة من الاستنزاف. بالإضافة إلى توزيع هذه الطاقة بشكل سليم. وجب أن نحرص على منح هذه الطاقة فرصة واسعة للتعبير عن نفسها لكن بشرط أن يحصل الأمر بشكل إيجابي وبناء. إن أي تناول للمسكرات أو المخدرات والتي تؤدي إلى استنزاف الطاقة سوف تتحول إلى مسرب دائم لفقدان الطاقة، مما يجعلها غير متوفرة في بعض الأحيان عندما نطلبها لتلبية غايات إيجابية لصالحنا. من أجل المحافظة على مخزون هذه الطاقة وجب أن نتناول الغذاء المناسب، وننال قسط وافي من الراحة والاسترخاء، ووجب تنشيطها من خلال جعل الجسد المادي هادئ وموزون بحيث لا نشغله بنشاطات غير ضرورية تعمل على استنزاف الطاقة. لا يمكن للطاقة الحيوية أن تبقى سالمة إلا إذا كان الجسد منضبطاً بطريقة معقولة وصحيحة. إذا كان الجسد منظماً بطريقة معقولة فهذا يجعله يوفر أساس مناسب لنمو الطاقة ونشاطها.

لكن إذا دخل الفرد فجأة في حالة تعصيب أو غضب شديد فسوف ينتج من ذلك استنزاف كمية كبيرة من الطاقة، وهذا بدوره سيؤدي إلى عطب في كل من مجال الطاقة والجسد المادي. الحالة ذاتها تصيب الفرد الذي يكون في حالة هستيرية أو الفرد الذي يكون في حالة عصبية دائمة أو الفرد الذي يلاحق متاع الدنيا بأنواعها بحيث يفعل أشياء غير مهمة أو ليس لها قيمة. وجب استخدام هذه الطاقة لغايات بناءة ومفيدة. لأن هذه الطاقة التي هي الحياة بذاتها، هي القسط من الحياة الذي مُنح لنا، وجب استخدامها للغاية الأساسية التي وهبنا من أجلها وهي تحقيق الخير الأكبر لكل شيء حي. الطاقة التي لا يوجد لها مبرر من ناحية القيمة تصبح عامل خطير في تركيبتنا. الطاقة إذاً تمكننا من فعل كل أنواع الأشياء المفيدة. كما أنها تدعمنا في المواقف الصعبة والطارئة في معظم الحالات، لكنها لا تتحمل التوجيه

الخاطئ من الأدنى (الجسد) أو العناية الخاطئة من الأعلى (الفكر). وجب منحها الرعاية الصحيحة والضبط المناسب. ضبط الطاقة يتعلق بعامل واحد وهو السكون. والسكون يعني أنه على الجسد أن يرتاح في أوقات معينة. إذا الطاقة لم تعمل على سحب ضغوطها من الجسد فسوف لن يستطيع الراحة والسكون، وأقل ما يحصل للفرد هو القلق والتململ، وهذه حالات ليست جيدة. الفرد الذي لا يستطيع الجلوس ساكناً ولا يستطيع الصمت ويجده مستحيلاً أن يقوم بأشياء بسيطة بطريقة سهلة ومناسبة، والفرد الذي يبالغ بكل تصرفاته ويجد نفسه عصبياً جداً عليه أن يهدأ ويستكين بأي طريقة ممكنة، لأن حالته هذه تعتبر مميتة ومعيقة لأي ملكة روحية عليا. إذا أراد المريد أن يبقى على هذه المستوى المتدني الذي يشهد حصول هذه المسائل المعيقة فلديه كل الحق ولا أحد يستطيع أن يفرض عليه، لكن إذا كان يريد أن يكون أفضل مما هو عليه الآن فعليه إذاً تصحيح الأخطاء التي تمثل عبئ عليه الآن. وجب أن يكون لديه دوافع وغايات أفضل من تلك التي كان يرعاها سابقاً.

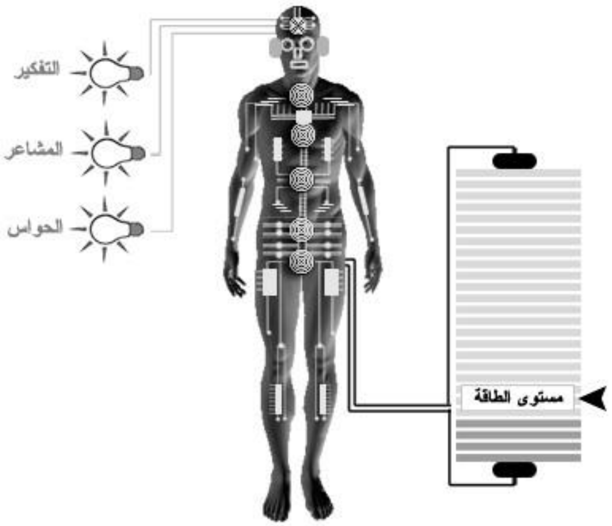

في الجزء الخامس من مجموعة "من نحن"، وخلال الحديث عن الطاقة الحيوية، لجأت إلى مثال "الرجل الآلي" الذي صورت فيه ثلاثة منافذ رئيسية للطاقة لديه والتي تعمل على استنزاف الطاقة باستمرار، وهي: [١] المنفذ العقلي الذي يستنزف عبر التفكير، و[٢] المنفذ العاطفي الذي يُستنزف عبر المشاعر، و[٣] المنفذ الجسدي الذي يُستنزف عبر الحواس.

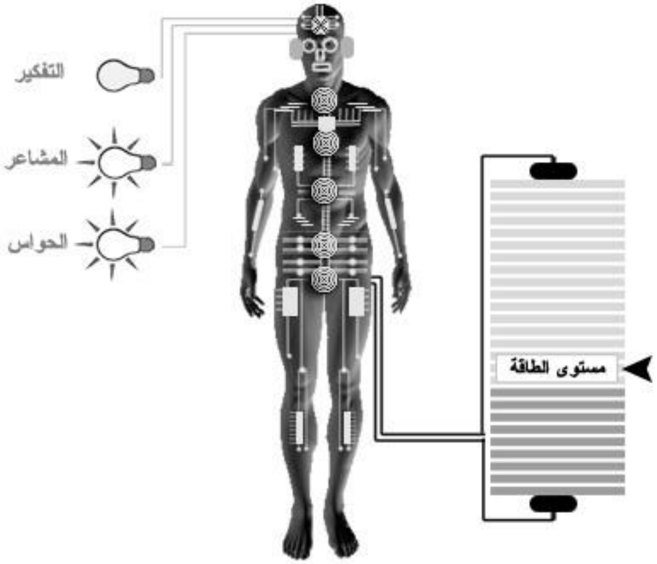

إذا قام الفرد بضبط المجري الفكري لديه فسوف تزداد نسبة الطاقة في كيانه

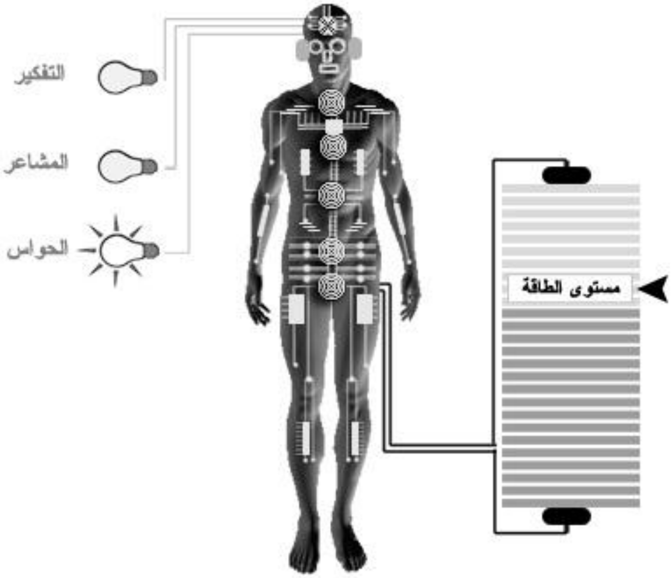

إذا قام الفرد بضبط المجري الفكري لديه وكذلك مجرى المشاعر فسوف تزداد نسبة الطاقة في كيانه أكثر

لذلك على الفرد فعل كل ما يمكن لكي يستخدم الطاقة بحكمة. قد يشعر بأن هذه الطاقة تمثل عامل دائم ومستمر بحيث يحوزها دائماً مهما كانت الحالات، لكنه سيكتشف لاحقاً بأن هذا خطأ كبير. إذا أسرفها فسوف لن يعوضها أبداً. حتى الجسد بذاته هو قابل للتلاشي والزوال، ولكي تجعله مفيداً ومساعداً وبناء لأطول فترة ممكنة فمن الجوهري جداً أن تحفظ مصادره الرئيسية التي تحافظ على بقاءه. أحد المصادر المادية الرئيسية للطاقة هو التغذية. وهذا يعني وجوب الالتزام بالتغذية السليمة والمناسبة. وجب أن تكون طبيعية بقدر المستطاع. التغذية مهمة جداً في هذا المضمار، لأنه في غيابها لن يبقى للمريد أي أساس ليبني عليه.

إذاً، المشكلة الأولى هي العمل على الجسد لكي يصبح مناسباً لأن يكون معبد. والمشكلة الثانية هي العمل على خلق داخل هذا المعبد جو مناسب للحضور الإلهي، حيث الطاقة الحيوية تمثل حضور اللامتناهي في كينونة المتناهي. إذا تم تحقيق هذه الحالة، إذا استطاع المريد أن ينجز التصحيحات اللازمة في جسده وعمل على عدم استنزاف الطاقة عبر ملاحقة أهداف وغايات واهية، فسوف يصل إلى نتيجة مجدية.

الآن سنرتقي إلى المستوى الثالث وهنا تكمن المصاعب الحقيقية والتي يصعب مواجهتها بالإضافة إلى عدم وجوب مواجهتها إطلاقاً قبل إحراز السيطرة الكاملة على المرحلتين السابقتين (الجسد والطاقة). لا يمكنك التقدم إلا إذا كنت ترتكز على أساس صلب يعزز تقدمك. لهذا السبب وجب العمل جيداً على المرحلتين السابقتين لكي تتحولا إلى أساس متين يدعم تقدمك خلال معالجة المرحلة الثالثة، وإلا سوف نواجه مشاكل كثيرة. أحد المسارب الأكبر التي يمكنها اسراف الطاقة الحيوية هي ممثلة لهذه المرحلة الثالثة وهي العاطفة. في الحالة الطبيعية نجد أن الكائن البشري موجّه من قبل عامل العاطفة. فهو يعيش وسط خلطة مؤلفة من عوامل حيوية وعاطفية وجسدية، وطالما بقيت هذه الحالة كما هي فسوف يبقى مجرّد حيوان ولم يرتقي بعد إلى مستوى الإنسان. مجال الطاقة المتعلق بالعواطف وجب أن يخضع لعملية غسيل وتطهير كاملة ومن ثم تنقيته ليصبح صافي تماماً. أي وجب أن تكون العواطف متحررة كلياً من كافة التوجهات والميول السلبية والسامة. هنا يفشل معظم الناس في

إنجاز الهدق المرجو. دائماً أسمع عن أشخاص يحاولون تطوير حياتهم الداخلية لكنهم يمضون معظم حياتهم في السعي لإدراك الحقيقة لكنهم بنفس الوقت يكرهون بعضهم البعض. هذه الطريقة لن تنجح أبداً. حتى في مجال الممارسة الدينية، من أجل أن يتوصل الفرد إلى مرحلة مجدية في ممارسته الدينية فعليه أن يتوقف عن كره أي أحد أو أي شيء. ربما لا يرغب في مصالحة الشخص الذي يكرهه لأنه لا يجد منفعة أو مصلحة ذاتية من ذلك، أو يشعر بأن الشخص ليس على صواب وبالتالي لا يستحق المصالحة، لكن مهما كان سبب الكره، مجرّد أن استخدم الفرد طاقته العاطفية بشكل سلبي فهو بذلك يدمر نفسه قبل أي شيء آخر. أي توجيه مدمر للعواطف وجب تصحيحه فوراً. وجب أن تكون العواطف منفتحة وبناءة ومثالية. هذه المشكلة المتعلقة بالمنافسة بين المشاعر، والعدوانية الهائلة للطموحات، والإصرار على الثأر من أحدهم، أو الاستمرار في النواح والشكوى طوال الحياة نتيجة حصول كارثة أو مأساة أو سوءء حظ من أي نوع. الشخص الذي يعاني من اضطراب عاطفي في معظم الأوقات لن يتقدم كثيراً في هذا الدرب، حتى لن يصل إلى هذا المستوى أصلاً. لن يصل إلى هذا المستوى لأن مجال الطاقة الحيوية وما يشمله من مراكز طاقة موزعة على الجسم لا يمكنه التفاعل إيجابياً مع الوضعية النفسية السلبية.

قد يفترض الفرد بأنه سوف ينجح على أي حال، وأنه سوف يحاول ربما إيجاد معلم ليساعده على إحراز التنور لكن دون تصحيح هذه العيوب التي يعاني منها، لكنه سيكتشف على المدى البعيد بأنه قام بخداع نفسه. ليس هناك أي حل لمسألة التحسّن سوى أن يتحسن الفرد فعلياً. ليس هناك أي طريقة لأن نكون أفضل مما نحن عليه الآن سوى أن نصبح أفضل مما نحن عليه الآن. وإذا أردنا أن نكون أكثر مما نحن عليه الآن علينا أن نبني على قاعدة صلبة من الإنجازات. وإلا فسوف تتحول كامل العملية إلى مهزلة عديمة الجدوى.

في المنظمات الدينية المختلفة، خصوصاً في زماننا الحالي، نجد الميل إلى تجاوز أو تجاهل مساءل السلوك وعلاقتها بالنمو الروحي. نحن مدفوعون إلى الاعتقاد بأنه

مجرّد أن انضمّ الشخص إلى التنظيم الديني فهذا يكفي لتحقيق الارتقاء الروحي. فيبدأ الفرد بالزعم أنه سيصبح متعبداً جيداً (مهما كان دينه أو مذهبه) وهذا التأكيد الكلامي يكفي لإنجاز العملية. لكن هذا غير صحيح إطلاقاً. الفرد لن يكون أبداً أفضل من سلوكه الظاهر. لن يكون متطور روحياً أكثر من موقفه تجاه الحياة.

بالتالي، بخصوص مسألة البحث عن معلم، علينا أن ندرك حقيقة أن دوافعنا الخارجية وجب أن تخضع للمراقبة والتصحيح بشكل واضح وحذر. لماذا نحن نبحث عن معلم؟ معظم الناس لديهم أجوبة بسيطة على هذا السؤال. أحدهم قال واصفاً وضعه المزري: أن عشت تعيساً وبائساً طوال حياتي وصرت الآن مريض وعصبي وأبحث عن طريقة للخلاص نحو شيء أفضل. هذا سبب جيد وعلينا احترامه، لكن الطريقة الوحيدة التي يمكن لهذا الفرد أن ينال الخلاص هي أن يجري تغيير في نفسه. وأي شخص يوعده بأنه سيمنحه التنوير دون أن يصحح أخطاءه وعيوبه فهو يخدعه أو يخدع نفسه، وفي كلا الحالتين يكون شخص مدّعي ويجهل بالحقيقة. كيف يمكننا تغيير شخص لازال مصراً أن يبقى على حاله وكما هو عليه؟ كيف يمكننا تصحيح عيوب وأخطاء شخص مستعد أن يطوّر فضائله قليلاً لكنه يرفض ولو للحظة أن يصلح أخطاءه وعيوبه؟

الأخطاء والعيوب هي عديدة ومتنوعة. غالباً ما تتجلى في الأفراد الذين ينتمون لأسر مفككة. يأتي بعدها من حيث الدرجة تأثير الصراعات الدينية، ثم الصراعات السياسية، ثم الصراعات العرقية، ثم الأزمات الوطنية،.. إلى آخره. في كل مكان في العالم يبحث الإنسان عن السلام لكنه يتوقع أن يحرزه من خلال التغلب على عدوه. نحن نعيش هذه الحالة الآن وسط الوضع السياسي المتأزم حول العالم. يتم توجيهنا نحو حرب كبرى خطيرة بحجة أنها الطريقة الوحيدة لتحقيق السلام النهائي والشامل. هذا الوضع الذي يحصل بين الأمم والدول نراه يحصل ايضاً داخل الفرد. لا نستطيع أن نكون أكثر سعادة مما نحن عليه الآن إلا إذا كنا نستحق سعادة أكبر من التي نعيشها الآن. لا نستطيع التغلب على مشاكلنا إلا إذا قمنا بتصحيح المسببات التي تخلق تلك المشاكل أصلاً. وهذه مسألة باطنية تشغل ممارس اليوغا وكذلك ممارس

الزن اللذان يختليان في الجبال لفترة طويلة، حيث غايتهم هي طرد هذه المسببات بالقوة من داخلهم. يختلون لفترة طويلة لكي يتوصلوا إلى قناعة نهائية بأن عليك أن تكون صحيحاً من الداخل أو سوف تستمر في المعاناة في الخارج.

أن تكون صحيحاً في موضوع العواطف هو أن تكون محباً. عقيدة مذهب البودا سابتا في شمال آسيا تسمى عقيدة مبدأ المحبة. يقول سيدنا يسوع ".. حبوا أعدائكم.."، لكن كيف يمكننا تطبيق هذه التوصية الآن في الوقت الذي نواجه فيه صعوبة في محبة أصدقائنا؟ من المفروض علينا أن نهتم بهذا الموضوع بشكل كبير. علينا أن لا نكتفي بالقراءة عنها في الكتب. مفروض علينا أن ننظر حولنا في حياتنا حتى نجد بقعة قذرة فنقرر أنه علينا تنظيفها. أو يقول أحدهم: أنا لم أتكلم مع أخي منذ عشرين سنة وبالتالي حان الوقت لأبادر بالموضوع، فيكتب رسالة إلى أخيه، لكن أخوه لم يجيب على الرسالة. هذا أمر مؤسف لكن الفرد فعل ما عليه فعله وهذا يكفي. المهم أنه حاول. كان مفروض عليه أن يبادر بالخطوة الأولى، وقد فعل، لكن إذا أخوه لم يستجيب فهذا لم يعد ذنب الفرد. لكن هناك أشخاص يبادرون برسالة أو بطاقة معايدة إلى أحد أصدقائهم أو أقرباءهم محاولين إصلاح العلاقة فيما بينهم، لكن يتفاجؤون برد على الرسالة برسالة أخرى مؤلفة من عشرين صفحة! يوصف فيها القريب أو الصديق بأنه كان يرغب بالمبادرة منذ سنوات لكنه كان يجهل كيف يبدأ. هكذا تحصل الأمور. لا يمكننا إنجاز شيء إلا إذا حاولنا.

في المستوى العاطفي علينا أن نحاول الامتناع عن إيذاء أحد، لأنه إذا استمرينا في إيذاء الآخرين نكون بذلك مستمرين في إيذاء أنفسنا بدرجات أكبر. هنا يكمن الموضوع الذي يجعل الناس يقعون في مشاكل. هم لا يستطيعون تجنب الوقوع في حالة رد فعل سلبية تجاه المجتمع من حولهم. هذا يعود إلى حالة المجتمع السلبية عموماً ولا أحد يستطيع إنكار هذه الحقيقة، لكن حالة المجتمع هذه هي نتيجة لشعور الفرد بالطريقة ذاتها. علينا في مكان ما كسر هذه العقدة، والمكان الوحيد الذي يستطيع الفرد كسرها هو في داخل نفسه. لذلك علينا أن نبدأ باستخدام العواطف بشكل إيجابي وبناء. وجب تحسين العواطف لكي تصبح جميلة ونبيلة. عليها أن

تكون نقية ومتفهمة وكريمة ومتسامحة. في كل حالة من الحالات، وجب أن تكون الانفعالات العاطفية محكومة بالاستقامة الأخلاقية والالتزام والتفاني والورع. وجب أن لا تكون الحياة العاطفية متساوم عليها مقابل المبادئ الأخلاقية. إذا كان الفرد يساوم عليها فسوف لن تتحسن المشكلة وسوف يبقى التنور بعيد جداً عن مناله.

إذاً، بدلاً من أن يتلقى الفرد الدروس من معلم أو يقيم جلسات تأملية، كما يتعلمها في الدورات التدريبية، كل ذلك من أجل الهروب من مشاكله الحياتية المختلفة، عليه بدلاً من ذلك أن يجلس ويقول لنفسه: *".. أنا أتأمّل كل يوم.. هل أستطيع القول بصدق بأن كل يوم أتأمّل فيه أنا أعيش أفضل؟.. هل أعتمد على إمضاء الوقت في عملية توكيد أو تفكير إيجابي ثم أخرج وأفعل ما كنت أفعله من قبل؟.."*. وجب عدم وجود فجوة تفصل بين حالة الفرد خلال ممارسة التأمّل وحالته خلال ممارسة نشاطاته في حياته اليومية. أشار إلى هذه النقطة اليوغي الشهير "سوامي فيفاكيناندا" عندما قال مؤكداً: *".. وجب عدم وجود أي اختلاف بين حالة الفرد خلال ممارسة التأمّل وحالته خلال عدم ممارسة التأمّل.."*. التأمّل هو ليس ممارسة مؤقتة بل طريقة حياة بكاملها. والحياة الصحيحة هي تلك التي يكون الفرد فيها بحالة تأمّل طوال فترة صحوته. ليس بالضرورة أن يكون التأمّل كما نألفها لدى ممارسي هذه الرياضة، بل مجرّد توجّه بسيط ملؤه اللطف والرقة والتمني الدائم لخير كل كائن حي.

وجب أيضاً معالجة العواطف في مضمار الأنانية. إصبحت الأنانية في هذه الأيام مهمة جداً بحيث سمحنا لها أن تؤثّر على استقامتنا الأخلاقية وتقوضها أحياناً. مع شعور الفرد بأنه يريد فعل شيء، شعوره بأنه يريد الحرية يدفعه إلى مغادرة منزله وأسرته، الفرد الذي يشعر بأنه يريد عقار أكبر يخون صديقه أو شريكه بهدف تحقيق غايته. في كل مكان نجد الفرد يفكر بنفسه فقط، يفكر في ما يفعله، يفكر في ما يريد أن يكون، يفكر في عظمة العمل الذي يكون من اختياره هو. إذا راقبنا الصحف ووسائل الإعلام جيداً سوف نلاحظ بأن الطبيعة تتدخل في هذا الموضوع لتثبت حقيقة أن هذا التوجه الأناني هو خاطئ. لقد اتبعنا هذا التوجه لسنين عديدة وكانت النتيجة أن العالم صار في أسوأ حالة من التاريخ. الحريات الكبرى التي طالما

تفاخرنا بها جعلتنا عبيد لهذه الحريات. الهيمنة الكبرى لبعضنا البعض والتي طالما تحدثنا عنها أنتجت عالم من العبيد. والأمر الأسوا هو أننا أصبحنا عبيد لتوجهاتنا ومواقفنا. بالتالي، في موضوع المستوى العاطفي، إنه ضروري بالنسبة للفرد أن يسيطر على حياته بطريقة صدوقة ومحبة. وأن يحاول القيام بأفضل عمل ممكن وفقاً لما تسمح به الظروف. وعليه عدم السعي إلى الحصول على أكبر قدر ممكن من المردود مقابل بذل مجهود قليل، لانه مجرّد أن حصل هذا الأمر فسوف يتشكل سد روحي خفي والذي لا ننتبه له ولا نفطن لوجوده، لكنه سيمثل سد منيع أمام مسيرة تفكيرنا وفهمنا للأمور، وطالما بقي قائماً سوف نعجز عن التقدم والارتقاء.

كانت التعاليم الروحية لمدارس الحكمة التي ازدهرت في الماضي تصور العالم الدنيوي مليئاً بالممرات والأنفاق الالتفافية والمتقاطعة ببعضها، وهذه الممرات والأنفاق تمثل دروبنا في الحياة والتي نكافح جاهدين للمرور عبر التفافاتها وتقاطعاتها وعلينا ومواجهة الكائنات الشريرة التي تسكنها، الأرواح الشرية المختلفة والوحوش والتنينات وكل أنواع الأشياء المرعبة والمؤذية والتي جعلها الحكماء القدامى تمثل الحروب والأوبئة والكوارث والآفات وغيرها. كل هذه الكائنات والأشياء المخيفة تمثل رموز لما يعاني منه الإنسان الدنيوي في حياته العاطفية، وتتوارث البشرية المعاناة وسط هذه الحياة المخيفة من جيل إلى جيل. كل هذه الأشياء تمثل الجانب العاطفي للإنسان. على المريد أن يكافح لجعل جانبه العاطفي بسيطاً وهادئاً، وذلك عن طريق اتباع سبل معينة لتهدئة النفس والتمتع باللطف والوداد والإحسان. الإحسان هو شيء وجب أن يهيمن بالكامل على الفرد بحيث كل المشاعر والميول السلبية تصبح معطلة فتزول من كيانه تماماً. من خلال تنمية الإحسان والتسامح بطبيعته يجد الشحص بأنه ينمو بداخله حاجة كبيرة إلى حضور النقاء والاستقامة والجودة. إذا لم يقم بالإجراءات التي تنمي الإحسان بداخله فسوف يبقى يعيش حالة عاطفية مشوهة ومؤذية، حيث تبقى ذاكرته مليئة بظلال الأحقاد والغيرة والمرارة الناتجة من خيبات الأمل وغيرها من أمور سوداء تؤثر على كيانه بكل مستوياته.

نجد أيضاً في الجانب العاطفي مشكلة أخرى وهي هيمنة عواطفنا على سلوكنا وتصرفاتنا. إذا نظرنا للوراء في حياتنا التي عشناها لسنوات عديدة فنكتشف بأننا سببنا المشاكل لغيرنا كما أننا وقعنا في مشكال مختلفة. واجهنا مسألة صعبة خلال تكوين ورعاية عائلة، ربما بعضنا اختبر الطلاق أو حالة مشابهة أدت إلى إحداث خلل في حياتنا الأسرية والمنزلية، أو ربما نشأ بعضنا يتيماً واختبر التبني من قبل عائلة أخرى. أو ربما تم إفسادنا نتيجة المبالغة في الدلال والغنج الذي تلقيناه في صغرنا، فكبرنا في هذا العالم على مبدأ يقول بأنه يمكننا تلبية كل رغبة أو شهوة تطرأ في داخلنا دون قيود مانعة. كل هذه الحالات هي أمثلة على ما قد يحصل للفرد في حياته. لكن في كل الحالات والمشاكل التي اختبرناها، علينا أن ننظر إلى خلفيتنا العاطفية ومن ثم نتذكر كيف كان شعورنا ولماذا شعرنا هكذا ثم نتساءل: هل هذه المشاعر القديمة لازالت تؤذينا؟ هذا يعتبر أحد الأسس الأولية للتحليل النفسي والعلاج النفسي في العصر الحديث. معظم الناس يعانون من العصبية والإحباط الشديد وغيرها من حالات نفسية مختلفة بسبب معاناتهم من ذاكرة سوداء لخبرات حياتية سابقة. يعانون من ذاكرة مؤذية تبدو لهم غير عادلة. يعانون من ذاكرة تدفعهم إلى كره والديهم أو أجدادهم أو حتى أولادهم أو أحفادهم. هذه المسألة المتعلقة بذاكرة سوداء هي صعبة المعالجة لكن وجب معالجتها بأي طريقة من الطرق. الطريقة الوحية للتخلص من ذاكرة سيئة هو أن تكتشف لماذا كانت هذه الذاكرة ضرورية في حياتك. إذا أخذ الفرد هذه الذكريات السيئة التي يعاني منها ثم حولها وفق مفهوم الخبرة الحياتية، سوف يكتشف بأن كل شيء حصل معه كان مهماً جداً لدرجة أن عليه أن يكون ممتناً لاختبار كل تلك الحالات والظروف التي يعتبرها الآن مرعبة ورهيبة. كل اختبار حصل معه يمثل فرصة للنمو. كل سوء حظ اختبره هو فرصة للارتقاء إلى مستوى أعلى من الاستقامة الأخلاقية. كل وجع قلب مثل إمكانية لتحويل هذه المسألة العاطفية إلى اعتراف عميق بالوحدة الكونية للحياة. يمكن لكل شخص أن يراجع ذكرياته السوداء ومن خلال فهمها جيداً وبشكل صحيح يستطيع حينها استخدام تلك الذكريات كوسيلة للنمو بدلاً من السماح لها أن تؤذيه. غالباً ما تكون الذكريات المؤلمة عبارة عن سلوك أو اختبار نعجز عن فهمه والتعايش معه. نحن لم نتعلم استخلاص الحكمة منه.

هذه هي المشاكل الرئيسية التي يمكن مواجهتها على المستوى العاطفي من الحياة، ووجب على المريد الانعتاق منها عن طريق اتخاذ توجه جديد ذو طبيعة إحسانية، ورغبة في مباركة الآخرين بغض النظر عن أي شيء، ورغبة أكبر في رؤية الآخرين ينجحون أكثر منا، ويتقدمون بشكل أفضل منا، ونتعامل مع الحياة بصفتها سلسلة من الضوابط والأنظمة بحيث يمكن للإستقامة الأخلاقية أن تنجح وتزدهر فيها. سوف نكتشف مع مرور الوقت بأن الفرد الذي اختبر أوقات عصيبة في ماضيه وتعايش معها بنجاح قد أصبح محظوظاً في كافة الجوانب. هذا نتيجة لعيشه معها ونموه عنها، ولم يسمح لنفسه أن ينهار ويتحول إلى مدمن خمر أو مخدرات بسبب اختباره طفولة بائسة. كل هذه التجارب تمثل نكبات وإحباطات عاطفية. هي موجودة في الحياة بكثرة، وعلى الفرد أن يتجاوزها بنجاح وإلا فسوف تتجلى في حياته خلال تجسيده التالي في حياة أخرى. هذه النكبات العاطفية سوف تبقى تلاحقه عبر الحيوات المتتالية إلى أن ينجح في تجاوزها والنمو فوقها بطريقة سليمة. لكن إذا عجز عن معالجتها ولم يفعل شيئاً بخصوصها، ليس لديه الحق في الزعم بأنه يبحث عن مستوى أرقى من الفهم والبصيرة والتنور. لكن إذا زعم بأنه يحاول فعل هذا، فعليه أن يأخذ بعين الاعتبار حقيقة أنه لن ينجح أبداً إلا إذا نجح في تغيير نفسه وتجاوز تلك المسألة العاطفية التي يعاني منها بطريقة سليمة.

فوق المستوى العاطفي لدينا المستوى التالي وهو المستوى العقلي. سوف نتناول العقل هنا بصفته يمثل العقل الدنيوي في كيان الفرد، والذي نألفه في حياتنا اليومية، وليس ذلك العقل العلوي الذي يمثل الحكمة. العقل يمثل الأداة الأقوى التي نحوزها في كياننا. وهو في الحقيقة يحوز على قوة باطنية تضاهي القنبلة النووية. العقل في حالته الطبيعية يمثل التوجهات الفردية للشخص. العقل يفصل الشخص عن باقي الأشخاص. في الوقت الذي يمنح الشخص القدرة على تمييز وجود قرابة ممكنة مع الآخرين، نجد أن العقل ذاته يمثل قوة فصل وهو موجّه غالباً نحو الأدنى بحيث ينشغل في الحياة المادية. هو السبب الرئيسي الذي يجعل بعض الأشخاص يتقاضون راتباً يوازي عشرة أضعاف ما يستحقونه فقط لأنهم سمحو للعقل لديهم أن يصبح غير آبه للاستقامة الأخلاقية. يستطيع هذا العقل أن يقوم بالغش ويبرر هذا

العمل إذا كان الطموح قوياً بما يكفي. بالتالي يمكننا اعتبار العقل بأنه يمثل قدرة الفرد على المنافسة بنجاح مع أفراد آخرين. إنه قدرة أمة بكاملها على التنافس مع أمة أخرى بدافع الغريزة التي تحفز على ذلك.

العقل يكون في حالة سعي وتآمر بهدف تحسين حالة صاحبه. لا أقصد بذلك تحسين الفرد من الداخل حيث الملكات والقوى الإلهية الراقية، بل أقصد حالته الخارجية والمتعلقة بالنجاح الدنيوي. رغم هذا كله فإن العقل لا يعتبر أداة سلبية حيث لم يوجد أصلاً لاستخدامه بهذه الطرق المنحرفة التي نألفها، بل يمثل أساساً قاعدة تبرير تفكري للحياة. أي هو الشيء الذي يمكننا من الجلوس بهدوء ورؤية لماذا نحن على خطأ وكيف نحن على خطأ ما الذي يحصل للذين يرتكبون الأخطاء ذاتها منذ بداية التاريخ. العقل هو أداة فلسفية. قد يذكرنا بحقيقة أنه إذا لا نستطيع الاستمرار بالكذب بنجاح اليوم أكثر من الذين كذبوا في مصر قبل ثلاثة آلاف سنة. ولا نستطيع أن نتبع الآن طريقة أنانية في الحياة أكثر من الزمن الذي انهارت فيه الامبراطورية الرومانية. العقل يمنحنا إدراك، معزّزاً ببرهان قوي، لحقيقة أن الاستقامة الأخلاقية هي ضرورية بالنسبة للأمان الفردي أو الجماعي. الفرد الذي يعرض أمان الآخرين للخطر يكون بذلك معرضاً أمانه الشخصي للخطر. والفرد الذي يساعد على تحسين الآخرين وتطورهم يكون بذلك مساهماً في تطوره وتحسّنه الذاتي. لأنه من أجل أن يتطور الفرد عليه أن يصنع بيئة اجتماعية مناسبة لتطوره. وجب أن يكون هناك آخرين حوله لكي يتطور معهم. وجب أن تتوفر له فرص للتعلم والنمو والفهم. بينما إذا عزل نفسه بسبب أنانيته وعدوانيته وعدم تسامحه فيكون بذلك قد ترك نفسه عارياً أمام أعداءه.

قد يمثل العقل قاعدة مناسبة للانطلاق في مناقشة مسألة المعلم الذي نحتاجه كمرشد صحيح. وجب أن يكون المعلم في هذه الحالة كما المعلم العادي في المدرسة. معلم المدرسة يعلم الرياضيات والجغرافيا والتاريخ وقواعد اللغة... وغيرها، لكن تبقى الحقيقة أن المعلم لا يفعل شيء سوى تقديم التعليمات التي تراكمت عبر الزمن. وهذه التعليمات تبقى غير نافعة وعديمة القيمة إذا لم نتعرف على أخلاقياتها. إذا لم

تستعرض هذه التعليمات لماذا الناس وقعت في المشاكل ومن ثم استعرضت كيف خرجوا من هذه المشاكل، أو إذا لم تعلمنا تلك التعليمات كيف نصحح أخطائنا وتنمية فضائلنا وتأسيس استقامة أخلاقية في الحياة فهذا يعني أن تلك التعليمات عديمة النفع. وهذا الذي يحصل بالضبط مع التعليمات التي نتلقاها في المدرسة. هذه التعليمات الآن تعلمنا كيف نشتري البضاعة، تعلمنا كيف نكسب المال، كما أنها تمنحنا الفرصة لكي نبني مستقبل مهني عظيم بحيث قد ينتهي بنا الأمر مالكين يخت في جزيرة جميلة في الباهاما، إنها تفعل كل تلك الأشياء التي تعتبر برهان واضح على قوة تأثير العقل على المادة. إنها الإثبات الراسخ على أن التفكير البناء قادر على جعلنا أغنياء. لكن هل سنصبح أغنياء بنائين فعلاً؟ أم أننا نكسب الثروة كنتيجة لمساومتنا على البناء؟

القيمة الأخلاقية للعقل هي ذات أهمية كبرى. ماذا يفعل هذا العقل؟ هل هو أداة قوة عنيدة عديمة الشفقة؟ هل هو كمبيوتر تقني هائل؟ هل هو مجرد من الروح ومنعدم الغاية بحيث يعطينا فقط الحقائق ونحن نتصرف بها كما يحلو لنا؟ أو هل يشرح لنا العقل لماذا تحصل الأشياء، وكيف يمكننا جعل الأشياء تحصل في حياتنا إذا كنا نريد ذلك؟ هل العقل يخدمنا؟ هل العقل يساعدنا على النمو والارتقاء؟ أو أنه يساعدنا لأن نكون كسالى؟ هل العقل يجعلنا نستفيد من مواهبنا، أو أنه لا يجعلنا نستفيد منها إطلاقاً؟ هل العقل يجلب لنا النجاح وفق مفهوم الممتلكات والأرصدة المالية؟ والتي يمكنها أن تختفي تماماً من حياتنا دون أن يستطيع العقل فعل شيء حيال الأمر. في الحقيقة، كل هذا يمثل جزء من وهم كبير. ورغم وجود هذا الوهم الكبير نحاول أن نعيش حياتنا وفقه.

إذاً، بوجود عقل لا يكشف لنا الحقيقة، أو لا نتوقع منه ذلك أو لا نسمح له بذلك، تتشكل عوامل عاطفية تمنعنا من أن نكون أفراد سعداء ومرحين ومبتهجين، ويتشكل نظام حيوي متدهور ومنهك بفعل تفكيرنا السلبي مما يجعلنا مرهقين كل الوقت، وأخيراً نجد الجسد الذي قد يصمد ابعض الوقت لكنه يصبح خردة خلال عدة عقود. هذا هو النموذج المضاد لذلك النموذج المثالي الذي سعى إليه الحكماء القدامى

عندما تناولوا موضوع النمو والارتقاء. في كل مكان من حولنا نجد كيف الطبيعة تصرّ على النمو والتحسّن. الطبيعة لن تحافظ على ديمومة ذلك الذي لا ينمو. الطبيعة لن تتساهل إلى الأبد مع ذلك الذي لا يساهم في الخير العام. إذا أردنا أن نكون ناجحين في الحياة فعلينا أن نقلد الطبيعة في إجراءاتها. علينا أن لا نتأمّل في حصول معجزة عجيبة تجعلنا راضين وسعداء.

نأتي الآن إلى عامل آخر، ورغم تعدد تسمياته بين المدارس المختلفة لكنني سأكتفي بالإشارة إليه بالعقل العلوي. هذا هو المقياس المثالي. هو يمثل قوة الروح، والتي لا ترتاح طالما بقيت الأعضاء المختلفة للكيان فاسدة. الروح هي ذلك الصوت الخفي، لكنه موجود أبداً. هو ذلك الشيء الذي يجبرنا في النهاية على إدراك حقيقة أننا لا نفعل ما نحن بذاتنا نريد فعله، وإدراك حقيقة أننا مدفونون في الركام العشوائي لطموحاتنا. مسألة الروح إذاً هي أرقى من مسألة العقل. الروح تتعامل بنهائية الأشياء. الروح تطرح على الفرد سؤال بسيط: إلى ماذا ستنتهي كل هذه الأمور؟ كل ما تفعله الآن، أليس نهايته في المقبرة؟ هل التوجه المادي مقبول؟ يستجيب العقل، والذي يكون تحت ظروف معينة، قائلاً: "*.. نعم.. أنا أستطيع أن أكون ملحداً.. ليس ضرورياً أن أؤمن بشيء.. لأنه إذا آمنت بشيء فسوف أضطر إلى التخلي عن بعض طموحاتي.. إذا كنت أؤمن بالله فسوف أعجز عن فعل تلك الأشياء التي تعتبر معصية للكائن المقدس.. لذلك دعونا نلغي الكائن المقدس من قاموس حياتنا..*". هناك الكثيرون ممن يؤمنون بهذا الكلام فعلياً. يقولون بأن الكون هو ما نصنع منه، لا أكثر ولا أقل. يقولون بأن الكون هو آلة ميكانيكية، هو نوع من الكمبيوتر المشابه لتلك التي نستخدمها اليوم. لكن في الحقيقة، الكون ليس كمبيوتر ولا آلة ميكانيكية، بل كتلة من الذكاء الواضح والجلي. هو مثال راقي لحكمة تتجاوز مستوى استيعاب الإنسان. الكون هو كائن حي هائل وعظيم، والذي بالرغم مما نعتقده أو لا نعتقده، يكون صائب وعلى حق دائماً. لا يمكننا خرق قوانينه لأنها أعظم منا بكثير. علينا أن نعيش في رحابه ونخضع لقوانينه مهما كانت آرائنا حوله.

القسم الباطني للإنسان، أي الروح، يقول ببساطة: *".. ما هي قيمة الإنسان عندما يفقد كافة ممتلكاته الدنيوية؟.. الجواب.. قيمته تبقى ذاتها كما كانت قبل فقدانه الممتلكات.."*. بالنسبة لمسألة النجاح، يمكننا تحقيقه من خلال طريقة عيش عادية ومعتدلة وبعض التفاصيل الضرورية لبقائنا ومهنة مفيدة إذا أمكن، أو عمل يومي صادق ومخلص. السؤال هو: كيف سنستخدم الأشياء التي اكتسبناها ونتمتع باقتنائها في حياتنا، وماذا سنفعل باليخت الذي نملكه في جزر الباهاما بعد أن نغادر هذا العالم؟ في الحقيقة، إن بعض الناس يتصرفون في هذا العالم وكأنهم سيعيشون إلى الأبد، لكن هذا الشعور لن يدوم طويلاً حيث الأخطاء التي يقترفونها تعيدهم إلى صوابهم في النهاية. لماذا علينا أن ندمّر استقامتنا الأخلاقية ونفسد عائلاتنا وندمر حضارتنا ونفقر الإنسانية، تاركين نصف سكان الكوكب يموتون من الجوع، فقط من أجل أن يتسنى لمجموعة قليلة أن تصنع شيء مهم بنظرهم مثل مراكمة ثروة كبيرة. ما هو سرّ هذا العمل؟

قبل أن يأمل الفرد بأن يدرك العالم الروحي، عليه أن يتفكر بهذه المواضيع السابقة. عليه أن يتوصل إلى قناعة نهائية تقول بأنه عليه تنظيف طريقة تفكيره. عليه أن يحرص على أن تكون حياته طاهرة وتتصف بأكبر قدر من الإنسانية، وجب أن يسودها الاعتدال، واستخدام سليم لما يملكه الفرد وتكريس مستمر لخدمة أخيه الإنسان. هذه هي الأشياء التي اعتبرها المعلمون القدماء ذات قيمة كبيرة. المعلمون الهنود (الغورو) الذين لديهم أتباع أصبحوا أسطوريين في طريقتهم المميزة في الإرشاد والتعليم في الهند. هم يمثلون الأهل الروحيين لتلاميذهم الصغار عندما يدربونهم أو يعلمونهم على فهم الأمور بطريقة صحيحة. غالباً ما كان التلاميذ يذهبون للعيش مع معلميهم في مكان اختلائهم (أشرام أو مغارة). كانوا يعيشون حياة بسيطة جداً، وحياة هادئة جداً. عاش التلاميذ دائماً مع حضور المعلم الذي كان متجاوزاً لمغريات الحياة الدنيوية. كان الغورو يمثل تجسيداً حياً للتعاليم التي قصدها التلاميذ. الغورو لم يحوز على أي ممتلكات مادية، وكل ما يملكه في هذا العالم المادي هو طاسة أو وعاء صغير بستخدمه لملئ الطعام الذي يتحسن به الناس عليه، وكذلك قطعة قماش غالباً ما تكون مهترئة يلفها حول خصره، وخيط فيه خرزة أو عدة خرزات معلق حول

رقبته. هذا كل ما يملكه الغورو. كان يعيش حياته فقط من أجل مساعدة وتعليم تلاميذه. لذلك، بالنسبة لأولئك الصغار الذين يلتحقون به في خلوته ويعيشون معه خمسة أو عشرة سنوات ليلاً نهاراً، صار مثالاً حياً للتعاليم التي لقنها للتلاميذ. وهذه بالذات تمثل مسألة مهمة جداً. لقد قدم المثال الصالح على عدم الاستغلال، ولم يقدم شيء للتلميذ سوى الحق في النمو والارتقاء. لم يقدم أي حل للمشاكل الشخصية ولا شيء يرضي النفس، بل قدم فقط حالة سكون تؤدي إلى حل المشاكل نفسها بنفسها. كان الغورو مثال حيّ على ما يمكن تحقيقه من خلال الوجود في العالم لكن ليس من العالم. التلاميذ الذين التحقوا به صاروا بدورهم معلمين، حيث تعلموا على يد الغورو كيف يخدمون الحاجات البشرية. لم يحصل أي نقاش حول إقامة مؤسسات كبرى، بل كان التعلم منصب على كيفية العيش ببساطة ووفق المبادئ الأخلاقية، واستعداد دائم لكشف خبرتهم الحياتية المهمة لمن يطلب ذلك. يصعب فعل ذلك الآن خلال العيش وسط حضارتنا العصرية. كلنا نعلم ذلك. لأن طريقة الزمن القديم لم تعد مألوفة الآن. بالنسبة للشباب الذين يجتمعون اليوم من أجل غايات دينية مختلفة نجد أنه ليس لديهم الخلفية المناسبة لذلك. بينما التلاميذ الذين كانوا يلتحقوا بالغورو جاؤوا من عائلات تهيمن عليهم معتقدات وأفكار وفلسفات دينية عريقة بحيث هي قائمة لمدة خمسين جيل على الأقل. نحن ليس لدينا هذا العامل اليوم.

نحن اليوم لا نملك أي طريقة مجدية لتصنيف أو تقييم صلاحية المدرسة الروحية. لكننا نستطيع فعل شيء بهذا الخصوص. نحن لسنا عاجزين عن الخروج بقرارات معينة تكون مفيدة لنا. أحد هذه القرارات هو أن لا نستعجل في الإنتساب إلى منظمة أو مدرسة روحية نجهل عنها شيئاً. لدينا الحق في المراقبة. والذين يرغبون في الإنضمام إلى مدرسة أو منظمة روحية، وجب عليهم أن لا يتأثروا بمواد ترقية أو غيرها من منح مغرية تقدمها المدرسة الروحية. الفرد الذي هو حكيم بهذه المسائل سوف يحسن التصرف من خلال مراقبة هذه المجموعة من الناس بحذر شديد، وربما يمتنع عن إصدار الحكم عليهم لمدة سنة على الأقل، إذا توصل خلال هذه السنة إلى إثباتات تشير إلى أن هؤلاء الناس تغيروا إيجابياً، أي الإلتزام الذي لديهم يكون باتجاه المبادئ العليا للحياة، وأنهم متحررون من الدوافع الدنيوية، كما أنهم متحررون

من التأثيرات العاطفية بحيث لم يكونوا قتاليين ولا خائفين ولا متأملين بل فقط عاملين مجتهدين، إذا أشارت الإثباتات بأن هذه المجموعة منسجمة مع بعضها جيداً، وأن اللطف والرقة قد سادا بينهم، وأن الصداقة هي عنوانهم العام، وأنهم مكرسون لغاية راقية، في نهاية سنة من المراقبة قد يشعر الفرد بأنه يستطيع القرار بحكمة إن كانت هذه المجموعة تناسبه أم لا.

الأمر ذاته ينطبق على المعلمين الروحيين المنفردين. وجب مراقبتهم أيضاً. وجب تحليل دوافعهم الحقيقية. وجب على الفرد أن يحاول تجاوز ذلك الدافع الذي يشجعه على أن يصبح روحانياً خلال فترة سريعة وسهلة، ومن ثم يستكشف إذا كان هناك أي جدية في المسألة المعنية. على الفرد أن يحاول تجنب كل الإغراءات المعروضة عليه والتي هي ليست جزء من أخلاقيات الحقيقة الكونية. ربما يتم دعوته بطريقة حماسية في الوقت الذي لا يكون فيها حاضراً لما عُرض عليه، أو الذين يعرضون ليس لديهم التكريس السليم من جانبهم.

في الحقيقة، لا يوجد أي معرفة فعلية لحقيقة أن كامل الدرب إلى البلوغ الروحي يمثل رحلة طويلة وهادئة إلى الوطن الأصيل. إنها رحلة العودة إلى مصدر أنفسنا. رحلة إلى الأسس الروحية العظيمة التي صنعت الجسد المادي ثم سكنت فيه. بالتالي فإن غايتنا النهائية هي أن ننمو ومن خلال النمو نقوم بالخدمة. وهذا يمنحنا توجه نهائي بخصوص المسألة، وهو: ما الذي نتوقع أن نكونه إذا نمونا روحياً؟ إذا حققنا التنوّر الموعود، إذا توصلنا إلى البصيرة الداخلية الهائلة التي تمنينا حوزتها، ماذا سوف نفعل بعدها؟ ماذا ستكون فائدتنا؟ هل سنستخدم الحكمة لغاية المحافظة على قناعاتنا الخاصة بنا؟ هل سنستخدم هذه الحكمة للتهرب من كل المشاكل والصعوبات والمخاضات والهموم؟ هل سنستخدمها لنكون متفوقين على الآخرين؟ هل ستمجدنا وتكافئنا على إنجازنا؟.. كل هذه الخواطر الفكرية هي خاطئة تماماً. الجواب مرة أخرى هو، السبب الوحيد الذي يجعلنا نرغب فعلاً بالنمو بشكل صحيح هو أن نصبح أدوات مجدية تساعد على إحراز النمو الكوني وكل ما فيه من كائنات حية. بمعنى آخر، نصبح خدم لشيء أعلى مهما ارتقى نمونا للأعلى، إلى أن نصبح أخيراً خدم

للحقيقة ذاتها. وإلى ذلك الحين فإن الرحلة مستمرة. وحتى عندما نكون خدم للحقيقة فسوف نبقى عبيد للواقع. ليس هناك مكان نقصده بعد ذلك. ومع ذلك فإن تلك العبودية هي بنفس الوقت حرية تامة، لأنه معها تكمن الإستقامة الأخلاقية التي نسعى لها، والقبول الكامل للحالة الإلهية المقدرة لنا منذ البداية. لكن على الأنانية أن تزول، وكذلك الدوافع الخارجية. على الفرد أن لا يتبع هذه الدروب لكي ينجح في الحياة ويزدهر مادياً. لا يمكنه أبداً أن يكون له أي دافع آخر سوى تكريس صادق لتحقيق الإتحاد الكامل مع الواقع الأسمى الذي يمثل جزءاً حتمياً منه. وإلى أن يحقق هذا أو يتخذ هذا التوجه فسوف لن يكون آمناً خلال بحثه عن القيم الروحية.

لدينا أيضاً مشاكل في الأديان الكبرى في العالم اليوم. ما لا نستطيع استيعابه جيداً هو وجود إله واحد رغم تعدد أسماءه وصفاته وميزاته بين الأديان المختلفة. لكن المشكلة هي أن الأسماء المختلفة صارت مهمة بدلاً من الكيان الواحد. اليوم نشهد ظهور الإرهاب الذي يعمل باسم الإله الأعلى، الذي هو ذاته يمثل إله المحبة وإله السلام. لكن أصبح فجأة يمثل تبرير لكره الآخرين والإجرام وكل ما يمت بالطبيعة الشريرة السوداء.

علينا أن نكون حذرين جداً في حياتنا عندما نأتي إلى معرفة أدبياتنا الدينية. إذا كانت أدبياتنا الدينية تابعة لمنظمة أو مذهب يسعى إلى السيطرة على الآخرين والحط من قيمتهم فعلينا إما أن نلتزم مقتنعين بها أو علينا أن نتخلى عن الالتزام بها. علينا بالتالي أن نحاول بكل ما عندنا أن لا ننجرف مع عوامل تصنيفية ومذهبية وطائفية ضيقة. كل المذاهب والطوائف لها مكانتها المميزة وهي على حق، لكن ليس هناك أي من هذه الطوائف والمذاهب التي يمكنها منعنا من التوصل إلى أن الحقيقة هي واحدة، والوحدة تمثل الواقع المطلق والفعلي. وكل المذاهب هي وجوه مختلفة لواقع روحي واحد. بالتالي في خدمة الله [تعالى] علينا محبة الجميع. بينما في خدمة أنفسنا فنحن بذلك نضحي بالآخرين في سبيل طموحاتنا وغاياتنا الخاصة بالإضافة إلى عصبيتنا وأحكامنا المسبقة. بخصوص موضوع التعصب الذي هو عبارة عن كتل ذهنية صلبة، نجده سهلاً على الفرد أن يكون متعصب ضد معتقدات أخرى

مختلفة، حيث إذا عدنا إلى فترة محاكم التفتيش وكل فترات الظلم والطغيان في الماضي سوف نكتشف ما يمكن للتعصب فعله. الحكم المسبق والتعصب مهما كان نوعه لا يفعل شيء سوى الأذى. وبدلاً من ذلك، على كل فرد أن يجتهد بكل ما عنده وبأي وسيلة ممكنة لكي يتغلب على كل التعصب والأحكام المسبقة لديه، إن كانت دينية أو فلسفية. يمكنه اختيار سبيله الخاص لكن عليه عدم انتقاد سبيل الآخرين. إنه من حقهم فعل ما يحلو لهم وليس من الضرورة أن يعجبه الأمر. بهذا يصبح كل شخص وحيداً مع معتقداته وقناعاته الخاصة والتي يستمدها أولاً وآخراً من خبرته الخاصة في الحياة.

مهما اختلفت معتقداتنا وفلسفاتنا وسبل ممارستها، جميعنا في الحقيقة نعمل ونجتهد نحو تحقيق غاية وحدة، نحن نعمل جميعاً لتحقيق السعادة والصداقة والمودة والمحبة. نحن نسعى لخلق مكان أفضل لأولادنا وأحفادنا. نريد أن نعيش باستقامة ونزاهة وعدل. ونفضل أن نعيش بتواضع شديد بدلاً من تحريف المبادئ التي تمثل أسس الحياة. ووفق هذه الشروط يمكن للفرد أن ينطلق في الدرب المؤدية إلى الحكمة. يمكنه أن يجد المعلمين الذين يرشدونه إلى معرفة ماذا يفعل في هذا السبيل. لكن في جميع الأحوال، لا يمكن للمعلم أن ينفع بشيء إلا إذا تقدم الفرد لإحراز مستوى معين في هذا المجال. إذا اصبح الفرد قادراً على السيطرة الكاملة على الجسد ووظائفه المختلفة فسوف تمر فترة بسيطة ثم يظهر له معلم ليرشده ماذا سيفعل بعدها. يقول المبدأ الهرمي: *".. عندما يكون التلميذ جاهزاً فسوف يحضر المعلم.."*. لكن لا يمكنك الذهاب والبحث عن المعلم وأنت لم تجهز بعد، ليس هناك فائدة في هذا العمل. لكن عندما تكون جاهزاً ومحضراً فسوف تكتشف بأن ما تحتاجه من تعليمات سوف تأتي إليك دون أن تجتهد في موضوع البحث. لكن هذا الأمر لن يحصل إلا إذا التزمت بالقوانين، أي التزمت بطريقة الحياة والتزمت بالقيم والتزمت بالاستقامة الأخلاقية.

لذلك ليس هناك داعي للقلق بخصوص المكافئة أو ما شابه. مكافئة النمو هي النمو ذاته. مكافئة الاستقامة الأخلاقية هي بناء عالم أفضل للجميع وحياة سعيدة لنفسك. الاستقامة الأخلاقية تمثل أساس النمو الروحي. والأفراد الذين حققوا هذه الاستقامة

الأخلاقية لن يكون لديهم أي مشكلة تقلقهم، إن كان الآن أو في الأزمنة القادمة. إذا كنت مهتماً في البحث بهذا الموضوع أكثر، أي موضوع الاستقامة الأخلاقية، يمكن العودة للتاريخ الذي يمثل مرجع جيد. التاريخ يقول لنا ما حصل للشعوب التي فعلت ما نفعله نحن اليوم. سوف نتعلم عن الخير الذي جاءهم عندما فعلوا الصواب. لكن عندما أخطئوا في تصرفاتهم كانت العقوبة حتمية. من دراسة التاريخ وكذلك دراسة أديان المقارنة سوف تتوصل إلى معرفة المبادئ الفعلية للاستقامة الأخلاقية. كما سوف تتوصل إلى فهم أهمية إدراك الأخوية الكونية. سوف تتوصل إلى فهم أهمية تقبل المسؤوليات الطبيعية للحياة، ليس بإصرار متشدد بل ببهجة وفرح. سوف تفهم حقيقة أن كل شيء ضروري هو صائب وصحيح. وأنه من واجبنا أن نفهم هذه الأشياء الصائبة والصحيحة، وتبتهج بها. وجب أن لا نشعر بأن الفضائل هي أشياء وجب أن نضحي بالكثير من أجلها. الفضائل في الحقيقة هي أشياء تساعدنا على عدم التضحية معظم حياتنا من أجل لا شيء.

كل هذه المبادئ السابقة تمثل أجزاء من مسألة التعليم. ماذا سنقول عن كيفية التزكية بهذه المبادئ لشخص آخر؟ في العالم اليوم يوجد كمية كبيرة من الأدبيات العائدة لمجموعة كبيرة ومتنوعة من الأديان التي سادت على مر العصور. يمكن للفرد أن يحصل على ملخّص قصير أو دراسة واسعة بخصوص النزاهات العظيمة في الحياة والقيم الأخلاقية التي اختبرتها البشرية عبر آلاف السنين. هذه التعليمات والإرشادات المختلفة يمكنها أن تكشف للفرد عن ما فكر به الأشخاص الخيرون، والطريقة التي عاشها الأشخاص الحكماء، كما أنها تساعدنا على معرفة السبب الذي يدفعنا اليوم إلى تمجيد أو حتى تأليه مجموعة من الأشخاص التاريخيين الذين كانوا مكرسين نفسهم روحياً ومثلوا أساس الكثير من الحضارات. نحن نؤمن ونعترف بالقيم العظيمة التي تحولت، من خلال الإلتزام، إلى مبادئ أساسية. نحن نعلم بأن هذه الالتزامات ليست ميتة، حيث لما كنا حكماء وعلماء من دون الصدق. وكل العلوم الحقيقية سوف تعيدنا في النهاية إلى الصدق. علينا أن نتعرف تدريجياً على الاستخدام الحقيقي للمعرفة. المعرفة هي التي تثبت لنا الأمور التي نحتاج معرفتها. ليست تلك التي نأمل بها بل تلك التي نعرفها بالتأكيد. بالتالي فإن العلم هو الذي يمنحنا الحرفة

المناسبة التي تمكننا من فهم عظمة الكون لكي نطيع قوانينه ونقدسه. الفن يمنحنا أداة أو وسيلة نتمكن من خلالها تصوير تعابيرنا الداخلية عن الجمال الكوني. العلاج هو فن المساعدة على استعادة توازن الجسم، لكنه غير ممكن أن يكتمل دون تكشّف مصادر الروح الباطنية. القانون هو وسيلة لإبقائنا على علاقة معقولة مع بعضنا البعض. معظم القوانين قد انحدرت إلينا عبر العصور من مصادر عريقة، وطالما بقيت هذه القوانين محفوظة بطريقة طبيعية وسليمة فسوف تكون مفيدة ومميزة، لكن إذا تم معالجتها بحيث تُسحب منها النزاهة فسوف تتحول إلى خطر على حياتنا.

كافة أشكال المعرفة هي بذاتها جيّدة. لكن اليوم، أصبح تحريف المعرفة عملية ضرورية من أجل النجاح. طالما استمرينا في خلق هذه التحريفات فسوف نستمر في ملاقاة الفشل، لأن النجاح الحقيقي يكمن في النزاهة وليس في عدم النزاهة. كل أنواع المعرفة التي نألفها يمكنها مساعدتنا على إدراك حقيقة وجود معرفة واحدة ضرورية. معرفة أننا مخلوقات نسير في رحلة طويلة، لكننا بطريقة ما محروسين ومرشدين بطريقة مذهلة من قبل الحكمة التي مُنحت لنا. نحن نعيش في هذا العالم لكن ليس مقدراً لنا البقاء فيه. نحن لسنا هنا لنبني الصروح الكبرى في هذا العالم المادي. نحن هنا ضمن منظومة إرشاد عظيمة، مُلهمة إلهياً وتحت رعاية إلهية. جميعنا موجودين في هذه المدرسة العظيمة. قد نكون الآن لازلنا في صف الحضانة أو الصفوف الأولى من هذه المدرسة، لكن في يوم من الأيام سوف نصبح معلمين عظماء في هذه المدرسة، ثم يمكننا أن نصبح أساتذة في الصفوف العليا. هكذا تكون درجات ومستويات النظام الباطني للأشياء. أي علينا الارتقاء إلى مستويات عليا، لكن هذا لن يمنعنا من الاستمرار في الخدمة والتعلم والتعليم. لكن في كل هذا التعليم، كل شيء يعتمد على نقطة واحدة وهي أنه كل ما يمكننا تعليمه فعلياً هو إلهام الفرد لكي ينمو وفقاً لاستقامته الأخلاقية ومستوى كوامنه وقواه الباطنية. يستطيع الفرد أن ينمو لأن كوامن النمو موجودة فيه أصلاً. الباطن هو ذو طبيعة مقدسة ولا بد أن يخرج في النهاية. لكن في الوقت الحالي، كل ما يمكن أن يفعله المعلومن الروحيون، مهما ارتقى مستواهم ودرجتهم وموقعهم، هو أن يذكرونا بحقيقة واحدة فقط: *".. إذا عشنا الحياة المناسبة فسوف نعرف العقيدة المناسبة.."*. هذا سيمنحنا الشجاعة لأن نشتغل

على أنفسنا، ونستخدم مثال المعلمين العظماء كمصدر إلهام لنا، هذا سيدفعنا إلى فعل ما فعلوه بإخلاص والتزام.

كل ما سبق يلهمنا إلى كيفية النمو. إذا استطعنا أن نتحلى بالقليل من الإدراك الحذر والمتأني، ونتخلى عن الحماس الشديد الذي يعمينا عن تمييز الحقائق، يمكننا أن نكتشف بأنفسنا تلك التعليمات التي هي مفيدة وطبيعية وصائبة، ويمكننا بنفس الوقت تجنب الانخراط في ما لا نعتبره صائباً. جميعنا نبحث لكننا أحياناً لا نستطيع تمييز ما هو أفضل لنا. لكن إذا كررنا لأنفسنا دائماً الأسئلة التالية: ما هو اللطف؟ ما هو الخير؟ ما الذي نستلهمه من محبة الله وأخينا الإنسان؟ وإذا كنا مجردين من حب الاستغلال والمجاهرة والمباهاة فسوف لن نكون بعيدين عن الحقائق المرجوة. آمل أن تتمكنوا، وفق هذه الطريقة في التفكير، من حل الكثير من هذه المسائل بأنفسكم.

الغاية النهائية لكافة الأنظمة الروحية

يوجد جانب من أنفسنا رغم أنه خفي وغير مُدرك أو ملموس إلا أنه حقيقي وواقعي وله تأثيرات ملموسة. هذا البعد الخفي من أنفسنا يمثل القسم الجوهري والأساسي لكل فرد منا وقد تم الإشارة إليه بأسماء كثيرة مثل النفس العليا، النفس المقدسة، الذات الباطنية، النفس الكليّة، النفس الخفية، الأنثروبوس، الشمس الباطنية،.. وغيرها من أسماء ترفع من مقامه إلا أنها لا تمثل كامل الصورة الحقيقية لهذا البعد الجليل في الإنسان. مع اكتشاف نفسك العليا والأكثر قدسية تأتي معرفة باطنية ربما هي الوحيدة المؤهلة لوصف هذا الجانب الخفي والغامض في جوهرنا. إن السعي لاستكشاف نفسك العليا يمثل جوهر الحياة الروحية ويمثل المفتاح نحو الوعي الأسمى.

منذ الزمن الأوَل وقف الكائن البشري مشدوهاً أمام عظمة الخلق وجلالته وروعة ابداعه. الشمس، القمر، المواسم، الريح والنار والزهرة وولادة طفل... إلى آخره. لكن رغم هذه العجائب إلا أن العالم الخفي هو الذي خطف اهتمامنا أكثر من أي شيء آخر. نحن نأتي إلى هذه الحياة دون معرفة لماذا نحن هنا، من أين جئنا، أو إلى أين نذهب بعد الموت. نعيش حياتنا اليومية وكأننا سنعيش إلى الأبد، لكن في أعماقنا نعلم أننا لم نأتي إلى هنا لنبقى.

يوجد الكثير من الناس الذين لا يفطنون إلى وجود هذا البعد الروحي في جوهرهم. يبدو أن سحر العالم الدنيوي خلق بداخلنا ميل أو نزعة إلى إدراك ما يمكن إدراكه عبر الحواس الخمسة فقط، مع تجاهل كل ما يخرج عن هذا النطاق الإدراكي الضيق. لقد تشكّل معتقد عام، أو منطق مألوف، سيطر على تفكيرنا ورؤيتنا للأمور بحيث نعتبر كل ما يمكن إدراكه بالحواس الخمس هو الحقيقي، كل ما هو مرئي وملموس هو واقعي، بينما كل ما هو خفي، غير مرئي أو ملموس، هو غير حقيقي. رغم ذلك كله، يكشف لنا التقدم العلمي دائماً وباستمرار حقائق جديدة عن هذا العالم

الخفي، خصوصاً في مجال الفيزياء الكمومية وكذلك النظرية الهولوغرافية، جميع تلك الحقائق تشير إلى أن ذلك العالم الخفي هو الوحيد الذي يعتبر حقيقي بينما ما ندركه ونعتبره حقيقي هو وهم.

إحدى الحقائق الروحية الراسخة والتي هي قديمة بقدم الزمن تقول أننا لسنا كائنات بشرية تختبر تجربة روحية، بل نحن كائنات روحية تختبر تجربة بشرية. ما نحن عليه فعلياً ليس المظهر المادي من أنفسنا، بل المظهر غير المادي هو الذي يمثل جوهر طبيعتنا ككائنات بشرية. مجرّد أن تأمّلت في حياتك سوف تكتشف كيف "الذات" الحقيقية لديك لا تتغير رغم أن مظهرك وشخصيتك وكل مظهر من مظاهرك الجسدية تتغير. مع القليل من التفكّر حول المسألة سوف تستنتج بأن جسدك ليس سوى مهجع مؤقت للذات الحقيقية التي هي أبدية.

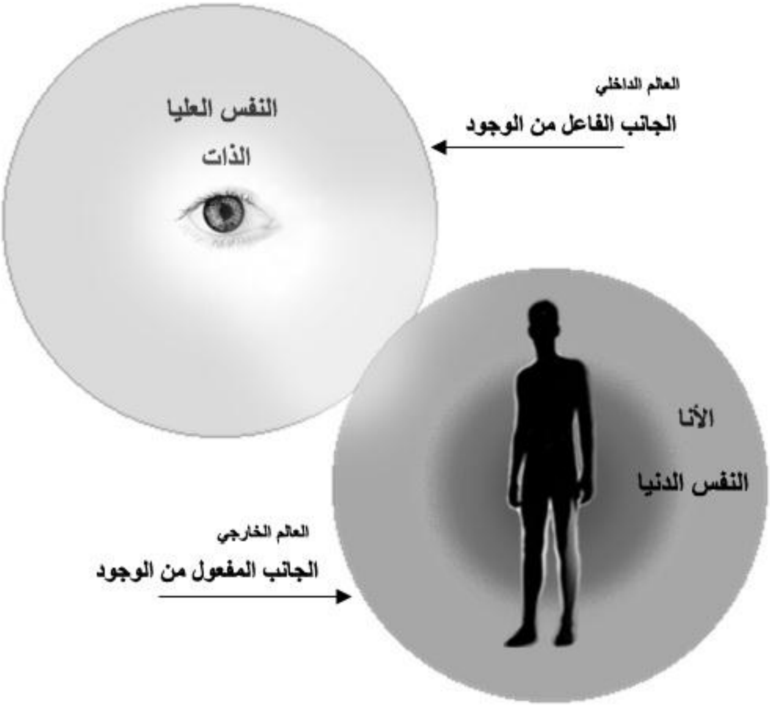

معظم الناس يعتقدون بأن الروحانية شيء وجب البحث عنه خارج أنفسهم وأن الله هو كائن بعيد وجب البحث عنه في معبد أو في خلوة داخل مغارة أو عبر الانضمام إلى منظمة دينية معينة. وجب العلم بأن النفس العليا، ذلك الجانب الخفي منا، تمثل حضور الله في جوهرنا. في أعماقنا الباطنية تقبع تلك الشرارة الإلهية التي انبعثنا منها أصلاً. الشمس الباطنية التي تمثل ذاتنا الحقيقية.

هذا البُعد الخفي من أنفسنا موصول بواقع أسمى.. وهو الخالق [عزّ وجلّ]. عندما تتواصل مع هذه الشمس الباطنية بطريقة أو بأخرى سوف تكتشف وجود حكمة أكثر عظمة من ما هو موجود في العالم المادي الذي يسيطر حالياً على تفكيرنا المنطقي ونظرتنا التحليلية. عندما تعيد الاتصال مع النفس العليا، مع الذات الحقيقية، فأنت بذلك تتصل مع مصدرك الأساسي. الوعي الأسمى، أو الوعي الخارق كما يسمونه، هو الوعي الذي تستخدمه النفس العليا، وهو وعي روحاني يتجاوز محدوديات المستوى المادي، وهذا لأنه غير محصور ضمن حدود إدراكات العالم المادي. ذلك العالم التجاوزي غير المحدود سوف يتوفر لك ويصبح مدركاً بالنسبة لك فقط عندما تبدأ العيش في مستوى النفس العليا وبعد تفعيل الوعي الخارق الذي يعمل بذلك المستوى.

هل لازلت تستبعد حقيقة هذه المزاعم؟ وجب أن تعلم أن النفس العليا لديك لا تمثل قسم من كيانك بل تمثلك أنت! هي في الحقيقة تمثل ذاتك الحقيقية. كل شيء يتعلق بك على المستوى الظاهري يتغير باستمرار، لكن نفسك العليا لا تتغير أبداً. فهي دائماً كانت ولازالت هناك، تنتظر إليك وتراقبك. أنت في الحقيقة كائن روحي. كل ما عليك فعله هو إسكات الثرثرة الدائرة في عقلك باستمرار، وفي لحظة الصمت الكامل أنظر في أعماق نفسك وسوف تكتشف من تكون في الحقيقة. سألوا يوماً أحد القديسين الأجلاء هل أنت الله؟ فكان جوابه: *".. نعم أنا هو.. وكذلك أنتم.. والفرق الوحيد بيني وبينكم هو أنني عرفته بينما أنتم تجهلونه.."*

هذا الاندماج الكامل مع "النفس العليا" انقطع مجرّد أن انغمس الإنسان في حالة الدنيوية والخشونة والوحشية والانحراف الفاسد. وفقاً للحكماء القدامى، من أجل التغلّب على هذه الحالة الدنيوية ومحدوديات المادة لإعتاق نفسه تدريجياً من دوامة الفناء، وجب على الإنسان خوض عملية شاقة من تهذيب النفس عبر وسيطه الجسدي ونفسه الدنيوية ليعود من جديد إلى حالة التطوّر والتجدّد الروحي، فيصبح الجسد منزل أو حرم الله والذي خُلق أصلاً بفضل قواه الخلّاقة. يمكن بعدها لذلك الجزء من روحه النائمة، والتي تتخذ لنفسها هيئة مادية، أن تعود للاتحاد مع الكيان الكلّي، أو النفس العليا. هذا هو الهدف الرئيسي والإنجاز النهائي للمدارس الروحية والذي يختم مسيرة تدريب المنتسبين إليها. الغاية النهائية من "الممارسة التجاوزية" هي أن يصبح الإنسان مدركاً للمصدر الإلهي لكينونته، ويعود للإتحاد معه بشكل واعي ودون حاجة للانتظار حتى يخوض مرحلة التلاشي المادي (الموت) حتى يدرك مصدره الحقيقي.

خلال سعيهم إلى إيجاد حل مناسب لهذه المسألة، وضع الحكماء الأوائل مخطط عام لتركيبة الإنسان وتشمل جانبه الدنيوي والعلوي (الظاهري والباطني)، ونحن كبشر عاديين لازلنا عالقين في شباك الجانب الدنيوي وغارقين في أوهامه لدرجة أننا لم نفطن يوماً إلى وجود جانب باطني لدينا، وهذا الجانب الأخير هو الأهم لأنه الحقيقي. لكن من أجل إدراك هذا الجانب السماوي الساحر أو الإفادة من بعض حسناته المبهجة علينا أولاً إجراء تغييرات جذرية في جانبنا الدنيوي بهدف توفير الظروف المناسبة لتجلّي تلك القوة المنبعثة من الجانب الباطني التي يسمونها النور السماوي أو النفحة الإلهية أو إشعاع الشمس المركزية أو المخلّص كما تسميه معظم الأديان.

من أجل التعامل مع الجانب الدنيوي بشكل سليم خلال معالجته وتوفير الظروف المناسبة لتجلّى النور السماوي، علينا أولاً معرفة واستيعاب المكونات التي يتألف منها هذا الجانب الدنيوي والتي تتطلب المعالجة، وهي: [١] الجسد المادي، ويقع وفق المخطط في مركز دائرة تتألف من ثلاثة مكونات متدرّجة تبدأ من [٢] العاطفة

(الرغبة)، ثم [٣] العقل الدنيوي، ثم [٤] الخيال (الواقع الوهمي الذي نعيشه في العالم الدنيوي) وهذا القسم الأخير يمثل فكرة يفهمها معظم الناس بشكل خاطئ لكن الأمر سيتوضح جيداً لاحقاً.

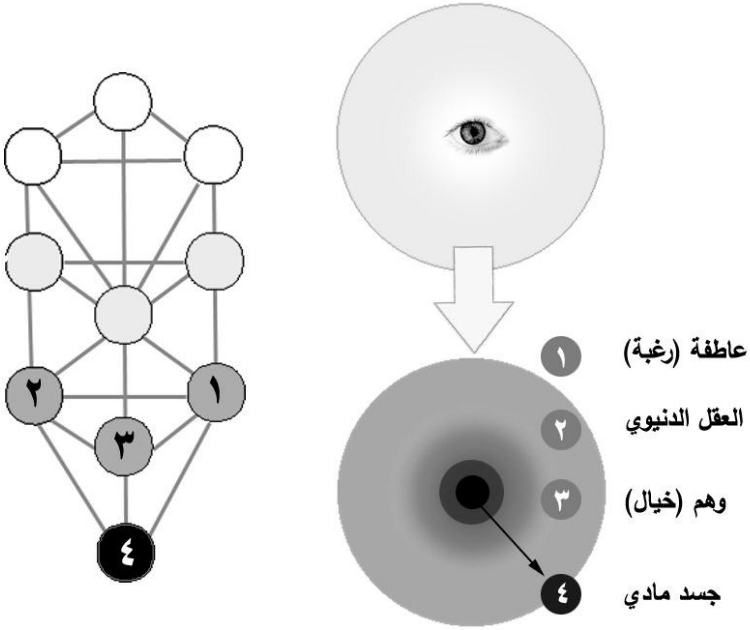

المكونات التي يتألف منها الجانب الدنيوي للإنسان. المكونات المرقمة في كل من الفقاعة الدنيوية والقسم الدنيوي من مخطط شجرة الحياة هي بطريقة متوافقة مع سياق الشرح السابق.

الغاية النهائية هي تجلّي النفحة الإلهية

معظم المعتقدات القديمة سلمت بوجود كيان باطني وسيط يقبع بين العالم الروحي والعالم المادي. هذا الكيان الباطني يمثل خليط بين الروحي والمادي. يمثل جسر يربط بين الإنسان الطبيعي والإنسان الإلهي. يمثل وصلة بين السماء والأرض مشكلاً بذلك منظومة أساسية تعتمد عليها الخطة الإلهية. لهذا السبب تم الاهتمام بهذا الكيان الوسيط الذي أشاروا إليه بأسماء كثيرة مثل الروح أو النفس الخفية أو النفس العليا أو غيرها، لكنني استخدمت مصطلح "الذات" لتجنب أي خلط في المفاهيم. هي الشمس المركزية القابعة في الجانب الباطني والتي تنبعث منها "النفحة الإلهية" (أو النفحة الشمسية). بالنسبة للبعض، تعتبر هذه "الذات" نوع من الكيان المنفصل والذي يولد مع الإنسان لكنه لا يموت أبداً، حتى لو مات الإنسان جسدياً تبقى هذه "الذات" قائمة. لهذا يعتبرونها في الفلسفات الباطنية بأنها الفانية غير الفانية. لها بداية لكن ليس لها نهاية. وهذا الموضوع يصعب شرحه علمياً ولهذا السبب تخلى العلماء المنهجيين عن تناوله بدراستهم. لكن وفق بعض الفلسفات الدينية يوصفون الذات الباطنية بأنها عصا أحادية الأطراف. لها بداية لكن ليس لها نهاية. في التعاليم الصوفية المسيحية، تمثل "الذات" نوع من الجسم الروحي، وهو جسم سيدنا يسوع في الإنسان. هو تجلّي مبدأ المسيح المخلّص في طبيعة الإنسان الدنيوي. هذه "الذات" إذاً هي في حالة دائمة من السعي لتحقيق النمو الروحي للفرد. في مسيرة التطور لدى الإنسان تأتي فترة التحوّل بحيث تنتقل القيادة في الإنسان، والتي تقرر حياته ومصيره، من العقل الدنيوي إلى "الذات".

بالنسبة لمعظم الصوفيين، موقع "الذات" في جسم الانسان هو القلب. وفي معظم الفلسفات الدينية الشرقية يشيرون إلى مسيرة البحث عن الذات (الخلاص) باسم "عقيدة القلب". هو الانتصار التدريجي لقوة سامية متجاوزة لمنظومة الإنسان الدنيوية/المادية. النفحة الإلهية (الشمسية) التي تنبعث من "الذات" (الشمس المركزية) هي شيء يتجلى وينمو ويزدهر في الجانب الدنيوي للفرد. هذه النفحة

الإلهية تتغذى على الفضائل المألوفة في الحياة. هذه النفحة تنمو وتزدهر إذا توفرت كامل العوامل والشروط المناسبة لها. بهذا المعنى تصبح أداة قياس. أي كما مقياس الحرارة. بحيث تكشف عن حالة الكيان الكلّي للإنسان.

هو القوة الغامضة التي تنمو وتزدهر على فضائل الحياة وجمالياتها. هو يتغذى من خبرات الإنسان المتجلية بالتتابع دائماً وأبداً والتي تهدف إلى كشف أهمية الخير وجلالته في حياة الإنسان ومصيره. هذا الجسم الإلهي المتجلّي في العالم الدنيوي يعتبر مصدر الفنون كما حالة العقل الدنيوي الذي يمثل مصدر العلوم. كافة الأمور المادية سوف تخضع في النهاية لسيطرة القوة الإلهية المتنامية باستمرار في داخل الإنسان. كافة المعتقدات القديمة اجتمعت على حقيقة أن هذه النفحة الإلهية كانت أكثر قوة في الإنسان القديم بالمقارنة مع الإنسان العصري. هذا لأنه عبر العصور الماضية شهدت سيطرة تدريجية للعقل الدنيوي على كيان الفرد على حساب النفحة الإلهية، فزادت أنانية الفرد على حساب تفانيه. النفحة الإلهية ليست أنانية كالعقل الدنيوي بل جماعية في طبيعتها، أي هي عمومية أكثر من كونها خصوصية كالعقل الدنيوي.

قال الفلاسفة الإغريق بأن النفحة الإلهية وجب مساعدتها، إذ تعتبر طفل روحي صغير مولود في غابة الجسد المادي للإنسان والمحكوم بطبيعته الدنيوية، وهذه الغابة مليئة بالوحوش الضارية الممثلة بالشهوات والميول الغريزية للإنسان. وهذه النفحة الإلهية وجب تغذيتها ورعايتها وإرشادها وتحريرها. عندما أقول مساعدة النفحة الإلهية المتجلية في كياننا الدنيوي لا أقصد بذلك مساعدتها كمبدأ، إذ المبدأ الشمسي هو أسمى وأرقى من أي مساعدة منا ككائنات دنيوية، بل أقصد المساعدة على تحرير هذه النفحة المتجلية فينا عبر توفير الظروف المؤدية إلى نموها وازدهارها. النمو بالنسبة للنفحة الإلهية هو تحررها وتكشّفها التدريجي في الجانب الدنيوي. التجلّي التدريجي لما هو أفضل بالنسبة للإنسان.

تكريس النفس في سبيل النفحة الإلهية يمنحها دعم وتعزيز، حيث هي تتغذى على ما نعتبرها الفضيلة الإنسانية. كل فرد يغذي النفحة الإلهية لديه عبر وتكريس نفسه لهذا العمل. عبر التزامه بالمبادئ الأخلاقية المتعلقة بهذا الموضوع. عبر إدراكه لوحدة الحياة وجمال العيش وكل الأمور المتعلقة بهاذين المحورين. هذه النفحة الإلهية تبتهج بالفنون الراقية والموسيقى الجميلة، وأكثر من ذلك كله فهي تبتهج بالفضائل العظمى. هذه النفحة الإلهية تتجلى بسرعة ويسر في أبسط الناس، لأنه متحرر جزئياً من الشباك الدنيوية المعقدة، فتجد سهولة في الازدهار بأفضل جوانب ذلك الفرد لتنطلق وتسود تدريجياً في باقي جوانبه الأخرى.

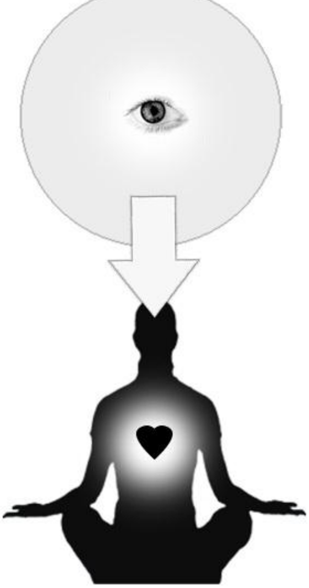

تبقى النفحة الإلهية في حالة دائمة من محاولة التجلّي في المستوى الدنيوي إلى أن يساعدها الفرد في توفير الشروط المناسبة لتحقيق هذا التجلّي

هذه النفحة الإلهية تمثل صلة وصل بين الإنسان الدنيوي وميوله الشخصية وبين المبدأ الكوني الأصيل الممثل للـ"ذات" (الشمس المركزية) التي تنبعث منها أصلاً. هي الزهرة المتفتحة في الجانب الدنيوي بينما جذورها تقبع في الجانب العلوي، هي

الزهرة الحمراء التي تحدث عنها المتصوف الغربي وزهرة اللوتس في الفلسفات الشرقية. هذه الزهور ترمز إلى إطلاق ذلك الجانب من الإنسان والذي يعتبر أفضل جوانبه. لكن هذا عمل يتم انجازه تدريجياً عبر فترة مديدة وذلك من خلا التراكم التدريجي لما يمكن اعتبارها إنجازات بناءة. يتم إغناءها وتشريفها وتعظيمها وإطلاقها لكي تعبر عن ذاتها، وذلك عبر مجهود الفرد خلال سعيه الدائم للنمو. هو في الحقيقة لا يزيد إليها أو يمنحها أي من سماتها السماوية الخاصة بل يغذيها ويرعاها فقط وهناك فرق بين الحالتين. الغذاء لا يخلق الجسم بل يزوده بمقومات بقاءه وعناصر نموه. وهذا ما يفعله الخير والفضيلة بالنفحة الإلهية في سبيل بقاءها ونموها. فهي تمنحها فرصة أكبر للتعبير عن ذاتها ومساحات أكبر للتجلّي والتوسع والازدهار.

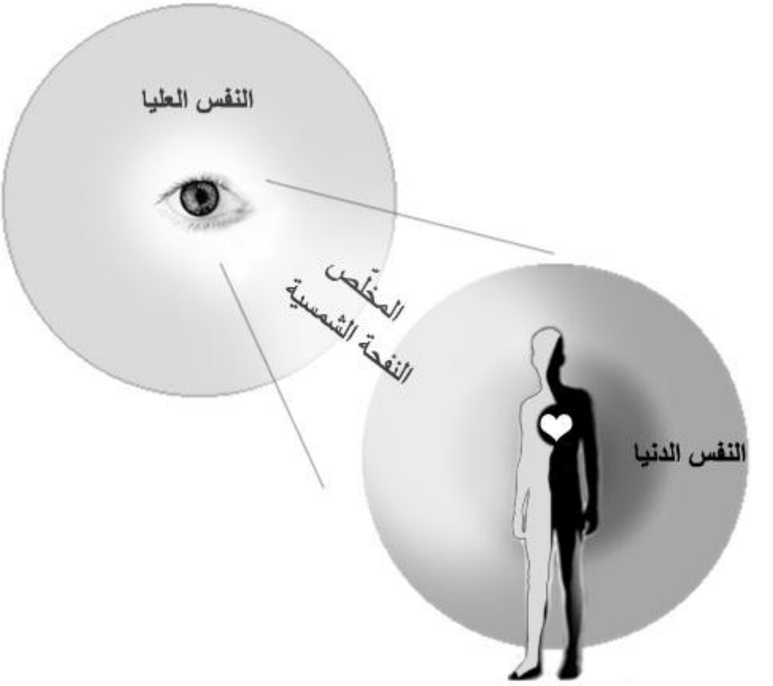

بعدما تسمح لنور النفحة الشمسية في الدخول إلى عالمك الدنيوي، يتجلى المخلّص، ابن الله، نور النفس العليا، تصبح حينها مسلماً حقيقياً لأنك سلمت كامل شؤونك الدنيوية للكائن النوراني الجليل لكي يديرها وفقاً لما تراه حكمته مناسباً

لهذا السبب يعتبر إطلاق سبيل النفحة الإلهية في الجانب الدنيوي العمل العظيم بالنسبة للحكماء القدامى. هذا ما كان يهدف إليه علم الخيمياء في الغرب وكذلك علوم اليوغا الهندية. هذه العملية تهدف إلى إعادة البعث التدريجي للإنسان من داخله. لا يمكن لهذه العملية أن تتم سوى بهذه الطريقة، لأنه في داخل الإنسان نجد دائماً بذرة تجدده أو إعادة بعثه أو ولادته الجديدة. هذا المفهوم يكتسب المزيد من الشعبية اليوم، خصوصاً بعد أن بدأنا إدراك حقيقة أن العقل الدنيوي غير مجدي إطلاقاً عند استخدامه للخروج باستنتاجاتنا المصيرية المختلفة. فكرة أن العقل الدنيوي وحده قادر على تحقيق الغايات التي نرغبها هي فكرة غير سليمة وغير عقلانية أصلاً، حيث كافة خبراتنا العملية لم تبرر هذه الفكرة أبداً.

فكرة "الذات" كمبدأ وردت في أكثر من صيغة في الفلسفات القديمة لكنها جميعاً متشابهة وتؤدي إلى نفس النتيجة. هو التمجيد لكل ما هو مثالي وبناء ونبيل في تركيبة الإنسان، هو انبعاث الإنسان الإلهي عبر الإنسان العادي، هو البعث عبر الشخصية العادية تلك التي تعتبر مركز التبجيل والتقديس التي تعتبر السمات الطبيعية في كافة المخلوقات.

بهذا المعنى تصبح النفحة الإلهية المخلّص الفردي لكل شخص تصحو بداخله. هذا الخلاص من الداخل كانت تمثل العقيدة المحورية لفلسفات الصوفيين القدامى. كانت النفحة الإلهية بالنسبة لهم عبارة عن بذرة صغيرة مزروعة في القلب، فتنمو مع الوقت لتتحول إلى شجرة كبيرة وكانت أغصانها تمثل الدواء الشافي لكل العلل. إن تجلّي النفحة الإلهية في الفرد تعتبر نوع من الولادة الثانية. قال أحد المتصوفين بأن جسد الفرد مولود من الرحم بينما النفحة الإلهية مولودة من القلب. هذا هو أساس الضمير الذي يعتبر بالنسبة للمتصوف النفحة المقدسة بداخله وتكشف عن نفسها وتحثه على السلوك بطريقة متناغمة مع طبيعتها الخيّرة. النفحة الإلهية الحزينة هي تلك التي اعتدت عليها الطبيعة المادية الدنيوية وتركت فيها الكثير من الجروح. النفحة الإلهية تكون مجروحة نتيجة الشرور التي يقترفها الشخص. النفحة الإلهية تعاني من حزن كبير نتيجة أثقال الطبيعة التدميرية في شخصية الفرد. النفحة الإلهية تكون في حالة

سعي دائم ومستمر لاعتراف الفرد بتلك الفضائل والقيم التي تجلب السلام والسعادة إلى حياته. لكن قبل حصول ذلك عليه التضحية بالكثير دنيوياً.

مع إلقاء نظرة على السلوك العام للناس، والمشاكل والصعوبات التي يواجهها كل فرد في حياته اليومية، نستنتج أن النمو الروحي هو الانتصار التدريجي لقوة الذات الباطنية على القوة الوحشية للأنا الدنيوية. الذات الباطنية هي القائد الذي يتولى القيادة بعد أن يدرك العقل الدنيوي عدم أهليته للقيادة. عندما نضع كامل حياتنا تحت قيادة العقل الدنيوي سوف نقع في مشاكل كثيرة. لكن من الناحية الأخرى، بعد تحرير العقل الدنيوي من قبل قوة الذات الباطنية سوف يتجدّد هذا العقل أو يولد من جديد، فيصبح أقوى الأدوات لفعل الخير يمكن للإنسان استخدامه في العالم الدنيوي.

إن تحوّل الفرد بالكامل هو عملية ثلاثية المراحل، أولاً، على الجسد أن يخضع لقوانين عقلانية ومستقيمة مع تلبية كافة حاجاته الأساسية. ثانياً، وجب تحويل العاطفة بعيداً عن الرغبات الشخصية ونحو التفاني والتعاطف الجماعي مع كل شيء حيّ. ثالثاً، وجب تحويل العقل الدنيوي بحيث لم يعد يعمل كأداة لإشباع الأنا وتمجيدها بل جعله كما خلق من أجله أصلاً وهو أداة إرشاد العالم أجمع والكشف عن الحكمة الإلهية وهي المعرفة النابعة مباشرة من الذات الباطنية. بالتالي فإن الذات الباطنية هي التي تحكم العقل الدنيوي وعندما يتم رفض هذا الحكم أو تشويهه تبدأ المشاكل المستعصية تتسرب إلى حياة الفرد.

النفحة الإلهية هي الطاقة الأقوى التي يمكننا اختبارها في كياننا. لقد تم وصف مدى قوتها في قصة بوذا عندما اختبر حالة التنور حيث انفتح الكون بكامله وكل العوالم والآلهة تدفقت نزولاً من مجرّة هائلة من الإشعاع الممتد من طرف الفضاء إلى الطرف الآخر. هكذا يكون تجلّي النفحة الإلهية في الإنسان بعد بلوغه التنوّر. بمعنى آخر، التنور هو هذا السمو في تجلّي الطاقة والذي يستلم زمام الأمور في حياتنا. لا نستطيع الجلوس منتظرين هذه الطاقة السامية للتجلّي هكذا لوحدها، بل هناك شروط لتجليها. علينا إدراك حقيقة أن النفحة الإلهية هي طاقة بحد ذاتها، وهذه الطاقة لها

ميل إلى التحكم بسلوك الفرد الذي تجلت لديه. النفحة الإلهية هي قوة أخلاقية، يمكن اعتبارها الضمير إذا أردنا، هي بكل تأكيد ملاك حارس غامض، هي المخلّص، النفحة الشمسية هي ذاته رسول الله. هي شيء روحي خفي وغير ملموس لكن قوتها هائلة وهي أكثر قوة من أي شيء نعرفه في هذا العالم. هذه القوة الروحية تعمل على تعديل كامل القوى الناشطة في الجسد. بينما تكون وظائفنا العقلية والجسدية ناشطة بالطريقة العادية التي نألفها نجد أن النفحة الإلهية معزولة بالكامل عن كياننا الدنيوي ونحن في الحقيقة نبذل كل ما عندنا من مجهود للإبقاء على عزل هذه النفحة الإلهية ومنع أي من تأثيراتها للتدخل في سلوكنا اليومي. نحن اليوم لا نريد أن نخضع لسيطرة النفحة الإلهية! لأننا نعلم بأنها سوف تتدخل في طريقة عيشنا الملتوية حيث سوف تعمل على ضبط طموحنا وسباقنا المحموم للوصول إلى قمة المجد الدنيوي من غنى وسلطة ومراتب اجتماعية وغيرها من أشياء نعتبرها مهمة بالنسبة لنا. هي تتدخل أيضاً في كبح رغباتنا الدنيوية وحاجاتنا الغريزية المختلفة بالإضافة إلى منعنا عن تناول الكحول والمخدرات وغيرها من مسكرات ومواد مؤذية، أو منع أي نوع آخر من العادات السيئة. إذاً، بسبب ميولنا وتوجهاتنا الدنيوية الملتوية نحن لا نريد أن تتجلى النفحة الإلهية في كياننا وتستلم زمام الأمور. نحن نريد النفحة الإلهية أن تبقى ساكنة ومعزولة بحيث لا تتدخل في أي جانب من حياتنا. وبالتالي تبقى خاملة إلى نهاية حياتنا.

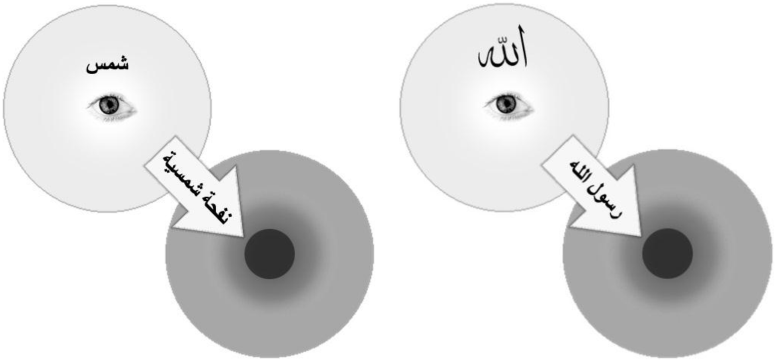

وردت ثنائية الشمس المركزية والنفحة الشمسية بأسماء ومصطلحات مختلفة في التعاليم والنصوص المنتشرة في كافة الحضارات وعبر كل الأزمان

إذا تمكنت النفحة الإلهية من قيادة الفرد وإدارة حياته فسوف يكون بأمان. سوف ينمو ويرتقى كما قدر له أصلاً. عندما يسيطر الأعلى على الأدنى حينها تتحقق المملكة الذهبية الإلهية التي تذكرها الأساطير دائماً، حيث لا يوجد استبداد ولا ظلم ولا قمع من قبل الرغبات الجامحة والتفكير الدنيوي المنحرف، كل جزء من كيان الفرد يكون محمياً وممنوح المصادر الكافية لأداءه السليم والمعافى.

قوة النفحة الإلهية تمنحنا استطاعة قوية للسلام. هي تمنحنا ذلك الشيء الذي يمكنا من تبيّن الأمور عبر السكون التام. هي التي تجعل الفرد مسالماً ومتفهماً بحيث لا يستخدم القوة أبداً أو بذل أي مجهود خلال سعيه في الحياة بحيث لا يكون مضغوطاً أو مرهقاً أو متوتراً بأي طريقة من الطرق. فيكون مسترخياً تماماً أمام الواقع وكل ما يجلبه له من مواقف وظروف. إذا استطاع اكتساب هذا التوجه في حياته، سوف تكون كامل طاقاته الداخلية بأفضل حالة من التوازن في علاقاتها التبادلية.

يوم عاشت الآلهة مع الإنسان على الأرض

بعد فترة من التفكّر في الوضع الفريد الذي كان قائماً في مصر في بدايات الحقبة المسيحية سوف يجد الفرد ما يدهشه. لقد أصبحت مدينة الاسكندرية المركز التعليمي العظيم للحضارة الغربية والشرق أوسطية. تأسست الاسكندرية في زمن الاسكندر العظيم وكانت خاضعة لحكم الفراعنة الإغريق، أي البطالمة، وهذا الحكم استمرّ حتى موت كيليوباترا، وبعدها سيطرت روما على البلاد. لكن الاهتمام الهائل بالاسكندرية نشأ بخصوص التجمّع العظيم والذي لا يُضاهى للعلوم التي ازدهرت فيها. كل مجال من الأبحاث الإنسانية قد نشأ وتكشّف وتقدم ضمن البيئة الاسكندرانية. كانت مدينة الاسكندرية تمثل عقدة التقاء مجموعة من خطوط التجارة، وهذا جعل الشرق والغرب يتخالطان هناك. العقائد والتعاليم الشرقية وتلك الرومانية واليونانية اختلطتا ببعضها بعشوائية غريبة. بعد ظهور المسيحية، كان لكل من اللاإيمان المسيحي واليهودي قواعد قوية في الاسكندرية. يمكننا القول أيضاً أن التركيبة العقائدية في هذه المدينة كانت مؤلفة من اثنى عشر أو حتى عشرين من الأديان والفلسفات العظمى في العالم القديم. كانت المدينة تمثل مركز مذهل وفريد للتعليم والتوسع في المعرفة.

هناك عامل آخر مهم بخصوص هذا التجمّع الاسكندراني العظيم وهو منشآت المكتبات العظيمة. كانت مكتبات الاسكندرانية تعتبر الأشهر على الإطلاق في العالم القديم وربما هي الأضخم التي تم بنائها في ذلك الزمن. مكتبتا السيرابيوم والأوبراكيوم احتوتا لوحدهما على أكثر من مليون مخطوط ولوح وصفيحة ولفيفة بردي، وتشمل في محتوياتها حكمة العالم القديم. عندما تم تدمير هذه المكتبات بطريقة همجية ووحشية كانت الإنسانية قد جردت من أكبر كمية من المعرفة والتي لا يمكننا تقديرها أو تقييم مدى عظمتها. بالإضافة إلى أن تدمير هذه المكتبات أقفل الباب أمام تعرفنا على مصدر الحكمة التي تميزت بها الاسكندرية. من الممكن أن الكثير من الأفكار والمعتقدات والتعاليم التي نعتقد اليوم بأنه تم ابتكارها في الاسكندرية هي في الأصل

معلومات مستقاة من مصادر سابقة كانت تحتويها مكتبات الاسكندرية المندثرة. هذا بالتالي يجعل حكمة الاسكندرية تعتمد على أساس عريق ومتين، لكن هذا الأساس اختفى واندثر مع المكتبات ولم يبقى مكانه سوى الأساطير والخرافات. إنه مثير مثلاً أن ندرك بأن أوّل مترجم لحكايا "إيسوب" كان يعيش في الاسكندرية. كما أننا علمنا من أحد القائمين على العلم والمعرفة في ذلك الزمن بأن سكان الاسكندرية اخترعوا أوّل آلة تعمل على العملة النقدية. لكن هذه الآلة لم تبيع قطع الحلوى أو السجائر كما هي الحال اليوم، بل كانت ترش كمية من ماء مقدسة كلما وضعت فيها عملة نقدية. هذا يعني أن الآلات الحديثة التي نألفها اليوم تعتمد على نموذج تلك الآلة التي كانت في الاسكندرية في ذلك الزمن القديم.

لوحة فنية تصور جانب من مدينة الاسكندرية في ذروة مجدها

في كل مكان نجدهم، في علم الأعشاب وعلم الدواء والفلسفة والفن والأدب والشعر..، هؤلاء الناس الغامضون الذين سكنوا في تلك المنطقة المصرية الواسعة كانوا متعلمين بشكل واسع جداً يفوق التصوّر. نحن نعلم بأن كامل تركيبة الفكر

الهرمزي وقصة هرمز الهرامزة ظهرت في الاسكندرية. كما أننا نعلم بأن الاسكندرانيون كانوا يحوزون على معرفة قيمة في مجال التنبؤ بالمستقبل، حيث هناك أيضاً تم تأليف كتب "سيبلين" التي اشتهرت عبر العصور القديمة قبل أن ضاعت. هذه الكتب تنبأت بمستقبل العالم، وقد مثلت مصادر مهمة للكثير من الأعمال الأدبية والفلسفية التي ظهرت لاحقاً. بطليموس الذي عاش في الاسكندرية هو الذي قدم للعالم علم الفلك (التنجيم)، وقد ساهم بشكل كبير لاحقاً في ظهور علم الفلك الحديث. كان يوجد في الاسكندرية حدائق كبيرة من كافة الأنواع، أهمها حدائق الحيوان التي اشتهرت بها، والتي احتوت بعضها على بحيرات للسمك. كما كان هناك محميات خاصة لحماية الحيوانات. كانت المدينة تشمل كل شيء يمكننا التفكير به وحتى أكثر.

الامر الذي قد لا يفطن به الكثيرون هو أنه في حديثنا عن أمجاد العلوم المصرية القديمة وبعودتنا بذاكرة التاريخ إلى الوراء فنحن غالباً لا نتجاوز حدود العصر الذهبي للإسكندرية التي مثلت في تلك الفترة مركز عظيم للعلم والفلسفة وحتى الدين. لكن قبل بزمن بعيد من هذه الفترة المزدهرة في مصر كان يزدهر عالم آخر مختلف تماماً، وكان عالم العظمة والجبروت بكل ما تعنيه الكلمة من معنى.

ليس بعيداً عن الاسكندرية وقفت مجموعة الأهرامات التي بقيت تعتبر حتى يومنا هذا من عجائب العالم. القليل جداً هو معروف فعلياً بخصوص الأهرامات. السجلات التاريخية هي ضئيلة وغير كافية. ذكرها هيرودوتوس في القرن الخامس قبل الميلاد. لكن على الأغلب لم يكن لدى أحد اهتمام كبير بما يكفي ليحاول البحث في الظروف المحيطة ببناء هذه الصروح العظيمة. إلى هذا اليوم لا أحد يعلم لماذا ومتى وكيف بنيت هذه الصروح العملاقة. كل ما قرأناه في الكتب وشاهدناه في البرامج الوثائقية التلفزيونية هي مجرّد نظريات وتخمينات واهية. هذه الصروح العملاقة ستبقى تؤسر مخيلة وتفكير الإنسان وتثير الحيرة والاستغراب في نفسه. أوّل ما وجب الانتباه له هو حقيقة أن الأهرامات تنتمي إلى فترة تاريخية قديمة جداً سادت على كامل مساحة الكرة الأرضية، حيث نجد الكثير من الأبنية الهرمية في كل مكان

في العالم، والأمر الأكثر إثارة هو أن النسبة الأكبر من هذه البنى الهرمية هي غارقة في قاع المحيطات وتقول الدراسات بأن هذه الأبنية الغارقة لا يمكن أن تكون قد لمست الهواء قبل عشرة آلاف سنة!

نماذج لأهرامات متنوعة غارقة في مواقع مختلفة حول العالم

بالإضافة إلى أن الشكل الهرمي ظهر في الفنون التصويرية القديمة. ففي أشكال الماندالا في التيبت ومنغوليا وبهوتان وكوريا والصين واليابان، نرى أن تصميم الهرم

يظهر دائماً، ويمثل أساس لصورة تأملية عظيمة. هذا جعل بعض الباحثين يفترضون بأن الشكل الهرمي له علاقة قوية بالتأمّل الروحي. هذا أدى إلى استنتاج حقيقة أن الأهرامات التي تم بنائها في كل مكان حول العالم في إحدى الفترات القديمة تم إنشائها لغاية تذكير الفرد بوجود واقع غامض يقبع ماوراء، أو يتجاوز، كافة النماذج الإنسانية المتغيرة والمؤقتة. وفي أحد الكتب الهرمزية وصف هرمز حقيقة أن هذه الأبنية الهرمية كانت صروح تذكارية للقوة الإلهية. هي شاهدة على ذلك الزمن الذي مشت فيه الآلهة مع البشر على الأرض. لقد أصبحت جزءاً من إرث تقليدي. وإذا درسنا الفلسفة الأفلاطونية المستحدثة نمر على استنتاج أن الألهة الذين مشوا مع البشر هم في الحقيقة الآلهة الذين يقبعون داخل البشر. أي أنه داخل الإنسان في إحدى الفترات التاريخية القديمة، ارتقت البصيرة والقدرة إلى مستوى الألوهية ونتج من ذلك انعكاس خارجي هندسي عمراني عظيم أصبحنا نعرفه اليوم بالأهرامات.

في الحقيقة فإن الظروف المحيطة بهذه الأهرامات في الجيزة تتحدى مخيلتنا. نحن نعلم بأنه من بنى أهرام الجيزة كان متمكن جداً في علم الفلك، حيث كان لديه معرفة كاملة بالنظام الشمسي وتفاصيله، وكافة عجائب الخطة الكونية من خلال ما تكشفه حركات الأجرام السائرة في الفضاء. لقد عرف المسافة بين الكرة الأرضية وباقي كواكب المنظومة الشمسية. لقد عرف تفاصيل الانقلابين الشتوي والصيفي وكذلك الاعتدالين الربيعي والخريفي. أدرك أهمية الثريات والمجموعات النجمية. وغيرها من علوم راقية ومتطورة لا تتناسب أبداً مع المفهوم العام الذي كوناه بخصوص حالة العالم في الفترة التي من المفترض أن بنيت فيها الأهرامات. الجواب الممكن الوحيد هو أنه في الزمن الذي بنيت فيه الأهرامات كان لدى بنائيه معرفة متطورة لم يتم نشرها بين الناس. حتى الحكام لم يحوزوا على هذه المعرفة. وكان هناك مجموعة منغلقة من المهندسين والبنائين العجيبين الذين عرفوا التناسبات الرياضيتية العجيبة والتي لمسنا بعضاً منها خلال الاطلاع على أعمال فيثاغورث وإقليدوس.

لكن حتى هذا لا يُعتبر تفسيراً كاملاً. لأنه يستحيل التأكّد كيف تم هذا العمل الهائل والعجيب. الفكرة السخيفة التي لازال الأكاديميون يتبعونها والتي تتحدث عن جحافل

من العبيد وأعداد كبيرة من الرافعات والبكرات وغيرها من أدوات ميكانيكية بدائية لا يمكنها أن تصمد أمام عظمة هذا الإنجاز الهندسي المهيب. التفسير الأكاديمي ليس كافياً لشرح ما نراه قائماً أمامنا. كمية العمل التي بُذلت في هذه الصروح تتجاوز مخيلتنا بكل بساطة. من أجل التفسير السليم والمجدي لطريقة بناء هذه الصروح، وجب إدخال أدوات وتجهيزات وتقنيات متطورة لا نعتقد بأن القدماء حازوها في ذلك الزمن. لذلك لجأ عدد كبير من الأشخاص في زمن الاسكندرية وحتى في زماننا الحالي إلى فرضيات ماورائية وتجاوزية لكي يفسروا طريقة بناء الأهرامات.

عندما نعجز عن تفسير كيفية إنجاز شيء معين فسوف نلجأ إلى افتراضات تتعلق بالسحر والماورائيات عموماً. حتى الصينيون لازالوا يعتقدون بأن سور الصين الشهير تم بناءه من قبل آلهة وليس بشر، لأنهم بكل بساطة لا يؤمنون بأن كائنات بشرية استطاعت بناءه. بالتالي فإنه أمر طبيعي إذا واجهنا شيئاً يتجاوز قدرتنا على تفسيره

منطقياً أن نبدأ بالتساؤل إذا كان هناك وسائل تجاوزية داخلة بالموضوع. وهذا ما حصل خلال تفسير معظم الصروح الأثرية العملاقة حول العالم والتي لازالت تمثل ألغاز غامضة.

الاعتماد على هذه النظرية التجاوزية في تفسير طريقة بناء تلك الصروح هو مريح بدرجة معينة لكنه سيقودنا إلى مواجهة تعقيدات كبيرة، لأننا نعلم بأن المصريين، وكذلك الحضارات الأخرى لتي ازدهرت في ذلك الزمن الغابر، كانوا تجاوزيين. نحن نعلم بأنه كان لديهم معرفة عن القانون الطبيعي والتي تسبق زمانهم بكثير. كما أن لديهم مسؤولية في استخدام القوانين الطبيعية وتسبق زماننا نحن بكثير. كان لدى أولئك الناس القدماء تقدير عميق لتكامل وعظمة الخطة الكونية. لقد اكتشفوا منذ آلاف السنين حقيقة أنه لا يمكن خرق قانون الطبيعة من دون معاناة. لم يطوروا بعد ذلك النوع الغريب من الأنانية التي غالباً ما تدفعنا إلى الافتراض بأن الله يعتمد علينا لكي ندير له غايته ومخططه الخاص بالعالم. لم يفكر القدماء بذلك أبداً. كانوا مدركين وحتى مؤمنين بأنهم مجرّد خدم لواقع عظيم ولامتناهي.

خلال نشوء المذاهب الباطنية الاسكندرانية، لدينا نقطة مهمة أثارها كل من الفيلسوف أفلوطين وبروكلوس، وهي أن الصوفية، أو الباطنية، والتي هي التنمية الداخلية للملكات والتي تطلق بعض القوى التجاوزية المختلفة في الإنسان غالباً ما تؤدي إلى بروز حالات وظواهر غير مستحبة، وهي ذاتها التي نشير إليها اليوم بالظواهر والقدرات الخارقة. الصوفي يميل أكثر من غيره إلى الإيمان بتجلي الظواهر الخارقة في الحياة. ولأن هذه الظواهر غير دائمة وغير شمولية بين الناس، ولأنه من الضروري أن يكون المستوى الأخلاقي للفرد راقياً بما يكفي لتحمل مسؤولية إدارة هذه القدرات، فهذا يجعلها تقود غالباً إلى حصول مشاكل، بينما الصوفية تقود إلى الارتقاء الروحي فقط. رغم تشابهما إلا أنهما لا يمثلان الشيء ذاته.

الأمر المؤكد والحتمي هو أن من بنى الأهرامات في الجيزة بمصر كان يحوز على معرفة عظيمة، وليس هذا فحسب بل هي معرفة تجاوزية بكل تأكيد بحيث تحترف

التعامل مع القوى الماورائية. ومن المؤكد أيضاً أنهم أكثر حكمة من الذين يعيشون في العالم اليوم. الكثير من المهندسين العصريين صرحوا بكل ثقة ودون تردد بأن الهرم الأكبر لو لم يكن موجوداً الآن في موقعه، أي لو أنه اندثر مع الزمن لأسباب تدميرية كثيرة، ولم يبقى سوى التقارير التاريخية عنه فقط، يستحيل أن يصدق أحد بأن هكذا بناء يمكن أن يكون موجود فعلياً. هذه هي الحالة التي نواجهها. السبب الوحيد الذي يدعونا إلى تقبل إمكانية وجود هذا الصرح هو لأنه قائم أمام عيوننا. أما كيف تم هندسته وإنشائه فلا زال الجميع يجهل تماماً. والمشكلة هي أنه كلما تعمق االخبراء في دراسة الهرم يكتشفون بأن جهلهم به يزداد أكثر وأكثر.

وجد الباحثون العصريون في بدايات القرن الماضي في القطاعات التي تعلو حجرة الملك داخل الهرم الأكبر بعض العلامات التي يُفترض بأنها تمثل جزء من اسم الفرعون خوفو. فقرروا أن هذه الخرطوشة تمثل اسم الفرعون خوفو. لكن عندما تنظر إلى الخرطوشة سوف تلاحظ بأن حالتها سيئة وحفرها ليس واضحاً. هذا من أحد الأسباب التي تؤكد بأن الفرعن خوفو ليس له علاقة بهذا الهرم. كيف يمكن أن نقبل بفكرة أن فرعون مغرور أراد أن يحفر اسمه على صرح عظيم كإثبات على أحقيته في هذا الإنجاز فلا يجد مكان لوضع الاسم سوى في مكان لا يمكن فيه قراءة الاسم لأنه لا يمكن رؤيته بسهولة، وخلال عملية بناء ذلك الموقع من الهرم يتعرض الاسم المحفور للتشويه وحتى الزوال. بالتالي ليس ممكناً أن يضع الفرعون المغرور شيئاً داخل حجرات الهرم بحيث لا يمكن رؤيته سوى بعد آلاف السنوات ويُكتشف بالصدفة. معظم الصروح المصرية هي معلّمة بوضوح بأسماء بنائيها. وبعضهم عبر التاريخ قلعوا الخرطوش الأصلي ليضعوا خرطوش يحمل اسمهم. المهم أن موقع وضع الخرطوش في الصروح العمرانية يكون ظاهراً بوضوح دائماً. رغم أن النظرية التي تجعل خوفو باني الهرم الأكبر هي ضعيفة جداً إلا أنها لازالت قائمة حتى الآن في العالم الأكاديمي بسبب غياب أي نظرية افضل منها.

الأمر الأهم الذي وجب الاهتمام به خلال دراسة الهرم هو البحث في السبب الفعلي لتشييد هذا الصرح العظيم، ولماذا بني بهذا الشكل، ولماذا بني في هذا الموقع

تحديداً، وما هي العلاقة التي تربط بين مجموعة الأهرامات ببعضها ومع أبو الهول؟ أوّل ما يطرأ في البال بخصوص هذا الموضوع هو وجوب محاولة فهم وتصور كيف يمكن أن يكون عليه ذلك الزمن القديم. بعد إلقاء نظرة متفحّصة على الآثار الجبارة التي خلفها القدماء، إن كان في العمران أو المفاهيم الفلسفية والعلوم التطبيقية القديمة، أول ما يطرأ في البال هو ضرورة إعادة النظر في قناعاتنا حول الحالة التي كانت سائدة في الماضي البعيد. لم يعد هناك أساس لتلك الفكرة السخيفة التي ترجعنا إلى أصل قرود أو حالة همجية وضيعة بحيث يزعم المعتقد العام أنه قبل حضارتنا الحالية بعدة ألفيات لم يكن هناك شيئاً سوى جهل مطلق ووحشية منقطعة النظير. هذه النظرة للماضي البعيد لم تعد تجد لها أساس متين. معظم الدلائل التي لدينا بخصوص الماضي البعيد تشير إلى حقيقة أنه في زمن ما في ذلك الماضي السحيق عاش أصحاب عقول هائلة ومنهج علمي عظيم كان قادراً على تخطيط وتنفيذ مشاريع عجيبة لدرجة عدم التصديق!

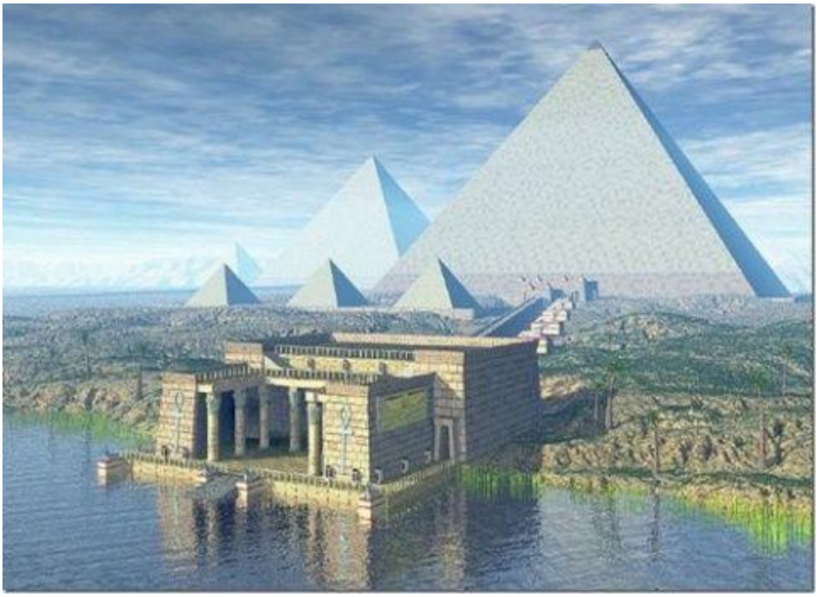

عندما زار الخليفة العباسي المأمون موقع الأهرامات كانت لازالت بهيئتها شبه الكاملة. كانت حجارتها الملساء التي غطت وجوهها لازالت بمكانها، تلمع عبر مسافات بعيدة. لكن الأهرامات تحولت لاحقاً إلى مصدر رئيسي للحجارة التي بنوا بواسطتها البيوت الحكومية والجوامع في مدينة القاهرة.

كان المصريون القدماء يؤكدون أنه في زمن بعيد قبل زمانهم كان الآلهة يعيشون مع البشر. قالوا أن الآلهة والقوى الإلهية مشت على هذه الأرض. هذا التصريح لا بد من أنه رمزي، لكن إلى ماذا يرمز؟ ربما ما كانوا يحاولون قوله لنا هو أنه في زمن بعيد جداً كان الكائن البشري عظيماً بالفطرة، أي تتجلى فيه القوة الإلهية بشكل طبيعي منذ ولادته! كان الإنسان مثلاً موهوب بشكل طبيعي بقدرة الإستبصار أو أي قدرة إدراكية خارقة. كان لديه قدرة عجيبة على إدراك وتقييم والتناغم مع أي من المبادئ الكونية التي يتأسّس عليها الوجود المادي. هذا ولم نتحدث عن قدرة تحريك الأشياء بقوة الفكر وقد رأينا هذا بوضوح في الصروح الحجرية العملاقة التي لا يمكن لأي آلة ميكانيكية التعامل معها. إذاً، عندما قالوا أن الآلهة عاشت مع البشر كانوا يقصدون أن القدرة الإلهية العظيمة تجلّت لدى البشر. لكن تدريجياً، ومع مرور الزمن، بدأ العالم المادي يطغي على تفكير هؤلاء إلى أن سقطت البشرية جمعاء في حقبة زمنية سوداء.

في تلك الفترة التاريخية السحيقة، كان أسلافنا القدماء يعيشون حياة دنيوية بسيطة بالمقارنة مع حياتنا العصرية الصاخبة. لم يكن هناك مشكلة في زيادة السكان ولا مشاكل تتعلق بالتنافس غير الأخلاقي في مسائل تخص التجارة والصناعة وغيرها، وحتى الحروب كانت محدودة جداً. عاش الناس عموماً حياة طبيعية ومستقرة، وتعتمد كلياً على البصيرة الداخلية المتوافقة مع القوانين الكونية. كما كانت حالة الهنود الأمريكيين الذين في غياب أي مساعدة خارجية، لم يطوروا فقط نظام صوفي هائل، بل ابتكروا من داخل أنفسهم كافة القوانين والمبادئ والأحكام التي هي ضرورية لهم في تسيير شؤونهم الحياتية. كان لؤلئك الشعوب القديمة بصيرة داخلية عميقة وهائلة، لكنها فُقدت الآن نتيجة تعرّض الفرد لعملية تكييف خارجية ومستمرة. يعلموه منذ الطفولة بأن لا يفكر بنفسه وأن لا يبحث داخل نفسه عن الإجابات والحلول المناسبة لمشاكله، بل ليقرأها من الكتب التي فُرضت عليه من قبل منظومة تعليم موجّهة. وكنتيجة لذلك، فقد الفرد قدرته على التواصل المباشر مع الواقع. فلسفته الجديدة هي الاعتماد بالكامل على آراء أشخاص آخرين وتفسيراتهم الخاصة للأمور المختلفة في هذا العالم.

إذا افترضنا بأن الفرد يمثل بذاته مصدراً لمعرفة كاملة، حيث لديه المهارة والقدرة على استنتاج كل المعلومات الضرورية للمحافظة على حسن بقائه، فهذا يجعله ممكناً بأننا سوف نكتشف تدريجياً حقيقة تاريخية مهمة، وهي أن ممارسي هذه العملية البديهية التي تستنبط المعلومات من الداخل وليس الخارج، كانوا ينتمون إلى مجموعة خاصة يمكننا أن نسميهم الحكماء الغامضين، أو حكماء الزمن القديم، أو الأوائل الذين عرفوا في الأرض، أو عمالقة العقل والفكر الذين عاشوا في الأرض في ذلك الزمن البعيد.

في جميع الأحوال، النقطة المهمة هي أن كل الدلائل تشير إلى حقيقة واضحة وجلية، كان هناك تقليد معرفي (فلسفي/ديني) قديم جداً، ورثته الحضارة المصرية من مصدر عريق جداً، وهو تقليد يتمحور حول تطوير القوى الباطنية للإنسان. وقد ظهرت هذه الفلسفة في الهند التي ربما ورثته أيضاً من حضارة سابقة ازدهرت يوماً في إحدى العصور الغابرة... لكن كل ما نعرفه هو أنه قبل عشرة آلاف سنة تقريباً ظهرت أقلية متنورة تعتبر من سلالة الناجين من تلك الحضارات البائدة وكانت تحتفظ بمعرفة متطورة جداً وهذه المعرفة بالذات هي التي نراها متجلية في الحضارة المصرية والثقافة الهندية واليونانية القديمة ولو بمستوى أقل من ناحية العظمة والجبروت.

ما هو مصير هذه المعرفة المتطورة؟

من المؤكد أننا ككائنات بشرية لا نستطيع التحكم باندماجنا الكامل مع الكلية الشمولية للكون، لكننا تمكنا من إنشاء سلسلة من القوانين التي يمكننا بواسطتها مسايرة الظواهر البسيطة للحياة. ونتيجة لهذا المسعى البحثي النابع من عقلانية حكيمة تمكن أسلافنا القدماء من وضع ما نسميه بالناموس الأخلاقي، وهو ذاته الذي تعرفه كافة شعوب العالم. الناموس الأخلاقي مبني كلياً على قوانين كونية. وهي قوانين لم يفهمها الإنسان كلياً، لكن نتائجها كانت تتكرر كل يوم وهذا جعل الانسان مجبر على تقبل المسببات رغم عدم وجود سبيل لتفسير النتائج.

رويداً رويداً راحت المعرفة تزداد، إلى أن حصل انقسام مثير في هذا الموضوع، حيث العلم اعتُبر مفيداً من جانب وخطيراً من جانب آخر. لقد أصبح واضحاً أن المعرفة تجلب معها القوة والنفوذ والطغيان. كما أنه يوجد حقيقة معروفة لدى القدماء وهي أن القوة تمثل إغواء كبير يقع في شباكه الجميع. وهذا يجعل القوة قابلة لأن تقود إلى كوارث يمكنها أن تحصل للإنسان والطبيعة. بالتالي فإن المعرفة المجردة من الأخلاق، والحرف المجردة من استقامة الوعي، والفرد الذي يعمل في العالم المادي دون أن يستشعر بالمسؤوليات التي يتضمنها الوجود، كل هذا يمثل خطر

وتهديد بالنسبة لباقي المجتمع. مجرّد أن توفرت المعرفة في العلن وتم تداولها بين العموم لم يعد ممكناً ضبطها أو إعادتها إلى السرية. الحل الوحيد لهذه المسألة هو إبقائها سرية من البداية.

مسألة السرية كانت غالباً في أيدي مجموعة كهنوتية فلسفية، أو يمكننا القول تركيبة دينية قوية، وهذه التركيبة كانت مكرسة لعدم الربح أو الكسب الدنيوي مقابل خدماتها. كان هؤلاء المعلمون والفلاسفة مكرسين لصالح الإنسانية جمعاء، وكانوا متحررين تماماً من كل الإغراءات الدنيوية التي يمكن أن تعترضهم. قرر هؤلاء بأن يفرضوا رقابة على المعرفة، واحتكار تلك المعارف التي يؤدي سوء استخدامها إلى إحداث دمار كبير للطبيعة وما فيها. وقاموا بنقلها فيما بينهم وعبر الأجيال بأمان. خوفاً من أن تموت تلك المعرفة مع الحائزين عليها والمحتكرين لها ابتكروا طريقة مجدية وفعالة لنقلها بأمان من جيل إلى جيل. ومع مرور الزمن راحت تنتشر هذه المعرفة من أمة إلى أخرى بنفس حالة الأمان والسرية المعهودة، إلى أن أصبح انتشارها يشمل العالم بأسره. لكن من أجل تحقيق ذلك بنجاح، وجب القيام بإجراءات معينة من أجل حماية تلك المعارف التي لو تم استغلالها لغايات دنيوية سوف تمثل تهديد فعلي للشعوب. هذا الاستغلال يمكن أن يشبه تلك التي وردت في رواية أفلاطون عن دمار أطلنطس. ففي تلك الجزيرة العظيمة تغلب مستوى المهارة على مستوى الأخلاق، فاستلمت القوة الدنيوية السلطة وتم المساومة على المبادئ الأخلاقية وأخيراً دمرت الجزيرة نفسها. لا بد من سوء استخدام المعرفة أن ينتهي بمأساة، ينتهي بكارثة، وإذا هذه الكارثة لم تُمنع بطريقة ما فيمكنها أن تسبب بانهيار حضارة بكاملها. لذلك قرر الحكماء القدامى وضع قيود معينة على معرفتهم السرية.

هذه القيود مجتمعة شكلت منظومة من التعاليم. وهي التي أصبحت معروفة بالتعاليم السرية. هذه التعاليم لها مدارسها الخاصة والتي هي مكرسة كلياً لصون هذه المعرفة التي تحوزها والمؤتمنة على نشرها بأمان ووفق طريقة محددة ومدارة بطريقة مدروسة. الفرد الذي يرغب بهذه المعرفة ويدرك حاجته لها كان يوضع ضمن قيود محددة، ويجري تعهدات خاصة، وعبر فترة طويلة من التدريب والإنضباط عليه أن يثبت بأنه

مؤهّل لتلقي هذه المعرفة. إنها غاية هؤلاء المعلمون القدماء أن يتأكدوا بأن لا شيء مهم لتقدم الإنسان يمكن أن يُحتكر بفعل الأنانية أو الطموح أو الجشع. كان من الضروري أن يحسنوا اختيار المرشحين الجدد لحراسة هذه المعرفة. لهذا السبب نجد أن معظم المعلمين القدماء أقاموا المدارس أو أنظمة التدريب الخاصة والتي من خلالها نشروا هذه المعرفة بحذر. مدرسة فيثاغورث في كروتونا كانت إحدى أشهر المدارس في العالم القديم. وكذلك مدرسة أفلاطون في أثينا كانت مثال آخر. وفي شرق آسيا نجد الغورو الهنود وتلاميذهم الذين يبحثون في أسرار الحياة بطريقة منضبطة ومدروسة.

مع مرور الزمن راحت أجزاء كبيرة من هذه المعرفة تتسرب إلى العموم، لكن بفتات غير منتظم ومعظمه غامض وغير مفهوم. المؤسسات القديمة اندثرت وتبعثرت تحت الضغط الهائل لعملية تحوّل شامل في المعتقدات والسياسات التي اجتاحت كافة البلاد في فترة تاريخية معينة. تلك الفترة التاريخية شهدت بروز شخصيات طموحة مجرّدة من المعرفة أو المهارة لكنها تمكنت تدريجياً من استقطاب وجمع حولها جيوش وتابعين مخلصين، وراح هؤلاء يصولون ويجولون في البلاد ويدمرون وينهبون المؤسسات التعليمية الكبرى. أي بمعنى آخر، الحماية الكبرى للناس كانت حكمة الأقلية، ومن أجل أن تستطيع الأكثرية الهمجية أن تسيطر وتطغي وجب على هذه الحكمة أن تُلغى أو تزول بطريقة أو بأخرى، فتم استهدافها أينما كانت. هذا جعل منظومة التعاليم السرية تقع تحت ضغط كبير كاد أن يزيلها كلياً من الوجود، لكنها لم تزول كلياً. وحتى اليوم في هذا العصر يوجد دلائل على استمرارية وجود هذه التعاليم في أماكن مختلفة حول العالم ولازال نظام الحراسة قائماً بكامل تقليده الذي وضعه الحراس الأوائل.

نحن لم نعد في موقع يمكننا من فهم كامل مجريات هذه القصة وإلى أين تؤدي. لأن اهتماماتنا أصبحت مختلفة كلياً. لكن هناك شيء واحد نعرفه جيداً، وهو أن ما نسميه اليوم "تقدم" قد ساهم في تدمير حياة الملايين من الناس. لم نعد نستطيع، أو حتى نرغب، في تكريس الجسد لدينا، أو تجسيدنا المادي بالمجمل، في سبيل تقدم

الطبيعة عموماً، أو من أجل تنشيط الشخصية لدينا، أو من أجل تطوير المعرفة بشكلها السليم. وعبر الولادة وإعادة الولادة في داخلنا تكمن تلك العناصر والعوامل التي هي ضرورية لكمالنا. لقد حولنا تدريجياً الحديقة التي منحنا اياها الرب إلى مكان لتخزين البضاعة التجارية. لقد ساهمنا في تحريف الغاية الأساسية لوجودنا.

مع تقدم الفرد بالسن سوف يصبح أقرب إلى إدراك ما هو كوني وسامي، ويقل ارتباطه بوضعه المألوف في العيش الدنيوي. رويداً رويداً نتخلى عن الأشياء التي لا نحتاجها، فنعطي الآخرين ما يحتاجونه والذي لم نعد نحتاجه. يصبح واضحاً تماماً أنه في الرحلة الطويلة من الأفضل السفر خفيفاً دون أي أحمال ثقيلة. وبالتالي يمكن أن نتخلى عن قصر لا نحتاجه، لأنه بالتدريج نكتشف أن الأشياء التي نتعلق بها لن يكون وجودها معنا دائم حيث سوف نتخلى عنها في النهاية، فنبحث عن طرق للتخلص منها. وذلك الذي يقبع بداخلنا، والذي يرافقنا حتى إلى ما بعد الحياة، ذلك الشيء الذي في حالة نمو دائم، يصبح أكثر وضوحاً لنا مع مرور الأيام. النمو الدائم يجعلنا أكثر سعادة وأكثر ثراء وأفضل تجهيزاً لدورات الحياة التي تنتظرنا في المستقبل الكون الأزلي.

لم يستوعب القدماء المعنى العميق لتلك المعرفة العظيمة التي مُنحت لهم، وبالتالي أريق الكثير من الدماء. هذا العمل الإنساني غير المسؤول أدى إلى تشويه الأسس الجوهرية للمبادئ الأخلاقية والأدبية. سطوة هذا الوضع على الساحة أدى إلى الانحطاط التدريجي لحضارتنا... وكافة المشاكل التي تعاني منها الإنسانية اليوم تعود أصولها إلى تلك الفترات الغابرة.

من خلال النظر إلى نفسها وللعالم حولها من زاوية هذه "المعرفة القديمة"، تكسب الإنسانية الفرصة، عن طريق إعادة النظر في علاقة أفرادها ببعضهم (وهذا يعني مع الله) من أجل كبح جموح هذا الانحطاط المريع، وتأسيس الظروف المناسبة.. الأسس الأولية.. لمستقبل يسمح للإنسانية بالإرتقاء مجدداً.

إن المعرفة، أي نوع من المعرفة، ليست مجرّد بركة نزلت على الإنسانية، بل هي مسؤولية أيضاً. كيف سيكون العالم، من وماذا سيستفيد من الخدمات المترتبة من "معرفة الله"، كل هذه الأمور وغيرها تعتمد على الإنسانية.

"المعرفة القديمة" تمنح المفتاح لفهم حقيقة أننا موصولون عبر خيوط خفية بكل العالم من حولنا وكذلك ببعضنا البعض.

لازالت الإنسانية تعتقد بشكل خاطئ بأن مستوى تقدم الحضارة يُقاس من خلال إنجازاتها العلمية والتكنولوجية. سوف يأتي الوقت الذي يدرك فيه الناس بأن المقياس الفعلي للتقدم يعتمد على مدى "معرفة الخالق". هذا الجانب مهم جداً لكنه للأسف الشديد لا تعيره المدارس العصرية أي اعتبار. بناءً عليه، فالإنسان العصري الذي جُرّد من هذه المعرفة، والجاهل لعلاقته الصميمية مع العالم من حوله، هو إنسان بدائي، ولا يستطيع، بأي طريقة من الطرق، فهم معنى هذا المبدأ الأخلاقي، هذه الظاهرة الطبيعية الجوهرية التي في غيابها يُعتبر التقدم السليم مستحيلاً.

إن الكشف التدريجي للعلوم التي كانت ملكاً للحضارات القديمة، والتي كانت إلى حدّ ما العامل الأساسي في تحديد مصير الشعوب المختلفة عبر العصور المختلفة، هو ليس حدثاً عابراً في فترتنا هذه، إنه عمل إلهي مقصود. لقد آن الأوان لأن نتعرّف على الحقيقة.. إنها عملية كونية طبيعية، لقد اكتملت الدورة الكونية وحان الوقت لأن يُكشف كل مستتر وخفي. لقد حان وقت ارتقاء الكائن البشري إلى مرحلة جديدة، تجلّي جديد، درجة جديدة في سلّم الكمال. وهذا لن يحصل قبل ظهور الحقائق التي طالما حُرم الإنسان منها عبر العصور المظلمة الماضية.

بالنسبة للذين يصرّون على عدم صوابية كشف بعض من هذه "العلوم الخفية" جهاراً أمام العامة، أرجو أن لا تغضبوا. لقد علمتنا التجربة بأن كل شيء يمكن كشفه وقوله دون خوف أو وجل. فقط الذين يستحقون هذا العلم سيفهمون. بينما الآخرون، القسم الأكبر، سوف تفوتهم الفرصة الذهبية خلال التهاءهم بالتهجّم والاتهام والتهديد

والوعيد. إحدى ميّزات العلوم الخفية هي أنه يمكن شرحها بحريّة أمام الجميع، كما الحكايا الرمزية التي كان يفضّلها الحكماء القدامى. هي تظهر أمام مُعظم الناس بأنها مجرّد جموح من الخيال وبعيدة كل البُعد عن الواقع. لكن هناك أقلية معيّنة تتمتع بحسّ مناسب لاستشعار الحقيقة واستيعابها، هذه الأقلية هي فقط من يستفيد.

الغاية الأساسية من منظومات التدريب التجاوزية

الغاية الرئيسية من أنظمة التدريب التجاوزية هي تضخيم الوعي لدينا. وكذلك تضخيم مساحة تجلّي الروح (النفحة الإلهي) في الجانب الدنيوي من كياننا. أي بمعنى آخر، تسعى هذه الأنظمة التدريبية إلى تضخيم كياننا بحيث يتجلى كل ما فيه من قدرات وقوى وملكات. هذا هو العامل الجوهري في ما نسميه اليوم العمل التجاوزي أو السحر. في فترة معينة من التاريخ القديم راحت تظهر المنظومات التدريبية المختلفة في معظم ثقافات العالم القديم. كافة تلك المنظومات، رغم اختلاف طرقها وسبلها وتقاليدها، تمحورت حول غاية واحدة وهي تضخيم أو توسيع مجال عمل الوعي لدى المريدين. وفي الحقيقة فإن التوسع أو التضخيم يعتبر رغبة دفينة في الكائن البشري. وبالفعل، فإن كافة رغباتنا الحالية في التوسّع والتمدّد والارتقاء الدنيوي هي بطريقة ما انعكاسات خارجية لتلك الرغبات الدفينة في التوسع. نحن نظن فعلياً بأننا نريد امتلاك الكثير من المال والممتلكات، لكن هذه الرغبة الظاهرية في التوسّع والتضخّم هي تحريف لرغبة باطنية لم ننتبه لها بسبب طبيعتها الخفية وهي الرغبة في توسيع وتضخيم الروح لدينا. نحن في الحقيقة نتوق إلى توسيع امتداد الوعي لدينا أكثر من حاجتنا لتوسيع حساباتنا المصرفية لكننا نجهل التعامل مع هذه النزعة الدفينة بشكل سليم. المشكلة تكمن في سوء تفسيرنا للحالة الحاصلة في داخلنا، حيث خروج تلك الرغبة الدفينة من الداخل لتتجلى في الخارج يجعلها تبدو رغبة في توسع ممتلكاتنا المادية بدلاً من ملكاتنا الباطنية، وذلك بسبب عجزنا عن تفسير هذا الشعور بشكل صحيح (غالباً بسبب سوء التربية والتنشئة). جميعنا نجهل حقيقة أنه في الوقت الذي يوجد حدود لممتلكاتنا الخارجية نجد أنه لا حدود لما نمتلكه في داخلنا. ولا حتى السماء تمثل حد لتوسع الروح لدينا. وهذا بالضبط ما أدركه القدماء منذ زمن بعيد جداً وفي كل مكان حول العالم. واستجابة لهذا التوق الداخلي استطاع القدماء تصميم تقاليد محددة لتوليد القوى والقدرات الباطنية لتساعدهم في مساعيهم الحياتية المختلفة، ومن هنا تأسس العلم التجاوزي والذي نسميه اليوم "سحر" والذي أسيء النظر إليه بشكل كبير.

صحيح أن هذا المجال يمثل اليوم لدى كل الناس وصمة سوداء في الثقافات البشرية المختلفة، لكنه ليس كذلك في الحقيقة، والأسباب التي جعلت الناس تنفر منه وتبغضه هي كثيرة لكنها لا تتعلق بالمغزى الذي نشأ بسببه هذا العلم منذ البداية. وجب علينا أن نعلم بأن الغاية الفعلية من نشوء ما نسميه اليوم "السحر" كانت السعي لتوسيع طبيعتنا الباطنية. وكل شيء سلبي يربطه الناس بهذا العلم هو عبارة عن منتوجات جانبية محرّفة لمنهجه الأساسي. العيب ليس في هذا العلم بل في الانحطاط الفكري والأخلاقي المريع الذي أصاب الإنسان خلال انحداره عبر العصور الطويلة.

وفقاً للحكماء القدامى، فإن العامل الرئيسي في تحقيق توسع الوعي وتضخيمه يتمثل في مدى الاقتراب من الذات المركزية للفرد. في حالته الطبيعية يكون الإنسان مقيّد بمجموعة من المعيقات التي تمنعه من التواصل مع الذات المركزية لديه. بناء على هذه الحقيقة تم تصميم منهج تدريبي يساعد الإنسان على التحرر من هذه القيود ليتمكن في النهاية من إزالة كافة المعيقات التي تمنعه من التواصل مع الذات المركزية لديه. هذا المنهج التدريبي يعتمد على المنظومة الذهنية لدى الفرد، فالمنظومة الذهنية هي المسؤولة عن ما يعيشه ويختبره في حياته الشخصية. هي التي تصيغ كيانه الجسدي والنفسي وحتى واقعه الدنيوي عموماً.

إذاً، وجب إعادة برمجة طريقة تفكير الفرد بالكامل قبل أي إجراء آخر في مسيرة تطوره الروحي. لكن هذه العملية ليست سهلة إطلاقاً إذ يوجد العديد من المعوقات والعقبات التي وجب إزالتها وهي ذاتها الوحوش التي صورتها الأساطير وعلى الأبطال مقارعتها والتغلب عليها.

النقطة الأساسية ارتكز عليها أولئك العظماء القدامى لخلق المعجزات التي حققوها، وهي ضرورة إحداث تغيير جذري في طريقة التفكير، وكذلك الانخراط في عملية تحوّل عقلي، ومجرّد أن حصل تغيير في البنية العقلية فسوف يحدث تغيير هائل في كامل كيان الفرد بما في ذلك حالة تجلي قواه وقدراته الباطنية غير المحدودة. لقد

أوردت موضوع التحوّل العقلي في الجزء السابع من مجموعة "من نحن" (القيبلان)، وهو بالذات ما أقصده هنا. دعونا نعيد إلقاء نظرة على الموضوع لكي تتوضح الصورة أكثر.

التحوّل العقلي
MENTAL TRANSMUTATION

".. يمكن للعقل أن يتم تحويله من حالة إلى حالة، درجة إلى درجة، وضعية إلى وضعية، قطب إلى قطب، ذبذبة إلى ذبذبة. علم التحوّل الهرمزي هو فنّ عقلي في المقام الأوّل.."

القيبلان

كما ذُكر سابقاً، كان الهرمزيون العلماء الأوائل في مجال الخيمياء، التنجيم، وعلم النفس الصوفي، حيث هرمز هو مؤسّس هذه المدارس أصلاً. من علم التنجيم خرج علم الفلك، ومن علم الخيمياء خرج علم الكيمياء، ومن علم النفس التجاوزي (الصوفي) خرجت مدارس علم النفس الحديثة. لكن وجب عدم الافتراض بأن القدماء كانوا جاهلين بالأمور التي يزعم علم النفس العصري بريادته في اكتشافها. السجلات المحفورة على حجارة مصر القديمة تبيّن بجلاء كيف كان للقدماء إلمام شامل بعلم الفلك (الكواكب)، حيث طريقة بناء الأهرامات تثبت الصلة بين التصميم الهندسي وعلم الفلك. ولا كانوا جاهلين بعلم الكيمياء أيضاً، حيث فتات المخطوطات القديمة تبيّن حقيقة أنهم كانوا ملمين جيداً بالخواص الكيماوية للأشياء. وفي الحقيقة، فإن النظريات القديمة المتعلّقة بمجال الفيزياء بدأت رويداً رويداً تنال التصديق والتأكيد على صحتها عبر تقدم الوسائل العلمية وظهور الاكتشافات الجديدة، خصوصاً تلك المتعلقة ببنية المادة. ولا وجب الافتراض بأنهم كانوا يجهلون بالاكتشافات المتعلقة بعلم النفس أيضاً، بل بالعكس تماماً، كان المصريون محترفون بشكل خاص في علم النفس، وتحديداً في تلك الفروع المراوغة التي لازالت المدارس العصرية تتجاهلها،

لكنها مع ذلك تُكتشف في مجالات علمية غير رسمية تُسمى "العلوم الوسيطية" التي لازالت تربك علماء النفس وتحرجهم، وتجبرهم على الاعتراف على مضض بأن فيها جوانب تستحق الاهتمام والدراسة.

الحقيقة هي أنه، ماوراء الكيمياء المادية وعلم الفلك المادي وعلم النفس المادي (أي المجريات الدماغية وفق المفهوم العصري)، كان بحوزة القدماء معرفة هائلة بعلم الفلك التجاوزي (نسميه تنجيم)، علم الكيمياء التجاوزي (نسميه خيمياء)، وعلم النفس التجاوزي (ونسميه العلم الصوفي). لقد حازوا على المعرفة الباطنية إلى جانب المعرفة الظاهرية، وهذه المعرفة الأخيرة هي فقط التي يعانقها العلماء العصريون ويتباهون بها. من بين الفروع العديدة للمعرفة السرية التي حازها الهرمزيون، هناك ما يُعرف بـ"التحوّل العقلي"، الذي يمثّل الموضوع الأساسي في هذا الفصل.

عادة ما يُستخدم مصطلح "التحوّل" Transmutation للإشارة إلى الفنّ القديم الذي يهتم بتحويل المعادن، خصوصاً تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب. تعني الكلمة "تحوّل" تغيير طبيعة، شكل، أو بُنية الشيء ليتخذ خاصية أخرى. بينما القصد من مصطلح "التحوّل العقلي" Mental Transmutation هو فنّ تغيير أو تحويل حالة، هيئة، أو مستوى عقلي معيّن ليتخذ خاصية أخرى. فكما ترى، التحوّل العقلي هو "فنّ الخيمياء العقلية" إذا صحّ التعبير. وهذا شكل عملي جداً من علم النفس الصوفي.

لكن هذا يعني أكثر مما يبدو ظاهرياً. بكل تأكيد، فإن علم التحوّل، الخيمياء، أو الكيمياء على المستوى العقلي هو مهم بما يكفي من حيث تأثيراته، وإذا توقّف الفن عند هذا الحدّ فسوف يبقى أهم فروع الدراسة المعروفة لدى الإنسان. لكن هذا مجرّد البداية. دعونا نرى لماذا.

إن أوّل المبادئ الهرمزية السبع يتمثّل بمبدأ "العقل"، وتترجمه المقولة المأثورة: "الكلّ هو عقل.. الكون عاقل"، وتعني بأن الواقع الضُمني للكون هو عقل، والكون بذاته

هو عاقل، أي أنه يقبع في قلب عقل الكلّ. دعونا ننظر إلى تأثيراته إذا أقرّينا بهذه الحقيقة فعلياً.

إذا كان الكون بطبيعته عاقل، فبالتالي وجب أن نعتبر "التحوّل العقلي" فنّ تغيير حالة الكون، بما يشمله من مادة، قوى، وعقل. فكما ترى، "التحوّل العقلي" هو في الحقيقة "السحر" الذي كتب عنه القدماء طويلاً وبإسهاب في أعمالهم الصوفية، لكنهم وفروا كمية قليلة جداً من التعليمات العملية بخصوصه. إذا كان كل شيء في الوجود (في رحاب الكلّ) ذو طبيعة عقلية، فهذا بالتالي يجعل فنّ تحويل الحالات العقلية قابل لأن يساعد السيّد على إحداث تغييرات في طبيعة المادة أيضاً.

في الحقيقة، لا أحد سوى "الخيميائيين العقليين" المتقدمين استطاعوا إحراز المرتبة التي تمكنهم من التحكم بالظروف المادية للبيئة، مثل التحكم بعناصر الطبيعة، خلق أو إيقاف الأعاصير، خلق أو إيقاف الزلازل، .. وغيرها من ظواهر مادية عظيمة أخرى. لكن مسألة وجود هكذا نوع من الأشخاص، رغم أنها مثار جدل بين الناس بشكل عام، إلا أنها تمثّل حقيقة مألوفة جيداً لدى الصوفيين المتقدمين في كل المدارس. لكن هؤلاء الأسياد لا يجرون استعراضات عامة لقواهم العقلية، بل ينشدون العزلة بعيداً عن الجموع البشرية، وهذا شرط أساسي يعزز تقدمهم في الدرب المؤدية إلى الغاية الأسمى. لقد أكّدنا حقيقة وجودهم هنا فقط من أجل لفت انتباهكم إلى أن قواهم الهائلة هي عقلية في المقام الأوّل، أحرزوها بعد خوض عملية "التحوّل العقلي"، بالتوافق مع المبدأ الهرمزي المتمثّل بـ"العقل". *".. الكون محتوى عقلي.."* .

حتى الطلاب والهرمزيون الذين في درجات أدنى من مرتبة الأسياد (أعضاء منتسبين أو معلمين) يستطيعون العمل بحريّة على المستوى العقلي، عبر "التحوّل العقلي". وفي الحقيقة، إن كل ما نسميه "ظواهر روحية"، "التأثير العقلي"، "العلم العقلي"،.. وغيرها، تعمل وفق نفس الخطوط العامة لهذا المبدأ. إنه يشمل كل هذه الظواهر مهما تنوعت وتعددت فروعها.

إن كل طالب وممارس لعملية "التحوّل العقلي" يعمل على المستوى العقلي، محوّلاً حالات عقلية إلى أخرى، وفق صيغ مختلفة، أكثر أو أقلّ فاعلية. إن كل تلك الإجراءات والمعالجات والممارسات الجارية في المدارس الحديثة للتدريب العقلي هي مجرّد صيغ مُستنبطة أساساً من المنهج الهرمزي، لكنها غير مكتملة أو غير عملية. إن مُعظم الممارسين العصريين للقوى العقلية هم جهلة بالمقارنة مع الأسياد القدامى، لأنهم يفتقدون للمعرفة الأصلية التي يستند عليها هذا العمل.

الحالات العقلية قابلة للتغيير أو التحوّل عبر الوسائل الهرمزية ليس فقط في ذات الفرد، بل لدى الآخرين أيضاً، والتي يمكن تحويلها بنفس الطريقة، وغالباً ما يتم ذلك بطريقة غير واعية، مع قابلية حصولها بطريقة واعية بعد فهم بعض القوانين والمبادئ. لكن هذا التأثير لا يمكنه الحدوث إذا كان المُستهدف ملمّ بمبادئ الحماية والتحصين الذاتي. وأكثر من ذلك، وكما يعلم الكثير من الطلاب والممارسين للعلوم العقلية العصرية، كل حالة مادية تعتمد على عقول الآخرين قابلة لأن تتحوّل أو تتغيّر بالتوافق مع الرغبة الجديّة، الإرادة، والمعالجة المناسبة للشخص الذي يريد هذا التغيير. إن العامة على إلمام بهذه الأمور في هذه الأيام، لهذا نرى أنه ما من ضرورة للإسهاب في الحديث عنها، لكن هدفنا من ذكر هذه النقطة هو استعراض كيف يلعب الفنّ الهرمزي ومبادئه دوراً رئيسياً في هذا المجال بفروعه وممارساته المتعددة، مهما كان نوعها: خيّرة أو شرّيرة، حيث يمكن استخدام القوة العقلية باتجاهات معاكسة وفقاً للمبدأ الهرمزي المتمثّل بـ"القطبية".

".. التحوّل الهرمزي الحقيقي هو فنّ عقلي.." . القيبلان

في هذه المقولة السابقة، يعلّن الهرمزيون بأن العمل العظيم المتمثّل بتأثير الفرد على بيئته يُنجز بواسطة قوة العقل. لأن الكون ذو طبيعة عقليّة (مؤلف من محتوى عقلي)، فهذا يعني أنه يُحكم عقلياً فحسب. ويمكن رؤية هذه الحقيقة بوضوح واستخدامها في تفسير كافة الظواهر العقليّة وتجلياتها المتنوعة والتي تجذب المزيد من الانتباه والاهتمام البحثي. ما وراء جذور التعاليم السائدة في كافة المذاهب

والمدارس الروحية يكمن المبدأ الأبدي المتمثّل بـ"المحتوى العقلي للكون". إذا كان الكون عقليّاً بطبيعته ومحتواه، فهذا يعني أن "التحوّل العقلي" للفرد قادر على إحداث تغييرات في ظروف والظواهر الطبيعية في الكون. إذا كان الكون عقلياً، فهذا يعني أن "العقل" يمثّل أعلى قوّة قادرة على التأثير في ظواهره. مجرّد أن استوعبنا هذه الفكرة، تصبح "المعجزات" و"الأعمال الخارقة" حالات طبيعية لا تدعو للعجب والذهول.

".. الكل هو عقل... الكون هو محتوى عقلي.." . القيبلان

—

انتهى الاقتباس

....

اختيار المنظومة الأنسب للتدريب

نعود إلى السؤال المهم: كيف يمكننا التوصل إلى نتيجة مجدية في مسعانا لتحويل العقل لدينا بحيث يسمح لتجلي قدراتنا الباطنية؟ الجواب هو بسيط: وجب أن نتعرف على منظومة بناءة ومؤثرة ومصممة جيداً والتي أثبتت جدواها وتأثيرها عبر الزمن، حيث لديها نظريتها الخاصة وتطبيقها الخاص. أي بمعنى آخر، نحن بحاجة إلى تقليد خاص يمكن إتباعه بثقة لكي ننجح في الحصول على النتائج التي نتوقعها. صحيح أن الكائن البشري لديه قدرات عديدة يمكنها أن تتجلى تلقائياً دون حاجة للانخراط في منظومة أو تقليد، لكنها تبقى عشوائية وعفوية وغير منضبطة في معظم الأحيان لأن الفرد يجهل تماماً عن أي شيء يخص هذه القوى الغامضة المتجلية لديه وبالتالي يعجز عن السيطرة عليها أو التعامل معها بشكل سليم. لذلك من الأفضل أن ينخرط الفرد في منظومة تدريب مجدية وتقليدية وأثبتت نجاحها عبر الزمن، حيث بعدها سوف يصبح لديه قوى وقدرات يمكن التحكم بها والسيطرة عليها حسب الإرادة والطلب وهذا هو الأمر الأهم.

النقطة المهمة التي وجب أخذها بعين الاعتبار هي المنظومة التي اتبعها القدماء في سبيل السعي لتحويل العقل لديهم حتى ارتقوا بمستواهم إلى أرقى الدرجات، وكان من بين ما اكتسبوه خلال مسعاهم هذا هو تجلّي تلك القدرات الهائلة التي اشتهروا بها عبر العصور. المنظومة التي أقصدها هي تلك التي استخدمت في الأهرامات التي كانت في حينها تمثل مجمع كبير لمدرسة عظيمة، كانت في قمة مجدها وازدهارها وتستقطب المريدين من كل جهة وصوب حول العالم وتخرّجهم ليس كبشر بل أشباه آلهة. لقد بنى القدماء منهجهم التدريبي على أساس معرفتهم المتطورة جداً بخصوص الوجود عموماً وتركيبة الإنسان خصوصاً.

لقد عرفوا منذ ذلك الزمن حقيقة أن الوجود هو عبارة عن تجسيد هولوغرافي، متعدد الأبعاد ومتدرّج المستويات الذبذبيّة، ونتيجة اجتماع مجموعة من القوى الكونيّة

المختلفة والمتباينة في الخصائص والشدّة والإيقاع، كل منها مسؤولة عن جانب معيّن من التجلّي الوجودي. وهذه الطبيعة الهولوغرافيّة للوجود تجعله يعمل بطريقة تماثليّة على كافة المستويات (كما في الأعلى، كذلك في الأسفل)، أي تفاعلات القوى الكونية الموصوفة سابقاً (الذبذبة، التدرّج، الإيقاع، الجندر.. إلى آخره) التي تتجلّى على مستوى كوني كبير، تتجلّى أيضاً بنفس الصيغة على كافة المستويات وصولاً إلى المستوى الذرّي الدقيق.

كل هذه التفاعلات الكونيّة التي تُجسّد في النهاية الكون المرئي والملموس هي مؤلّفة من محتوى عقلي مُنبعث أصلاً من عقل مطلق يتعذّر وصفه بسبب محدودية الإدراك البشري. لكن بما أن الكون مؤلف من محتوى عقلي، فهذا يجعل العقل "سيّد" كل القوانين والمجريات الكونية. وبفضل ظاهرة "التماثل" على كافة المستويات الوجوديّة، يستطيع الإنسان أيضاً، الموهوب بملكة "العقل"، إحداث تغييرات في محيطه وبيئته الوجودية وفق الرغبة بواسطة "العقل". لكن العقل البشري بحالته الطبيعيّة لا يستطيع إنجاز شيء قبل تنشيطه وتطويره بطريقة معيّنة ووفق منهجيّة معيّنة (التحوّل العقلي).

بناء على هذه الحقائق الكونية الأوّليّة، تم وضع منهج علمي يساعد الإنسان على تحسين وجوده المادي في المستوى الدنيوي وبالإضافة إلى ضمان سمو مرتبته الروحية في المستوى التجاوزي. وبفضل ظاهرة "التماثل" (كما في الأعلى كذلك في الأسفل) تم صياغة مخطّط هندسي بسيط يشمل كل الحقائق والقوانين الكونيّة التي تنطبق على كافة المستويات الوجودية. هذا المخطّط أصبح معروف بـ"شجرة الحياة".

التعاليم التي تتمحور حول هذا المخطّط ترتكز على فكرتين أساسيتين: **[١]** شرح الطريقة التي تجلّى بها الخالق في خلقه (كما في الأعلى كذلك في الأسفل)، بالإضافة إلى وصف آلية تفاعل القوى الكونيّة لتشكّل في النهاية الوجود المرئي الملموس، وشرح القوانين والمبادئ التي تحكم هذه العمليّة *(درب السيف في تعاليم القبالة)*. **[٢]** كما أنها تمثّل بنفس الوقت أداة مجدية للتطوّر العقلي والارتقاء الروحي، بحيث

توصف السبيل المجدي والصحيح الذي يمكّن الفرد من إجراء "التحوّل العقلي" (تنشيط أداء العقل وطريقة تفاعله مع القوى الكونيّة)، بالإضافة إلى "الارتقاء الروحي" (رفع وتيرة الذبذبة). *(وهذا ما يُشار إليه بـ"درب الأفعى" في تعاليم القبالة)*.

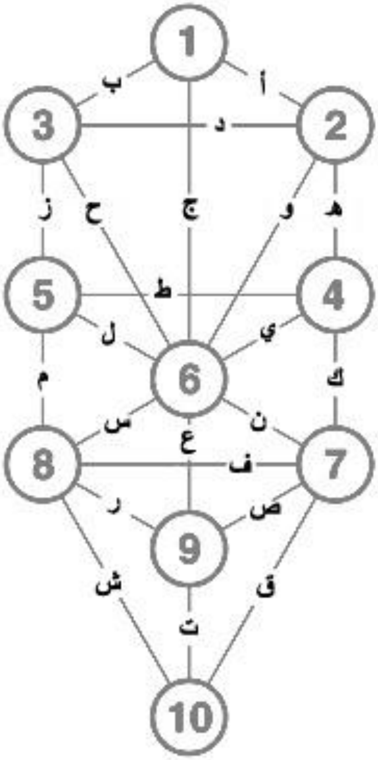

هذا المخطط لشجرة الحياة يبين كامل المراحل التي وجب على المريد خوضها قبل أن يتخرج بصفته شبه إله، أو سيّد الأسياد. لكننا حالياً سنهتم بمرحلة واحدة فحسب وهي التي سوف تمكننا من تحقيق غايتنا بجدارة عالية. هذه المرحلة تتعلق بالمقام العاشر فقط، حيث لن نبدأ بالانخراط بعد بأي مسار من مسارات الشجرة. مع العلم أن كل من هذه المسارات يتطلب كتاب أو كتابين لكي يشرح ما يمثله وكيفية دراسته والغاية من دراسته. أما المقام العاشر والذي يهمنا فهو وحده يحتاج لكتابين كاملين وهما يمثلان الجزء الثاني والثالث من هذا الكتاب الذي بين يديك.

نظرة مختلفة إلى موضوع الإيمان

تعرفنا عبر الأجزاء المختلفة لمجموعة "من نحن" على مدى أهمية الإيمان في إحداث تغييرات جذرية في حياتنا إن كانت تتعلق بأمور صحية أو خلق ظواهر وحالات مختلفة غير مألوفة. الإيمان الذي أقصده هو المعتقد العام الذي يحكم طريقة تفكيرك أو نظرتك الخاصة للواقع، أو قناعاتك الخاصة تجاه أمر معيّن، ومن أجل تكوين فكرة شاملة بهذا الخصوص أنصحك بأن تراجع موضوع نحن نجسد ما نؤمن به ص ١٢٤، وكذلك موضوع الإيمان والقناعة الشخصية وتأثيرها على أجسادنا ص ٣١٠ في الجزء الثاني من هذه المجموعة. رأينا من خلال هذه المواضيع كيف يمكن تغيير الواقع بكامله مجرّد أن غيرنا معتقداتنا أو طريقة نظرتنا للأمور عموماً. لكن رغم إمكانية حصول هكذا تغييرات جذرية نتيجة قوة الإيمان إلا أنها نادرة أو مؤقتة أو ضيقة الأفق والسبب يعود إلى أن الأمر ليس بهذه السهولة التي نظنها حيث يوجد آلية خاصة لازلنا نجهلها. لازلنا نجهل الآلية التي يمكن من خلالها تغيير قناعاتنا المزروعة بقوة في العقل الباطن لدينا فنسلّم بالنهاية أن الأمر مستحيل. طبعاً أستطاع التنويم المغناطيسي تحقيق الكثير من الإنجازات بهذا الخصوص. التنويم المغناطيسي يعتمد أصلاً على تغيير القناعات في العقل الباطن، لكن إنجازاته تكون مؤقتة وغير راسخة، حيث مجرّد أن استيقظ النائم مغناطيسياً يعود إلى حالته العادية السابقة وتعود معه قناعاته السابقة وتختفي الظواهر والحالات غير العادية التي جسدها النائم مغناطيسياً قبل صحوته من نومه. بالتالي لا يمكن الاعتماد كلياً على التنويم المغناطيسي في هذا المضمار رغم أنه يمثل وسيلة مجدية في بعض الحالات.

خلال سعيهم إلى إيجاد وسيلة تمكنهم من خلق حالة تغيير دائمة في جوهر الفرد رأى الحكماء القدامى بأنه وجب تجسيد حالة تغيير دائمة في معتقداته ونظرته للحياة عموماً (وليس مؤقتة كما في التنويم المغناطيسي). لهذا السبب بحثوا عن الأساس الذي يستند عليه موضوع الإيمان (أو القناعة أو المعتقد) وكيفية تأصله ونشوئه في

ما نسميه اليوم العقل الباطن. فتوصلوا في النهاية إلى نتائج مجدية وذات قيمة علمية كبيرة.

وفقاً للمنهج السحري، الإيمان يعني أن تسلّم بمصداقية وواقعية الأمر الذي تتصوره ومن ثم ترغب في تجسيده أو تحقيقه. لكن هذا الأمر ليس بسيطاً كما نظن، لأننا لا نتكلم عن عملية خداع الذات بل إقناع الذات بأن ما نفعله هو حقيقي وواقعي وله نتائج ملموسة. وفقاً لتعاليم شجرة الحياة، الإيمان هو موضوع مركّب يتألف من مجموعة مكونات. هذه المكونات تمثل المقامات الثلاثة التي تتألف منها النفس الدنيا في أسفل الشجرة، كما هو مبيّن في الشكل التالي:

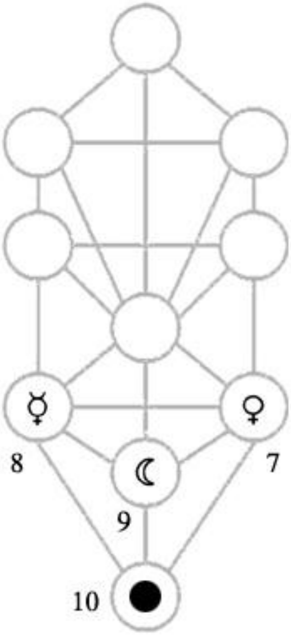

القسم الأدنى من شجرة الحياة (النفس الدنيا) يتألف من ثلاثة مقامات: [٩] و[٨] و[٧]، وهي تمثل طاقات أساسية وتلعب دور جوهري في طريقة رؤيتنا للعالم الذي نعيش فيه. وفقاً للفلسفة الرومانية، أسماء الآلهة التي تحكم مقامات هذا القسم الدنيوي هي: [الزهرة] Venus و[عطارد] Mercury و[القمر] Diana. وقد تم الكشف عن الكثير من أدوار هذه القوى الثلاثة عبر الأساطير الشعبية والتي هي في الحقيقة حكايا رمزية تخفي الكثير من المعرفة والحكمة الباطنية.

إذا رغبت في ترسيخ قناعة معينة فهذا يتطلب القيام بإجراءات تتعلق بالنفس الدنيا، أي المقامات الثلاثة التي تشملها. المقام التاسع يمثل نظرتك للواقع الذي نشأت وسطه وتسلم بأنه حقيقي (التصوّر). هذا الواقع تستطيع تفسيره وتبريره منطقياً بفضل

المقام الثامن (القناعة). المنطق المألوف الذي سلم به المقام الثامن مدعوم بالقوة العاطفية للمقام السابع (الرغبة الوجدانية). إذاً، أنت تعيش وسط عالم تؤمن بواقعيته وتبرر وجوده منطقياً وتتفاعل مع هذا الواقع عاطفياً (وجدانياً).

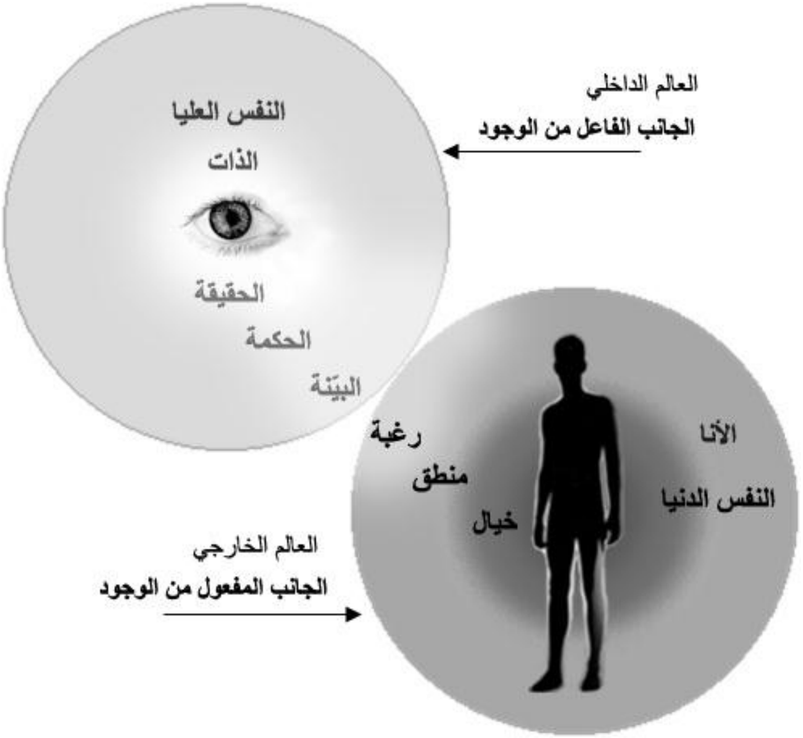

العالم الدنيوي (الذي ندركه ونألفه ونختبره في حياتنا اليومية) هو ما تصنعه نفسنا الدنيوية من خلال تفاعل ثلاثة مكونات رئيسية: العاطفة (رغبة)، المنطق (فكر)، الخيال (وهم). أي عالمنا الدنيوي الذي نعيشه الآن هو عالم وهمي أصلاً، وبالتالي يبدو كما نراه بناء على تصوّر محدد مدعوم بمنطق محدد ويحفزه رغبة محددة تنشط في النفس الدنيوية. هذا يجعلنا نستنتج بأنه مجرّد أن أجريت تغييرات في هذه العوامل الثلاثة سوف يتجلى أمامك عالم آخر مختلف تماماً ويحكمه قوانين مختلفة.

نحن في الحالة العادية نجسّد ما نرغبه بشكل دائم لكن دون شعور منا، وهذا ما يشيرون إليه اليوم بقوة الجذب أو (قانون الجذب)، أي أنت تستطيع جذب كل ما تفكر به باستمرار. لكن بسبب جهلنا بآليات هذا الموضوع، نجد أنفسنا جاذبين إلينا أمور كثيرة سلبية إلى جانب الإيجابية، والسبب هو أننا نفكر بتلك الأشياء السلبية إلى درجة الهوس (بسبب خوفنا منها أو كراهيتنا لها أو غيرها من أفكار وعواطف سلبية مشحونة بقوة) فنراها مع الأيام تتجلى في حياتنا وبشكل متكرر. لكن مهما كان الأمر، نحن نقوم بجذب الكثير من الأشياء السلبية والإيجابية إلى حياتنا اليومية دون شعور منا، وهذا يعود إلى قوة عجيبة بداخلنا تستطيع تجسيد أي شيء نفكر به، لكن هذا التجسيد لا يحصل بشكل منتظم (لأن معايير مقامات النفس الدنيوية عشوائية) ولا يخضع لإرادتنا (لأننا نجهل آليته) ولا بشكل فوري بل يتطلب فترة زمنية قبل أن يتجسّد (وهذا يعود سببه إلى أن عالمنا الدنيوي محكوم بعاملي الزمان والمكان وبالتالي يتطلب الأمر تسلسل منطقي للأحداث قبل أن يتجسّد الشيء المرغوب أو المكروه). لكن رغم هذا كله نلاحظ بأن هذه القدرة على الجذب قد لا تعمل في بعض الأحيان أو حتى معظم الأحيان، والسبب يعود إلى جهلنا للأسس التي تستند عليها آلية عمل هذه القدرة. فتتجلى عشوائياً وبشكل متواتر وغير منتظم، وغالباً ما تكون نتائجها سلبية ومنافية لرغباتنا.

بعد التعرف على مدى تأثير الإيمان على كامل منظومتنا الجسدية وكذلك على ظروف حياتنا وعلى مصيرنا عموماً أصبح واضحاً أنه من أجل خلق حياة مناسبة لأنفسنا وجب إيجاد سبيل مناسب للسيطرة على الإيمان لدينا. بعد أن تحسم مسألة الإيمان وتعرف كيف تخلق واقعاً جديداً تؤمن به وتسلّم به أنه حقيقي، أصبح عليك الآن تحديد المواضيع التي وجب الإيمان بها وتسلم بواقعيتها. أهم المواضيع هي التسليم بوجود كائن أسمى جليل المرتبة وعظيم القدرة. وهذا بالضبط ما فعله الشمانيين والسحرة في الثقافات المختلفة.

إن الإيمان بكائن أعلى ليس خيار بل ضرورة. طبعاً أنا لا أقصد ذلك الإيمان الذي تفرضه الأديان والذي يفرض الإيمان بإله يكره الآخرين ويأمر بقتلهم وسبي نسائهم

وسرقة ممتلكاتهم، بل كائن يمثل أعلى مستويات كيانك المتجلي، وقد أشرت إليه بأسماء مختلفة مثل الشمس الباطنية أو النفس العليا. هذا هو الكائن النوراني الجليل الذي نرفض إدخال نوره إلى حياتنا اليومية لأننا غير مستعدين للتخلي عن أي من مكتسباتنا الدنيوية الفانية مقابل تجلي هذا النور حتى لو كان مخلصنا الوحيد والأبدي من العذاب السرمدي. هذا النور يحاول دائماً التجلي في كياننا الدنيوي لكنه يواجه مصير بائس حيث رمز إليه القدماء بأنه ابن الشمس الذي صُلب وعذب وعاد إلى والده في السماء. هذا ما تتمحور حوله التعاليم المسيحية أصلاً. لكن لا يفطن أحد إلى أن هذا النور الشافي يتجلى دائماً وبشكل متكرر في كياننا وبالتالي يُعذب ويُصلب بشكل متكرر من قبل القوى الدنيوية التي تسيطر على توجهنا الفكري.

نحن مشغولون دائماً وأبداً بشؤون الحياة الدنيوية محاولين دائماً توفير كل ما يشبع غرائزنا ورغباتنا ومهووسين بالبقاء سالمين ومعافين في هذه الدنيا الفانية وبالتالي ننسى أن المخلص موجود دائماً وأبداً لكنه يطرد من منظومتنا العقلية دائماً وأبداً. وسوف يبقى الحال كذلك إلى أن يأتي اليوم الذي نتعلم فيه كيف نُسلم تماماً لهذا الكائن النوراني الجليل بحيث نتركه يدير شؤوننا كما تراه حكمته الإلهية مناسباً. وهذه الحالة الأخيرة تسمى الإسلام الكامل.

سبق وذكرت أنك، بفضل تلك القوة العظيمة بداخلك، تستطيع تجسيد ما ترغب به لكن بنفس الوقت تستطيع تجسيد القوة التي تمكنك من تجسيد كل ما ترغب به ويوجد فرق كبير بين الحالتين. وطبعاً أنت بكل تأكيد سوف تختار الخيار الثاني، ومن أجل أن تنجح في تفعيل تلك القدرة التي تمكنك من تجسيد كل ما ترغب به يوجد عنصر مهم جداً وجب حضوره في المعادلة وهو الإيمان بكائن أعلى (النفس العليا) بحيث تسلّم بوجوده منطقياً وتتفاعل معه وجدانياً وتكون واثقاً كل الثقة بأنه يستطيع تلبية كل ما ترغب به. من هنا جاء مفهوم علاء الدين والفانوس السحري. كل فرد منا يوجد بداخله مارد سحري يستطيع تلبية كل ما يرغب به لكننا نجهل هذه الحقيقة الرائعة. وفقاً لرواية علاء الدين، من أجل أن تجد الفانوس السحري الخاص بك

(صيغة التواصل مع المارد السحري) عليك النزول إلى المغارة تحت الأرضية (خفايا النفس الدنيوية) وتبحث عن الفانوس. وفي النهاية لا بد من أن تجده.

عودة إلى منظومة التدريب

إذاً، منظومة التدريب التي كانت سائدة في ذلك الزمن القديم هي المنظومة التي تتمحور حول مخطط شجرة الحياة والتي ذكرتها في أكثر من مكان في مجموعة كتب "من نحن". لكننا سوف نتعرف عليها هنا بطريقة مختلفة ووفق صيغة مختلفة. لا نستطيع شرح كامل المنهج الذي يوصفه مخطط الشجرة بل سنكتفي بما سوف يفيدنا بخصوص غايتنا التي ننشدها. المراحل التي يتسلقها المريد وفق مخطط الشجرة هي [٢٢] مرحلة قبل إتمامه المسيرة بالكامل والتي قد تدوم سنوات وحتى عقود من الزمن. لكن نحن سنهتم بمرحلة واحدة فقط لكي نصل إلى غايتنا المنشودة والمتمثلة بتحضير العقل للاندمج مع آليات ووظائف القوى الخارقة.

المراحل الـ[٢٢] التي أتكلم عنها هي ذاتها التي تمثلها أوراق التاروت الشهيرة والتي تحمل صور رمزية مختلفة تخفي معلومات باطنية تتمحور حول منظومة شجرة الحياة.

ذكرت في الجزء السابع من مجموعة "من نحن" اقتباس من كتاب "التعاليم السرية لكل العصور" للفقيه "مانلي بالمر هول" يتحدث فيه عن كتاب توث. وتوث هو الاسم المصري لهرمز. قال الكاتب أنه يعتقد بأن كتاب توث الأسطوري هو ذاته مجموعة أوراق التاروت التي يستخدمها الغجر في قراءة الطالع. دعونا نعيد الاطلاع على المقالة المقتبسة:

كتاب توث

THE BOOK OF THOTH

بينما لازال هرمز يعيش على هذه الأرض مع البشر، أودع "كتاب توث" المقدس لمجموعة من خلفاءه المختارين. احتوى هذا العمل على الإجراءات السرية التي وجب عبرها تحقيق مهمة "إعادة إصلاح البشرية". كما يخدم كمفتاح أساسي للدخول عبره إلى كتاباته الأخرى. لا أحد يستطيع الجزم بما كان يحتويه هذا الكتاب غير أن صفحاته كانت مكسوة بصور ورموز هيلوغريفية غريبة، والتي منحت مستخدميه قوة غير محدودة على الأرواح العلوية والسفلية (قوى كونية). عندما تُحفّز مناطق معيّنة في الدماغ بواسطة الإجراءات السرية للتعاليم السرية، يتمدد وعي الإنسان ويتضخّم، فيستطيع بعدها أن يرى الخالدين ويدخل إلى حضرة الآلهة الأسمى. يصف كتاب "توث" الوسيلة التي تمكن الفرد من تحقيق هذا التحفيز الدماغي. وهذا حقاً يجعل الكتاب يستحق لقب "مفتاح الخلود".

وفقاً للأسطورة، وُضع كتاب "توث" في صندوق ذهبي في الحرم الداخلي للمعبد. ولم يوجد سوى مفتاح واحد لهذا الصندوق، وكان بحوزة "سيّد المحفل"، أعلى الأعضاء المنتسبين إلى "التقليد الهرمزي". هو وحده يعلم ما كان مكتوباً في هذا الكتاب السرّي. لقد فقد العالم القديم كتاب "توث" بعد زوال المحفل. لكن أعضاءه المخلصين حملوه داخل الصندوق المقدس إلى بلاد أخرى. لازال الكتاب موجوداً اليوم ولازال مستمراً في إرشاد المريدين في هذا الزمن الحالي ليتمكنوا من المثول في حضرة الخالدين. لا يمكن تقديم أي معلومة للعالم أكثر من ذلك في الوقت الحالي، لكن وجب العلم بأن الخلافة المتسلسلة منذ الكاهن الأوّل الذي أنتسب على يد هرمز شخصياً لازالت مستمرّة دون توقّف حتى هذا اليوم. وبالنسبة لؤلئك المميّزين المناسبين لخدمة الخالدين، فيمكنهم أن يجدوا هذا المخطوط النفيس الذي لا يُقدر بثمن إذا اجتهدوا وبحثوا بصدق وإصرار وبلا كلل أو ملل.

لقد زُعم بأن كتاب "توث" هو في الحقيقة ورق "التاروت" Tarot الغامض الذي يستخدمه الغجر للتنبؤ بالمستقبل. هو عبارة عن مجموعة صور رمزية غريبة تغطي ٧٨ ورقة وهي بحوزة الغجر منذ فترة طردهم من معابدهم القديمة في مصر *(حسب التاريخ المتداول في الحلقات السريّة، ينحدر الغجر من أصول مصرية وكانوا كهنة معبد "سيرابيس" Serapeum)*. يوجد هناك في العالم الآن عدد من المدارس السريّة المختلفة تسمح بانتساب أعضاء جدد إلى محافلها، لكن رغم اختلاف تقاليدها إلا أنها جميعاً تشعل نيران مذبحها من شعلة هرمز المتوهّجة. في كتاب "توث"، بيّن هرمز "الطريق الوحيد" للبشرية، وعبر العصور تمكن حكماء كل أمة وكل عقيدة أن يدركوا الخلود بفضل هذا "الطريق" الذي أنشأه هرمز وسط الظلام بهدف تخليص الإنسانية.

مانلي بالمر هول

التعاليم السرية لكل العصور

....

انتهى الاقتباس

بعد المزيد من الدراسة والبحث سوف يكتشف الفرد بأن الكلام السابق صحيح بخصوص أوراق التاروت وعلاقتها بالتعاليم الهرمزية. الأمر المهم في الموضوع هو أن هذه الأوراق تمثل المعاني الباطنية للمسارات الواصلة بين مقامات الشجرة. لكن قبل البحث في هذا الموضوع دعونا نسترجع إلى ذاكرتنا بعض مما ورد في الجزء السابع من مجموعة "من نحن" بخصوص أوراق التاروت.

وصف مُختصر لورق التاروت

يُعرف التاروت عموماً بأنه مجموعة من الأوراق (نسميها أوراق اللعب) تُستخدم عموماً للتنبؤ بالمستقبل، وهي مؤلفة من ٧٨ ورقة. تُقسم مجموعة التاروت إلى قسمين: [١] الأركانا الكُبرى Arcana Greater وهي مؤلفة من ٢٢ ورقة تحمل كل منها صورة هيروغليفية ولها معناها السحري/الفلسفي/العلمي الخاص. و[٢] الأركانا الصُغرى Lesser Arcana وهي مؤلفة من ٥٤ ورقة، وهي ذاتها ورق اللعب الذي يألفه الناس لكن بعد تعديله ليصبح عدده ٥٢ ورقة.

الأركانا الصُغرى

ذكرت سابقاً بأن الأركانا الصُغرى هي ذاتها ورق اللعب الذي يألفه الناس لكن بعد تعديله (إزالة خادم الحاشية) ليصبح عدده ٥٢ ورقة. الأركانا الصُغرى مؤلفة أساساً من ٥٦ ورقة، مُقسمة إلى أربع مجموعات، كل مجموعة مؤلفة من ١٤ ورقة. أما أسماء المجموعات الأربعة فهي:

عربي	***فرنسي***	***إيطالي***	***إنكليزي***
بيستوني	Bâtons	Bastoni	Clubs
كوبا	Coupes	Coppé	Cups
سبات	Épées	Spadé	Spades
ديناري	Deniers	Denari	Diamonds

كل مجموعة تتألف من: الآس، الجوز، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، ثمانية، تسعة، عشرة، الخادم أو الحاجب، الفارس أو الشاب، الملكة أو البنت، الملك أو الشيخ.

لقد طرأت تغييرات كثيرة على الأركانا الصُغرى لأسباب كثيرة، إن كان من حيث إخفاض عدد كل مجموعة (إزالة الحاجب أو الخادم) أو الاختلاف في الرموز التي تمثّل المجموعات. فمثلاً، الأوراق القديمة كانت تحتوي على صور مختلفة عن أوراق اللعب العصرية مما أدى إلى إحداث تغيير كبير في رمزيتها ومعانيها الخفية. بدلاً من الرموز التي نألفها في ورق اللعب العادي (القلوب التي ترمز للكوبا مثلاً) نجد رموز مختلفة تماماً مثل السيوف، الصولجانات أو العصي، الدوائر المعدنية ذات النجوم الخماسية، والكؤوس. فيما يلي عيّنة من الصور التي حملتها المجموعات الأربعة في الأوراق القديمة، وسأكتفي بإظهار ورقة الآس من كل مجموعة.

آس البستوني	آس السبات	آس الكوبا	آس الديناري

هذا مجرد اقتباس مختصر للموضوع، وإذا أردت التوسع أكثر يمكنك العودة إلى الجزء السابع من مجموعة "من نحن" للاطلاع على المزيد من التفاصيل بخصوصه.

مجموعة الأركانا الكبرى

والصيغة الفعلية لتوزيع أوراقها على مسارات الشجرة

في هذا الموضوع سوف نهتم بمجموعة الأركانا الكبرى، أي الأوراق الـ[٢٢] حيث هي التي سوف تفيدنا، لأنها تمثل المسارات الواصلة بين مقامات الشجرة، وهذه المسارات هي هدف اهتمامنا هنا. هذه الأوراق برموزها ومعانيها الباطنية المختلفة تمثل الإرشادات التي تساعد المريد على تسلق الشجرة بالتدريج وبطريقة سليمة خلال سعيه للإرتقاء. الصور التالية تمثل أوراق الأركانا الكبرى والتي عددها [٢٢] وسوف أشرحها بالتفصيل لاحقاً.

الإمبراطور	الكاهنة العُليا	الساحر	الأبله

العربة	المقدرة	الإمبراطورة	العاشقان

العدالة	الناسك	دولاب الحظ	الكاهن الأعلى

الاعتدال	الرجل المعلّق	الشيطان	الموت

الولادة من جديد	النجم	البرج	القمر

الشمس	عالم النور

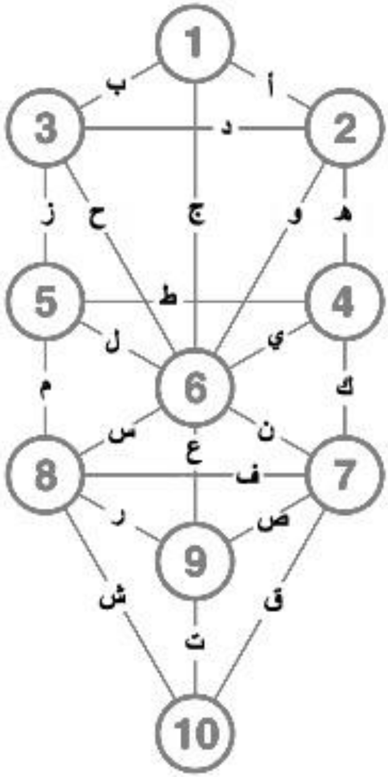

[٠] الأبله، [١] الساحر، [ت] الكاهنة العليا، [ش] الامبراطور، [ر] العاشقان، [ق] الامبراطورة، [ص] المقدرة، [ف] العربة، [ع] الكاهن الأعلى، [س] دولاب الحظ، [ن] الناسك، [م] العدالة، [ل] الموت، [ك] الشيطان، [ي] الرجل المعلق، [ط] الاعتدال، [ح] القمر، [ز] البرج، [و] النجم، [هـ] الولادة من جديد، [د] عالم النور،[ج] الشمس، [ب] لا يوجد، [أ] لا يوجد.

ملاحظة: هذا الترتيب للأوراق على مسارات الشجرة هو الترتيب الأصلي والذي لن تجد مثله في أي مرجع آخر عن هذا الموضوع. جميع المراجع هي خاطئة أو محرّفة لأسباب كثيرة مختلفة. المهم أن تلك المراجع لا تجدي نفعاً ولا تقدم أي فائدة لمن يبحث في هذا المجال.

بما أننا نسعى إلى الارتقاء بطبيعتنا البشرية فهذا يفرض علينا البدء من أسفل الشجرة إلى أعلاها. نلاحظ بأن ورقتي الأبله والساحر لا يحملان حروف بل أرقام، وهذا لا يعني أنهما لا يمثلان أي معنى بل فقط أنهما لا يمثلان أي من المسارات في الشجرة مما يجعلهما غير ممثلتين بأحرف. بالإضافة إلى الحرفين الأخيرين [أ] و[ب]، فهما يمثلان المسارين الأخيرين في أعلى الشجرة، لكنهما لا يمثلان أي معنى يمكن للعقل البشري استيعابه لأن المريد في حينها يكون قد دخل إلى رحاب عالم النور وبالتالي صيغة التعامل مع المعلومات تكون مختلفة تماماً، وبالتالي أبقى الحكماء على هذين المسارين فارغين من أي معاني أو معلومات. وهذا هو الحلّ السرّي لأوّل معضلة مثلت لغزاً كبيراً لجميع الباحثين الذين تناولوا هذا الموضوع. جميعهم أخطئوا في حلّ هذا اللغز الذي شغلهم طويلاً.

وجب العلم أن المريد كان يستغرق شهور طويلة وحتى سنوات أحياناً قبل أن ينتهي من معالجة مسار واحد من مسارات الشجرة. كل مسار يمثل جانباً من جوانب الوعي لديه والذي على المريد ضبط وتعديل هذا الجانب من الوعي قبل انتقاله إلى المسار التالي الذي يمثل جانب آخر من الوعي. وتستمر العملية إلى أن ينتهي المريد من كامل المسارات. مع العلم أن هذه العملية ليست بسيطة ولا أعتقد بأن الإنسان العصري قادر على خوض هذه الرحلة الشاقة حتى النهاية، لأنه بكل بساطة تغيّر بشكل جذري عبر العصور، إن كان من حيث طريقة التفكير والقدرة الجسدية أو حتى من الناحية العاطفية والاعتقادية، والأهم من ذلك فإن غايته في الحياة تغيرت تماماً وزادت صبغتها الدنيوية إلى حدها الأقصى.

فيما يلي شرح مختصر لكل ورقة من أوراق التاروت والمسار الذي تمثله. مع أنه في الحقيقة، كل ورقة من هذه الأوراق تتطلب كتاب أو كتابين لشرحها بالتفصيل. الجزئين التاليين من هذا الكتاب الذي بين يديك هما مكرسين بالكامل لشرح ورقة واحدة فقط وهي ورقة الساحر.

[0]
الأبله
The Fool
(أو المهرّج أو المغفّل أو الأحمق)

من مجموعة "رايدر_وايت"

رقم هذه الورقة هو [صفر]، هي لا تنتمي إلى الشجرة أصلاً، لكنها رغم ذلك تعتبر قسماً جوهرياً لمجموعة التاروت، لأنها تمثل الشرارة التي تحرّك كامل العملية. هذه الورقة تمثل الخطوة الأولى في المسار الطويل نحو التنوّر والسيادة. قد تبدو هذه الخطوة الأولى صغيرة بالمقارنة مع مسار تلك الرحلة الطويلة، لكنها تعتبر جوهرية وحيوية لأنه بدون هذه الخطوة الأولى لا يمكن لتلك الرحلة أن تنطلق أصلاً. هذه الخطوة الجوهرية تمثّل القرار الحاسم الذي يتخذه الفرد لأن يخرج عن القطيع والتمرّد على التقاليد التي تحكم سلوك الحشود. الأبله إذاً هو المتمرّد على المنطق المألوف الذي يحكم عقول محيطه الاجتماعي. جميعنا نعلم بأن الخارج عن ضوابط تقاليدنا وأعرافنا الاجتماعية هو أبله في نظرنا.

ورقة الأبله تمثل تجلّي الروح الصافية لأوّل مرة في حياة الفرد بحيث أصبح مستعداً لأن ينهل من الدروس المتعلقة بالعالم الحقيقي. رغم أن جميع المحيطين به ينعتوه بالأبله أو المهرج أو المغفل أو غيرها من نعوت ساخرة، إلا أنه لا يعيرهم أي اهتمام ويستمر في رحلته الغريبة وغير المألوفة، وكل ما هو غريب وغير مألوف يكون هدف سخرية واستهزاء من هذا المحيط. على الفرد أن ينضمّ إلى الحشد، ينخرط مع القطيع، لكي يعتبر من قبل المحيطين سليماً وطبيعياً، وإلا صار غريب الأطوار.. معتوه، أبله، متهور. لهذا السبب الأبله في هذه الورقة هو ليس أبله كما نتصوّر، لكنه يعتبر كذلك لدى المحيطين فقط. صحيح أنه يوجد مبرر لحكمهم هذا، لأن هذا الخروج عن مسار الحشود، التمرّد على القطيع، قد يقود الفرد إلى اختبار ظروف ومواقف غير سليمة أو حتى خطيرة وفقاً للمنطق العام. لكن بنفس الوقت، وفقاً لمنطق آخر، قد يقوده هذا المسار غير المألوف إلى المعرفة الحقيقية وحتى إلى التنوّر والحكمة. لكن في جميع الأحوال، يبدو أن هذا الفرد المتمرّد، الأبله، لا يأبه بما يقوله الآخرين، أو بما يفكرون به، لأنه يعلم يقيناً بأن ما يفعله هو صائب وسليم، وهذا وحده يكفي.

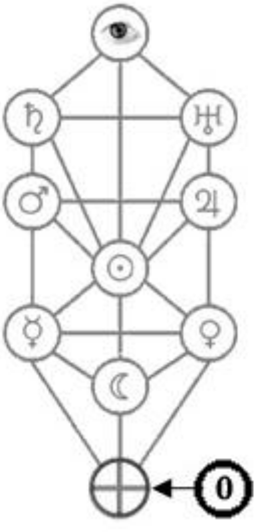

الموقع الذي يمثل الأبله في مخطط شجرة الحياة، هو خارج منظومة الشجرة كلياً، لكن وجود هذه الورقة ضروري لكي تشرح السمات والخصائص التي على المريد التحلي بها كشرط يمكنه للانخراط في منظومة التدريب

إن توجهه في الحياة غريب وغير تقليدي، لأنه يفعل ما هو مريح وعقلاني ومناسب بالنسبة له ولا يولي أي اهتمام إلى أي اعتبار آخر. وجهة النظر هذه لا تكون معززة عموماً في حياتنا المألوفة، حيث غالباً ما يُتبع الأمر ".. افعل ما طُلب منك.." دون أي تردد أو تفكير. بالنسبة لمن يعيشون حياتهم وفق الفلسفة السابقة، أي تنفيذ الأوامر دون تفكير، قد يعتبر سلوك الأبله صادماً، متهوراً، وحتى مرعباً. لكن مهما كان الأمر، هذا التوجّه هو كل ما يعرفه الأبله، ولأن المصادقة الوحيدة على قراره تنبع من ذاته وليس من أي جهة أخرى، سوف يستمر في هذا التوجّه رغم كل ما يقوله الآخرون، فهو يتمتع بإيمان كامل بنفسه. يبدو في النهاية أن هذا الأبله ليس أبله على الإطلاق.

من مجموعة "كونت دي سنت جيرمان"

من مجموعة "ساموئيل أون وير"

هذا الأبله لا يخبئ نفسه من النور، لأنه يمثل النور أصلاً.. النور الرائع المنبعث من داخل كل طفل صغير قبل أن يرى العالم ويضطر مع مرور السنين إلى بناء أسوار وحواجز عالية حوله لكي يحمي نفسه. إن براءة الأطفال نادراً ما نجدها خارج عالم الأطفال، رغم أنها قد تمثل الدواء الشافي للكثير منا في هذه الأيام العصيبة. مع هذه البراءة تأتي الثقة الكاملة وانعدام الخوف من الآخرين وكذلك الاعتماد الكامل على الذات. هذه البراءة تسمح لك أن ترى العالم بعيون جديدة وتتعلم أشياء جديدة

في كل يوم من حياتك. تصوّر كم سيكون العالم أفضل لو تصرف الجميع بهذه الطريقة! إنه أمر محبط فعلاً أنه فقط الأطفال، والأبله، يرون ذلك النور. *"... لا تدع أحداً يتحكم بحياتك.. عش في الحاضر وكن واثقاً بقدراتك.."*، هذه هي طريقة الأبله.

هكذا نوع من الرحلات يتضمن درجة عالية من المخاطر، ولهذا السبب يُصوّر الأبله في الورقة وهو يمشي مطمئناً باتجاه حافة منحدر شاهق، أو يتقدم نحو وحش مخيف. مع كل اختبار جديد يوجد هناك خطر الفشل وحتمية التغيير، وما لا يمكن تحديده هو درجة هذا التغيير وكيف تكون هيئته ومضمونه. لكن الأبله لا يتردد في دخول المجازفات، ولماذا عليك أن تتردد؟ أنه عبر الخطوات الأولى تعلمنا كيف نمشي، وإنه عبر التغيرات الطارئة في حياتنا تعلمنا كيف نعيش بسلام وانسجام.

[1]
الساحر
The Magician

من مجموعة "رايدر_وايت"

رقم هذه الورقة هو [واحد] ويحتل المسار الذي يجري ضمن المقام [١٠] (الشكل التالي). قوة الساحر تتمثّل بالتحّول عبر استخدام إرادته. من خلال التحكم بالعناصر الأربعة الأساسية التي تتألف منها كافة الأشياء والمواد المختلفة، يستعرض لنا حقيقة أنه أنطلاقاً من تركيبة بسيطة (العناصر الأربعة) ينبعث كل شيء موجود.

من بين الرموز التي تظهر في الصورة نجد على الطاولة أمام الساحر: الصولجان (عصى خشبية) الذي ويمثّل عنصر النار، والسيف الذي يمثّل عنصر الهواء، والجرّة (أو الكأس في بعض الصور) التي تمثّل عنصر الماء، والعملة النقدية (دينار) تمثّل التراب.

هذا المسار في مخطط الشجرة يستطيع التعامل مع اللاشيء الذي ظهر منه الأبله ومن ثم يجعل منه شيئاً ذو معنى، أي يصنع واحداً من الصفر. من الواضح أن هذه القوة هي قوة إلهية بطريقة ما، وإنه صحيح حقيقة أن الساحر يمثل صلة وصل بين العالم المادي وقوة سماوية عليا تسيطر بالكامل على العالم المادي وما فيه. وبما أننا لا نرى في هذا العالم المادي سوى صلة الوصل (أي الساحر) فلا بد إذاً أن تبدو أعماله كما لو أنها سحر.

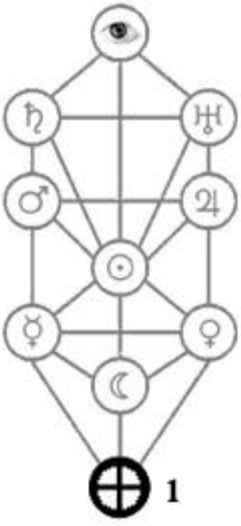

موقع الورقة التي تمثل الساحر في مخطط الشجرة. هذه الورقة أيضاً لا تمثل أي مسار من الشجرة بل فقط المقام العاشر، وهو المقام الذي يمثل الجسد المادي. لكن هذه الورقة ضرورية لكي تشرح كيف يسعى المريد إلى تحضير كيانه المادي لكي يستطيع بعدها تحمل الإجراءات التي تحصل في مسارات الشجرة.

قد تبدو كلمة ساحر لقب غير مناسب لشخص يحوز على قوة تجاوزية فعلية، لأن كلمة ساحر تستنهض في مخيلتنا صورة المخادع ولاعب الخفة الذان يستعرضان مهاراتهما على المسارح أمام الحشود وتعتمد استعراضاتهما بالكامل على خفة اليد والخداع البصري. لكن الساحر الذي أقصده هنا مختلف تماماً. فهو واثق من مهاراته وقدرته على خلق تأثيرات مختلفة حسب إرادته. قوته الحقيقية تأتي من مصادر

خارجة عن كيانه. فهو عاجز دون تلك المصادر، لكن بنفس الوقت، فإن تلك القوة تبقى عاجزة عن التأثير في غياب صلة وصل بين تلك المصادر والعالم المادي، هذه الصلة يمثلها الساحر.

بواسطة قواه التجاوزية، يكون للساحر تأثير وسيادة على كل شيء بقطبيه المتناقضين.. على النظرية والتطبيق، وعلى العقلانية والعاطفة، وعلى الفكر والفعل. معظم نماذج أوراق التاروت تظهر في ورقة الساحر رموز مختلفة للأبدية واللانهائية، وذلك تعبيراً عن القوة الغير محدودة. رموز مثل الأفعى التي تعض ذيلها، وكذلك رمز الأبدية (الرقم 8 الممدد أفقياً). هذه القوة غير المحدودة تأتي من مصادر خارج جسده لكنها تكون تحت سيطرته بالكامل. وطالما بقي الساحر متذكراً لحقيقة أن هذه القوة تخضع لسيطرته ليتحكم بها كما يشاء، فسوف لن يكون محروماً من هذه القوة أبداً حتى لو خسر كل ملكاته الفكرية ومهاراته الجسدية. السبب يعود إلى أن إرادته تعتبر الموجّه الرئيسي لهذه القوة، وطالما وجدت الإرادة فلا بد لهذه القوة أن تحضر معها.

من مجموعة "كونت دي سنت جيرمان"

من مجموعة "ساموبل أون وير"

الساحر يخلق ويصون، كما أنه يدمر ويحوّل. قوته الفعلية لا تكمن فقط في معرفته ما عليه فعله، بل معرفة كيف يفعل ولماذا يفعل.. ثم يقوم بالفعل. يذكرنا الساحر بحقيقة أن الأمنية وحدها لا تغير شيئاً، لكن القرار يمكنه تغيير كل شيء. إن الرغبة في الخلق لا تنفع شيئاً دون القدرة على الخلق، والعكس صحيح.

المظهر الخارجي الأبرز للساحر يوحي بثقة مطلقة بالذات، ثقة راسخة لا تتزحزح. لقد حاز على سيادة العناصر الأربعة، لقد أصبح العالم المادي بكامله تحت سيطرته. هذا وحده يكفي لخلق هذه الثقة القوية بالنفس.

[2]

الكاهنة العليا

The High Priestess

من مجموعة "رايدر_وايت"

هذه الورقة الممثلة للكاهنة العليا تعتبر الأكثر غموضاً وصعوبة التفسير بين باقي أوراق التاروت، لأنه لا يوجد كلمات ومصطلحات لغوية تساعد على توضيح صفاتها ومميزاتها، بالإضافة إلى أن قسم كبير من قواها وقدراتها ملفوف بحجاب الغموض مما يجعله صعباً على أحد استيعابها كلياً. يبدو واضحاً أن الكاهنة العليا تحمل كمية كبيرة من المعاني التي تتطلب التفسير، هذا لأن لها علاقة مباشرة مع الصوت الداخلي لدينا، وهو ما نسميه اللاوعي. هي في الحقيقة تمثل التجسيد الفعلي لهذا اللاوعي وكذلك التأثيرات الغامضة التي تحصل في عالمنا المادي. إن أي محاولة لمراقبة هذه التأثيرات الغامضة لرؤية كيفية عملها تساهم في تشويه غايتها، ومع أخذ هذه الفكرة الأخيرة بعين الاعتبار سوف أحاول تفسير رمزية الكاهنة العليا بأكبر قدر ممكن من الوضوح.

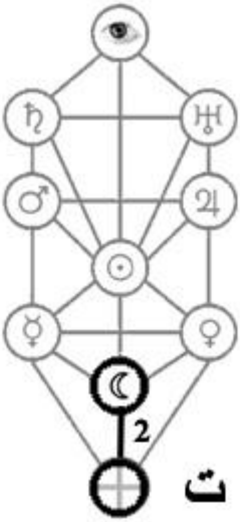

شجرة الحياة وموقع المسار الذي يمثل الكاهنة العليا

الكاهنة العليا تمثل أكثر من أي شيء آخر المخزون الذي هو مصدر القوى التي يستخدمها الساحر المذكور في الورقة السابقة. هي تمثل الكمون غير المحدود الذي يسمح له بتحويل أو خلق كل ما تطلبه إرادته وتتمناه في العالم المادي. إن فهم هذا النوع من التوازن كالموجود بين الكمون و الخلق، أو بين مبدأي الذكر و الأنثى، يمثل المفتاح الذي يؤدي إلى الكشف عن بعض الأسرار التي تمثلها الكاهنة العليا.

الرموز التي تظهر بكثرة في ورقة الكاهنة العليا هي تلك التي تمثل العقل اللاوعي. كل مجموعة مختلفة من أوراق التاروت لها رموزها الخاصة التي قد تختلف فيما بينها لكنها في النهاية تشير إلى نفس المعنى. كافة المجموعات المختلفة لأوراق التاروت تظهر رمزية "العامودين" الذين تتوسطهما الكاهنة العليا، ومعظم مجموعات التاروت تصور حجاب أو ستار معلق بين العامودين خلف الكاهنة العليا، أي أن الكاهنة تجلس بيننا وبين ذلك الحجاب كوسيط. خلف ذلك الحجاب تكمن القوى الهائلة لللاوعي، والتي لا يمكننا فهمها أو استيعابها، لكن من خلال الكاهنة العليا نستطيع

أن نتعلم كيف نتحكم بها ونسخرها. الكاهنة العليا تمثل البوابة للعوالم التي قد لا يمكننا استيعابها كلياً أو حتى السيطرة عليها بالكامل.

من مجموعة "كونت دي سنت جيرمان"

من مجموعة "ساموپل أون وير"

في الوقت الذي يكون فيه مستحيلاً على أي شخص الإلمام بكافة أسرار وألغاز الكاهنة العليا، إلا أنها تبقى تمثل المرشد بالنسبة للذين يريدون المغامرة في خفايا أعماق عقولهم بهدف اكتشاف القوى الحقيقية المخفية بعمق في كل فرد منا. هذه القوى هي ذاتها التي تحدثنا عنها خلال شرح ورقة الساحر، لكن مجال هذه القوى لدى الكاهنة العليا هو مختلف كلياً. الساحر يركز قواه خارجاً بهدف إنجاز تأثيرات في العالم الخارجي، بينما الكاهنة العليا تستعرض لنا حقيقة أننا نستطيع استخدام هذه القوى ذاتها على الجانب الداخلي، بحيث نتمكن من إغناء أنفسنا وتحويلها والارتقاء بها إلى مراتب أسمى.

ذكرت سابقاً أن الكاهنة العليا تمثل أسرار اللاوعي والصوت الداخلي الذي أحياننا تصل همساته إلى مداركنا الواعية، خصوصاً في مناسبات حاسمة بحيث يتطلب من اللاوعي التدخل فيحاول إيصال الرسائل لنا ممثلة لحلول أو علاجات شافية لمسائل مستعصية. وغالباً ما تأتي تلك الرسائل بهيئة رموز، خصوصاً في الأحلام. المهم

أنه علينا التسليم بحقيقة وجود هذا الكيان الخفي بداخلنا، والذي هو مستعد لكشف الكثير من الأسرار والألغاز التي نتوق إليها، وكل ما علينا فعله هو التعامل مع هذه الظاهرة كحقيقة ثابتة وأن نكون متقبلين ومنفتحين على هذه الرسائل الداخلية. أهم حقيقة وجب التسليم بها هي أن كل ما نريد معرفته هو موجود أصلاً بداخلنا وليس في أي مكان آخر خارج أنفسنا.

الكاهنة العيا إذاً تمثل الجانب الخفي من شخصيتنا الظاهرية، هي الظل الذي يقبع خلفنا تماماً ويرافقنا أينما ذهبنا، لكننا لا نراه ولا حتى نشعر بوجوده. لكن في النهاية، إن عجزنا عن إدراك هذا الظل لا يعني أنه غير موجود. وإذا سلمنا بحقيقة وجوده وعشنا هذه الحقيقة فعلياً في حياتنا اليومية فسوف تنفتح لنا أبواب واسعة على عالمه العجيب، وسوف تتوفر لنا كامل قواه الحاضرة دائماً لمساعدتنا. إن استبعاد وجود هذا الكيان في حياتنا يعني تعطيل قواه بالكامل فنحرم أنفسنا من عطاياه اللامحدودة.

[3]
الامبراطور
The Emperor

من مجموعة "رايدر_وايت"

يمثل الامبراطور القوة العقلية التي تشكّل العالم. هكذا عمل لا يحصل بأمر من الإرادة بل بأمر الكلمة المكتوبة أو المحكية. الامبراطور هو ممثل، وكذلك حاكم، العالم المبني والمضبوط. إنه عالم مثالي كما عالم الامبراطورة، لكنه ليس بالضرورة أن يكون جميلاً أو وافراً مثله. لكن كونه أكثر جفاف وخشونة لا يعني بأنه أقل أهمية أو أقل ضرورة لبلوغ التنور. بالعكس تماماً، حيث من الضروري أن يتم الموازنة بين العقل والجسد أو بين الذكر والأنثى.

الامبراطور يمثل القطب المعاكس للامبراطورة في جوانب متعددة. هي تمثل رمزية الأم، بينما هو يمثل رمزية الأب. هذا الأخير هو حكيم في شؤون العالم ويعرف كيف يعيش كجزء من بنية اجتماعية يتشارك فيها مع الآخرين.

الامبراطور يملك قلب قوي وحتى قاسي، كما وجب أن يكون بالنسبة لكل أب، لكنه لا يظهر هذا الجانب لديه سوى عندما يفرض قوانين وإرشادات صارمة، كما يفعل معظم الآباء. حتى أنه أكثر ميل إلى الحماية بالمقارنة مع الامبراطورة، لأنه خلق من الفوضى نظام ويرغب في أن لا يتعكّر هذا النظام أبداً. في معظم مجموعات التاروت نجد الامبراطور يرتدي عباءة ملكية فوق درع يكسو جسده، وهو يتفاخر بارتداء هذا الدرع الذي يستخدمه للدفاع عن أولئك الذين تحت حمايته.

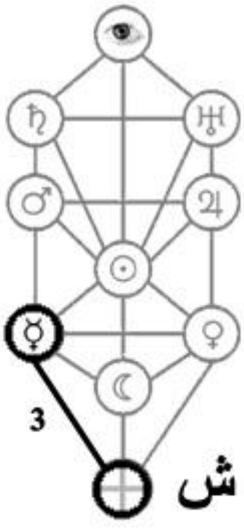

شجرة الحياة وموقع المسار الذي يمثل الامبراطور

يوحي لنا الامبراطور بأمور كثيرة، أهمها هو أن كل قانون لديه تطبيقه الخاص وسبب لوجوده أصلاً. إذا فهمنا هذه الحقيقة فسوف لن يبدو عالمه في النهاية قاسياً وجافاً. وفي الحقيقة، فإن كافة الموانع والقيود هي لصالحنا، لأنه في غياب القانون والنظام الذي توحي إليه هذه الورقة بوضوح، سوف يقع العالم في حالة فوضى كبيرة. الحكومة والقانون يستمدان قوتهما من الامبراطور، لكن ليس كما حالة العناصر الحكومية التي اعتدنا عليها في هذه الأيام، لا يمكن للسلطة أن تفسد الامبراطور. هو يحكم كالملك المثالي الذي نعرفه في القصص الخيالية، حيث يتسم بالعدل والنبل والشرف والأمانة والإخلاص. هو بحق سيّداً لعالمه، ويحكم بيد صارمة، لكنها عادلة

ونزيهة. هو يسمع لنصائح الآخرين، رغم أن القرار النهائي يعود له. الحرب هي إحدى أدواته العديدة وهو لن يتردد في استخدام العنف من أجل حماية الذين يهتم بهم.

من مجموعة "كونت دي سنت جيرمان"

من مجموعة "ساموبل أون وير"

على الجانب الآخر، الامبراطور يرمز إلى الأب كما ذكرت سابقاً، هو المثال الأعلى للذكر والذي يقدم النصائح ويصيغ التوجهات ويجلب الأمان والاطمئنان. علاوة على أي شيء آخر، فإن الامبراطور يستعرض فوائد البنى التنظيمية والمنطق العقلاني من خلال سيطرتها على العواطف والشهوات الدنيوية. غالباً ما لا نرغب في سيطرة العقل على القلب، لكن في بعض الحالات نجد هذه السيطرة ضرورية وحتى مطلوبة. عندما نواجه خيارات مصيرية فإنه مهم جداً المحافظة على تركيزنا العقلي، وهذا ما تسمح لنا به طاقة الامبراطور. هذه الطاقة تساعدك في السيطرة على نفسك عبر الانضباط، وطالما تستطيع ضبط نفسك والسيادة عليها فسوف لن تواجه صعوبة في السيطرة على العالم وما فيه.

[4]

العاشقان

The Lovers

من مجموعة "رايدر_وايت"

هذه الورقة لا تتكلم عن العشق الدنيوي أو الجنسي كما نفهمها عموماً. في الحقيقة إن لها عدة معاني، وبعض هذه المعاني يصعب شرحها بالكلام، لا يمكن استيعابها سوى من خلال خوض التجربة العملية التي ترمز إليها هذه الورقة. إن صورة العاشقان اللذان يمدان يدهما إلى بعضهما، أو يمسكان بيدهما في بعض الصور، لها رمزية قوية على الاتحاد المنسجم بين كائنين. لكنها ترمز أيضاً إلى ضرورة اتخاذ الخيار المناسب، كما تشير إلى بعض المفاهيم المثيرة حول علاقة عقلنا الواعي مع تلك القوة الغامضة التي تجذب العشيقين إلى بعضهما البعض. وجب أن تكون واضحة حقيقة أنه، كما يوجد تعريفات ومصطلحات كثيرة في ثقافتنا بخصوص عاطفة الحب والعشق، فإن لصورة العاشقان المبينة في هذه الورقة عدد كبير من المعاني.

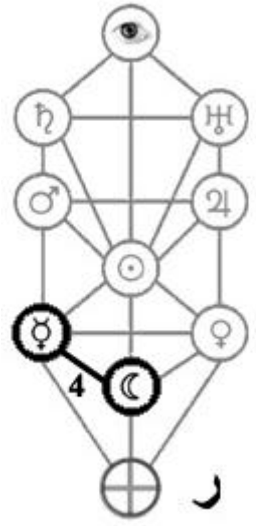

شجرة الحياة وموقع المسار الذي يمثل العاشقين

ورقة العاشقان هي فعلياً ورقة العواطف، وغالباً ما تصور الحب المبارك سماوياً. هذا يعني حقيقة أنه لا شيء سوى الخير يمكنه أن ينتج من هذا الاتحاد، لكن رغم ذلك يبقى هناك إمكانية لنهاية حزينة بالرغم من البداية الجيدة، كل ذلك يعتمد على اختيار الفرد. إن الحب والعشق لأمر رائع، لكن بصيغته الدنيوية أو إذا كان حب من طرف واحد مثلاً، فإن له القدرة على تفريق الأسرة أو تمزيق حياة الفرد إلى قطع متناثرة. إذاً، فإن ورقة العاشقان تحمل في طياتها إمكانية وجود أحد جوانب هذا النوع من الحب الدنيوي وبالتالي علينا أن نكون حذرين منه.

يمكننا ملاحظة فكرة الاختيار بين الإيجابي والسلبي في هذه الورقة من خلال النظر إلى الصيغة القديمة لرمز العاشقين، حيث نرى رجل يقرر الاختيار بين امرأتين (الصور التالية). هذا التقاطع المعنوي مبين بوضوح في الصيغة القديمة لورقة العاشقان إذ تقول لنا أن نأخذ بعين الاعتبار كامل النتائج المترتبة قبل قيامنا بالاختيار. كل هذا رغم أن الكائن الأعلى في الصورة يوجه سهمه باتجاه المرأة

المناسبة لكن الرجل في الاسفل لم ينتبه لذلك. في بعض الأحيان، وخلال مواجهة موقف محيّر كهذا، نحن بحاجة إلى إرشاد سماوي يساعدنا في الاختيار بشكل سليم.

من مجموعة "كونت دي سنت جيرمان"

من مجموعة "ساموِيل أون وير"

من بين المعاني التي تظهرها الورقة هي تلك التي نجدها في الصيغة الحديثة (كالصورة التي في بداية هذا الموضوع) حيث يوجد رجل ومرأة واحدة. يبدو الرجل في الصورة وهو ينظر إلى المرأة والتي هي بدورها تنظر إلى الكائن السماوي في الأعلى. الرجل لا يستطيع رؤية الكائن السماوي في الأعلى وبالتالي عليه أن يثق بالمرأة التي تراه بوضوح. هذا يشير إلى أن العقل الواعي (الرجل) لا يستطيع التواصل مباشرة مع القوى العليا (الكائن السماوي)، بالتالي على اللاوعي (المرأة) أن يمثل الجسر بين المستوى المادي والروحي. هذه الرمزية تبين أيضاً القوة الفعلية للحب، إذ عبر الحب نستطيع أن نسترق لمحة عن العالم السماوي.

تبين ورقة العاشقان أيضاً ضرورة تكامل وحتى اندماج القسمين الذين غالباً ما يكونان متنافرين من كيانك: الذكر والأنثى، الوعي واللاوعي. وعبر هذا الاندماج سوف تتكشف لك حكمة سماوية عظيمة. أنظر إلى داخلك، الجأ إلى اللاوعي بحثاً عن الإلهام. عبر هذا التواصل سوف تتمكن من حيازة الحكمة التي تحتاجها لتختار

بشكل سليم. ثق بنصيحة الصوت الداخلي لديك، ومجرد أن اتخذت القرار الذي أملأه عليك فلا تتراجع عنه مهما كانت المعارضة التي واجهتها في الخارج.

[5]

الامبراطورة

The Empress

من مجموعة "رايدر_وايت"

منها تأتي كافة المتع الحسية ووفرة الحياة بكل أشكالها وهيئاتها المختلفة. كما أنها تمثل أيضاً رمزية الأم، ومن خلالها نقتبس أوّل لمحة عن قوة الحب في مجموعة أوراق التاروت.

عالم الامبراطورة يمثل مكان مثالي وجميل وكامل، طبيعي تماماً، غير مدخل إليه أي ألوان أو أضواء أو أصوات اصطناعية. هذا هو مكان الخصوبة والجود والعطاء. هو مثال حيّ على عملية الخلق والولادة اللذان ترمز إليهما الامبراطورة. هي لا تقطن في هذا المكان فحسب بل تمثّل هذا المكان أصلاً. الامبراطورة ليست أقل جمالاً من الزهور التي تنعث أريجها عبر الحقول، هي ليست أقل خصوبة من التربة القابعة تحت عرشها. هي ترمز لفكرة الطبيعة الأم بكل ما تعنيه الكلمة.

قوتها الرئيسية هي قوة الخلق. لكن خلقها لا يستند على خلق العالم الذي تتمنى العيش فيه أو الشخص الذي ترغب أن تكونه، لأنها تملك ذلك العالم أصلاً وهي تمثل ذلك الشخص أساساً. هي تخلق الحياة بكل أشكالها المتعددة. الامبراطورة تمثل رمزية الأم، الخالقة الأكبر ومانحة الحياة، وهذه الخاصية تمتد أكثر لتطال الخصوبة والوفرة. هي تجد متعة في كل شيء، خصوصاً مخلوقاتها، وكل شيء في الطبيعة هي أصلاً مخلوقاتها.

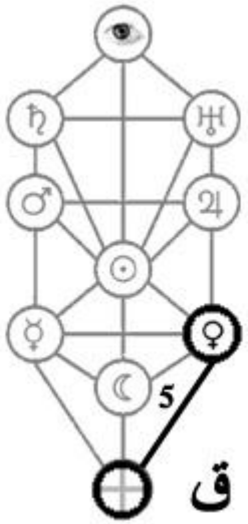

شجرة الحياة وموقع المسار الذي يمثل الامبراطورة

الأمومة لها علاقة صميمية بمسألة الحب غير المشروط، وهذه الأخيرة تمثلها الامبراطورة أيضاً. هي لا تطلب شيء، لا تضع شروط، بل فقط تحب كل شيء بالتساوي وبكل ما لديها من قوة. من هنا يأتي ضعفها الوحيد، وهذا ما تعاني منه معظم الأمهات. تكون أحياناً حمايتها لمخلوقاتها زائدة عن الحد، وتتمنى أن لا تصاب أي منها بأذى من أي نوع، لأن هذا يعكّر النعيم الأبدي والسعادة الأزلية في عالمها. هذه الحماية الزائدة عن الحد قد تجعل حب الامبراطورة يشعرك بالاطمئنان والسلام كما لو أنك طفل صغير في أحضان أمك، لكن يمكن أيضاً لهذه الحالة أن تتحول إلى سجن مضجر إذا استمرت لفترة طويلة من الوقت.

من مجموعة "كونت دي سنت جيرمان"

من مجموعة "ساموبل أون وير"

الامبراطورة هي قائد نافذ، والقوة التي تحوزها على مخلوقاتها هي حازمة وراسخة، لكنها قوة محبة ولطيفة. أعرف هذه الحقيقة وقم بالقيادة على طريقة الامبراطورة.

[6]

المقدرة

Strength

من مجموعة "رايدر_وايت"

إن عنوان هذه الورقة مظلل لأن معظم الناس يميلون إلى التفكير بموضوع المقدرة على أنه من خصائص الجسد المادي. لكن هذه الورقة بعيدة كل البعد عن العنف، لأنه في الحقيقة لا يوجد أي ورقة من أوراق التاروت تتناول الجسد المادي إطلاقاً. جميع الأوراق تتعلق بالأفكار والمشاعر والمعتقدات. لكن المقدرة لا تقاس دائماً بمعنى قدرة الفرد مثلاً على حمل ثقل معيّن أو الجري لمسافة معينة. المقدرة الحقيقية تأتي من تحمّل الشخصية وثباتها، وكذلك استطاعة الفرد ليس على التحكم بعواطفه فحسب بل الارتقاء فوقها، والانتصار على كافة الدوافع والرغبات الدنيوية الخارجية.

تعلمنا هذه الورقة حقيقة أنه مجرّد أن تعلمنا كيف نتحكم بعواطفنا، علينا بعدها الارتقاء فوقها. قد يخطئ الكثيرون في إنساب التسامح والشفقة والاحتضان إلى هذه

الورقة لكن هذا ما لا تظهره ورقة المقدرة إطلاقاً. السمات الوحيدة التي يمكن أن ترتبط بالمقدرة هي الشجاعة والصبر. وليس من هذه الصفات الأخيرة تعتبر عواطف، بل هي تمثل وسائل الفعل التي لا ترتبط بالمشاعر. الشجاعة هي نقيض الخوف، الصبر معناه السيطرة على الرغبات الدنيوية. لا يوجد أي عاطفة هنا، بل فقط الإصرار والفعل.

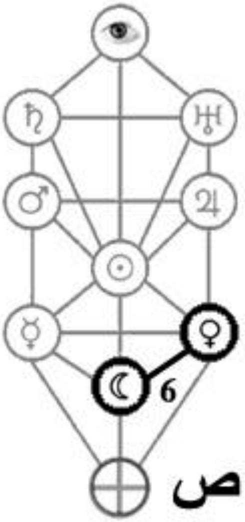

شجرة الحياة وموقع المسار الذي يمثل المقدرة

رمزية الأسد هي متآلفة مع سمة المقدرة. الأسد يمثل الوحش في داخلنا، الرغبة الجامحة داخل كل فرد منا والتي من الواجب السيطرة عليها وإلا سوف تنطلق لتتجسد في العالم خارجاً. أما صورة الفتاة التي تفتح فم الأسد فتكشف عن الشجاعة والصبر. وجب أن لا تخاف من الأسد، وعليها انتظاره حتى يتعب ويخور قبل فرض إرادتها عليه. هذه الصورة لا توحي إلى الشفقة بأي معنى من المعاني. كما أنه لا يمكن رؤية التسامح أو الاحتضان في أي مكان في الصورة. يوجد فقط نقاء الفتاة وقوة الوحش في داخلها والذي تحاول ترويضه والسيطرة عليه.

الفتاة بحاجة فقط إلى الصبر لكي تتمكن من التغلب على الأسد، لأن قوتها ليست قوة جسدية عنيفة كما ذكرت سابقاً. القوة التي تحوزها الفتاة هي ضعيفة، لكن يمكن تطبيقها بشكل مستمر ودائم، وسوف تستمر في تطبيق هذه القوة الواهنة لكنها دائمة حتى يخضع الأسد أخيراً لإرادتها العليا.

من مجموعة "كونت دي سنت جيرمان"

من مجموعة "ساموبل أون وير"

ورقة <u>المقدرة</u> إذاً لا تمثل المحبة والرأفة بل تستعرض قوة لا تقهر. هكذا قوة تنبعث من الروح، وعندما يدرك الوعي هذه القوة ويستخدمها فسوف لن يواجه أي مقاومة ولا يرى الهزيمة أبداً.

إن سمات <u>المقدرة</u> كامنة عميقاً في داخلك، تنتظر حتى تبرز بعد أن سيطرت على عواطفك الدنيوية وتصبح حاضراً للتقدم إلى الأمام وتختبر المهمات الروحية الأخرى التي في انتظارك. الدرس الرئيسي لهذه الورقة هو وجوب تجاوز العواطف قبل أن تستيقض الحكمة والحدس الروحي. غالباً ما تغرق الهمسات القادمة من الحدس الروحي بفعل الزئير المستمر للعواطف والخوف والانهماك بالشؤون الدنيوية عموماً. فقط عندما تقضي على هذه الموانع السابقة كلياً يمكن بعدها خلق السكون الذي

تحتاجه. لذلك سيطر على مخاوفك وتحكم بدوافعك ولا تفقد الصبر مع نفسك أو مع ما تقوم به. في النهاية سوف تكتشف الحكمة وراء التخلي عن الأنا الدنيوية لديك.

ورقة المقدرة لا تتحدث عن محبة أو كره، كما يفسرها الكثيرون. إنها بكل بساطة تصور تأثير العقل على المادة، أو تأثير الإرادة العليا على الرغبات الدنيوية. مهما بدا الوحش بداخلك قوياً، لديك القدرة على التحكم به وإخضاعه لإرادتك. لا يمكن تحقيق هذا بواسطة القوة الجسدية أو التسرّع غير المتزن. إنها عملية بطيئة وصعبة، لكنها مثمرة في النهاية. إذا كنت تدفع بقوة، تبين لنا ورقة المقدرة عن الحاجة إلى الانسحاب للحظة وأن تكون صبوراً. التنور سيأتي فقط في الوقت المناسب، لا يمكن التعجيل بالعملية.

[7]
العربة
The Chariot

من مجموعة "رايدر_وايت"

هذه الورقة توحي بوضوح إلى القوة والسيطرة. هي تلك القوة التي تحكم كيانين متناقضين وتعمل على الموازنة فيما بينهما وهما المنطق والعقلانية وكذلك العاطفة والرغبة (أنظر في المسار الذي تحكمه في الشجرة). هذه الورقة تحكم المسار الواصل بين المقام [٧] والمقام [٨] في شجرة الحياة. هذان المقامان يمثلان بكل تأكيد صفات متناقضة تماماً، حيث المقام السابع يقمع كل ما له علاقة بالمنطق والعقلانية والتشدد ليطلق العنان للرغبة والبهجة والفن، بينما المقام الثامن يقمع هذه السمات السابقة ليكرّس المنطق والعقلانية والعزل والتجريد والتشدد. المقام السابع يجمع الأشياء بطريقة فنية جميلة وبتناسق متناغم، بينما المقام الثامن يفرّق تلك الأشياء ويعيد ترتيبها وفق نظام منطقي وجرد حسابي صارم. هذا جانب واحد فقط من المسألة التي تثيرها تلك العلاقة الشائكة بين المقامين: العاطفة والبهجة والانفتاح

في مواجهة المنطق والعقلانية والتشدد. هذا ما يمثله الكائنين الذين يجران العربة في الورقة. والرجل الذي يقود العربة يعلم هذا التناقض الكبير بين الكائنين وعليه الموازنة بينهما دائماً وفرض توجههما إلى الأمام حتى تتمكن العربة من السير قدماً. لو تركهما السائق لحريتهما لكان كل واحد منهما توجه كما يحلو له فتعجز حينها العربة عن السير. رغم تقييدهما إلا أن الكائنين لا زالا يحوزان على بعض القوة ولكن هذه القوة قد تم إخضاعها وتوجيهها وتنظيمها من قبل السائق.

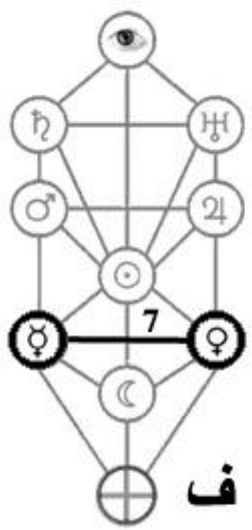

شجرة الحياة وموقع المسار الذي يمثل العربة

الأمر الأهم الذي تكشف عنه هذه الورقة هو أننا لا نستطيع ترك عواطفنا تفلت دون عقال إذ لا بد من السيطرة عليها وردعها دائماً، وبنفس الوقت لا نستطيع ترك القسم المنطقي المتشدد يعمل بحرية إذ سوف ينغلق على نفسه فينشأ التعصب والحقد. ورقة العربة تمثل نوع الانضباط الضروري الذي وجب فرضه لكي نستطيع السيطرة على عواطفنا وعقلانيتنا معاً والموازنة فيما بينهما. لهذا السبب نرى أن السائق في الصورة يرتدي لباساً عسكرياً إذ يشير إلى مدى صرامة الانضباط الذي وجب فرضه.

فقط عبر السيادة على نفسك أولاً يمكن أن تأمل بتحقيق السيادة على الآخرين وعلى البيئة المحيطة. إن الحكمة والمجد اللذان يُكتسبان من خلال الانتصار على الأعداء لا يقارنان مع الاعتداد بالنفس التي تكسبها من خلال الانتصار على الخوف والأحكام المسبقة وغيرها من حالات نفسية وعقلية يولدها المقامان الثامن والسابع. الأعداء الداخليين القابعين في نفسك هم أكثر شراسة من الأعداء الخارجيين مما يصعب الانتصار عليهم بسهولة.

من مجموعة "كونت دي سنت جيرمان"

من مجموعة "ساමويل أون وير"

عليك أن تكون كما سائق العربة، الذي يسيطر بشكل كامل على عواطفه وأفكاره، مما يجعله متحكماً بكيانه ومسار حياته بالكامل. ومجرّد أن توصلت إلى هذه المرحلة من التقدم يصبح كل شيء ممكناً لك. في الوقت الذي استطعت فيه تحويل مخاوفك وكذلك حولت قيودك المانعة فسوف يعجز أي شيء عن إعاقة تقدمك نحو النجاح الذي تستحقه.

[8]

الكاهن الأعلى

The Hierophant

من مجموعة "رايدر_وايت"

يرمز الكاهن الأعلى إلى العالم الروحي. هذه الورقة تمثّل المعتقدات الدينية وغير الدينية، رغم أنها تميل أكثر إلى الجانب الديني والروحي لأن الكاهن الأعلى بذاته يمثّل رجل مقدس. في بعض مجموعات التاروت، هذه الورقة تصوّر البابا أو غيره ممن يحتلون منصب أعلى مشابه، لكن في الحقيقة هذه الورقة تقصد شخص من نوعية أخرى. يُقصد من هذه الشخصية إنسان يحوز على معرفة سرية أو تعاليم باطنية محظورة على الناس. صحيح أن هذه الصفة قد تنطبق على رجال الدين الذين نألفهم في عالمنا لكنها في الحقيقة تحمل معاني تمتد عبر مجال أوسع بكثير مما نفهمه عموماً عن الدين.

يمكن للكاهن الأعلى أن يرمز لمجموعة أكثر من شخص واحد بعينه. وفي حالات كثيرة نجده مناسباً أن يمثل مؤسسة بكاملها بدلاً من شخص واحد. هذا لأن القوة التي يمثلها الكاهن الأعلى هي قوة الجماعة أو المجتمع، الذين لهم نظرتهم الخاصة للعالم، وهذه النظرة تتوافق مع معتقدهم الخاص. لكن رغم ذلك كله يبقى هناك قائد واحد لهذه الجماعة أو المجموعة، لكن الناس لا تتبعه لأنه طُلب منهم ذلك بل لأنهم يشكلون جزءاً من مجموعة. المبدأ الرئيسي للكاهن الأعلى يقول أنه لا يوجد [أنا] بل فقط [نحن] أي بالجمع، وأن خير الأكثرية يفوق خير الفرد.

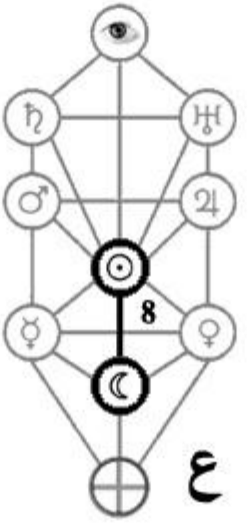

شجرة الحياة وموقع المسار الذي يمثل الكاهن الأعلى

هكذا فلسفة قد تبدو مقيّدة بشكل غير ضروري، لكن يبدو أن القيود تقود إلى النظام وهذا أمر مفيد. الكاهن الأعلى مسؤول أولاً وأخيراً عن صيانة وانتشار الأعراف والنواميس والمناهج والتقاليد والمعتقدات التقليدية، وكل من يقاوم هذه المعتقدات التقليدية سوف يُستبعد ويُعزل.

إذاً، الاتزان والامتثال هما من أهداف الكاهن الأعلى، إذ لا يهم مدى السلبية أو الإيجابية بل فقط المنهج هو الأهم. صحيح أن هذا الأمر قد يكون له، في الحالات القسوى، تأثيرات سلبية جداً (كما حصل مع غاليليو مثلاً خلال مواجهة الكنيسة)، لكن في معظم الحالات فإن اتباع تقاليد وأعراف محددة يعتبر مفيداً.

أما على المستوى الفردي، يمكن اعتبار الكاهن الأعلى بأنه معلم أو ناصح. الدور الأبرز للقائد الروحي هو إنساب الآخرين إلى مجموعته وتعليمهم منهج تلك المجموعة. رغم أن طريقة تعليمه هي تلك التي تتمحور حول الإمتثال ويمنع الآراء الفردية، لكن مع ذلك يمكن لهذه السمة أن تكون مفيدة أيضاً، خصوصاً بعد التسليم بأن هذا المعلم هو العارف الحكيم مما يجعل أي آراء مضادة لتعاليمه جاهلة وغير مناسبة.

من مجموعة "كونت دي سنت جيرمان"

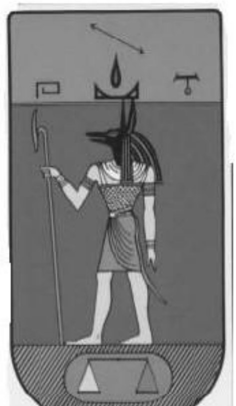

من مجموعة "ساموئيل أون وير"

رغم كل ما سبق من معلومات بخصوص الكاهن الأعلى إلا أنني واثق بأن الصورة لم تتوضح بعد. يمكن توضيح هوية الكاهن الأعلى من خلال ما يلي: إذا كنت تعاني من حالة تتطلب المزيد من الخبرة والمعرفة، كل ما عليك فعله هو طلب المعلم الذي سيرشدك إلى الحلول المناسبة. لكن لا تقع في خطأ كبير يتمثل في طلبه وفق

الطرق المألوفة، بل افعل ذلك وفق المبدأ الهرمزي الذي يقول: ".. عندما يكون التلميذ حاضراً فسوف يظهر المعلم.."، هذا هو المعلم الذي يرمز له الكاهن الأعلى.

[9]
الناسك
The Hermit

من مجموعة "رايدر_وايت"

عندما تنشأ في ذهنك أسئلة حول طبيعة الوجود والغاية من الحياة وغيرها، لا يمكن إيجاد الأجوبة الشافية في مستوى العالم المادي. لا يمكن إيجادها سوى في داخلك. لقد ارتقيت الآن فوق رغباتك وعواطفك لأنها لا تستطيع الآن مساعدتك بشيء في رحلتك. عليك أن تكون الآن كما الناسك الذي يسعى إلى الإجابات الشافية وحيداً. لم يبقى لديه الآن سوى همسات الصوت الداخلي وكذلك النور المنبعث من الفانوس الذي بيده. هما الذان يرشدانه فقط (الفانوس يرمز إلى التعاليم السرية). لكن في النهاية سوف يستغني عن الفانوس، لأنه أداة اصطناعية ولن يساعده إلى الأبد. وجب أن يشعّ من داخل الناسك نوره الخاص، فيغنيه عن مصادر نور الآخرين.

من أجل أن تبرز الحكمة الحقيقية، وجب أن لا يكون هناك أشياء ملهية. أي انشغال بالعالم المادي مهما بدا بسيطاً أو تافهاً، سوف يُسمع كما لو انه صراخ وضجيج ويعمل على إغراق همسات الصوت الداخلي. إنه ليس كافياً تخليص نفسك من الاضطراب الداخلي، رغم أنه يمثل إنجاز مهم في الاتجاه الصحيح. الخطوة التالية تتمثل بالقضاء كلياً على الاضطراب الخارجي، وذلك عبر الاختلاء والانعزال كلياً من العالم. هذا هو درب الناسك الذي ينعزل في الظلام لكي يتلقى النور الذي سيأتيه عندما يصبح حاضراً.

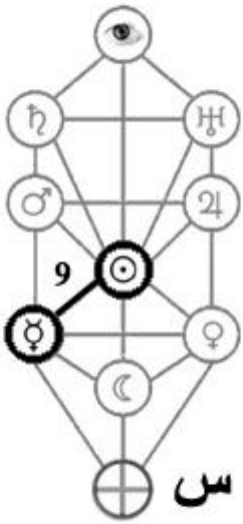

شجرة الحياة وموقع المسار الذي يمثل الناسك

مجرّد أن تعلم الدروس ورأى حكمته الحقيقية، غالباً ما يقوم الناسك بحمل فانوسه والعودة إلى العالم بهدف مساعدة الآخرين على استكشاف إمكانياتهم أيضاً. لكن الناسك ليس معلماً وبالتالي سوف لن يحاضر بتلاميذه ويروي لهم عن اختباراته الخاصة خلال عزلته واختلاءه. عليهم أن يختبرو كل تلك التجارب بأنفسهم، حيث الحكمة التي نحوزها من مجرّد الاستماع لشخص آخر هي ليست حكمة حقيقية. الحكمة الحقيقية والتنوّر الحقيقي يأتيان دائماً من الداخل. قد يشرح المعلم للتلميذ

كيف حصل على الحكمة، لكن على التلميذ أن يذهب ويجدها بنفسه. الحكمة ليست هدية تقدم إليك على طبق من فضة. الحكمة هي هدية تمنحها أنت إلى نفسك.

لا يمكن تعجيل دروس الحياة، ولا يمكن فرضها غصباً، ولا جعلها تحصل قبل أوانها. هذه الحقيقة تعتبر إحدى الدروس التي وجب على الجميع تعلمها. لكن قراءتها ببساطة من على صفحة أو سماعها من الآخرين لن تمنحك ختبار الدرس فعلياً. لا يمكننا أن نأمل الفهم والاستيعاب سوى عبر الفعل أو عدم الفعل.. وليس عبر القراءة والاستماع إلى تجارب الآخرين. المعرفة تصبح حكمة فقط عندما نستحقها، وذلك عبر التضحية بمحيطنا المألوف والأشخاص الأعزاء علينا. إذا فكرت بالأمر منطقياً، كل ما تتركه خلفك عندما تلتحق بنداء الناسك سوف تجده كما هو بعدما تعود من عزلتك. الشيء الوحيد الذي سوف يتغير هو أنت.

من مجموعة "كونت دي سنت جيرمان"

من مجموعة "ساموبل أون وير"

إذا كنت في شك من أمرك، أعلم أن كل الحكمة التي تحتاجها هي موجودة بداخلك، تنتظر للبروز والتجلّي. لا يمكن لهذا النور الجليل أن يشعّ خارجاً من مكمنه إلا إذا تم السعي إليه. لكن عندما يشع هذا النور سوف تكتشف بأنك كنت تحوز على الأجوبة منذ البداية.

[10]
دولاب الحظ
Wheel of Fortune

من مجموعة "رايدر_وايت"

دولاب الحظ يمثل طاقة غامضة تتجاوز مستوى استيعابنا وسيطرتنا. أنت تختبر تأثيراته بكل وضوح في حياتك اليومية، لكنه كما الجاذبية حيث يمكنك ملاحظة تأثيرها لكنك لا تستطيع رؤيتها مباشرة. نحن نرى التفاحة وهي تسقط من الشجرة لكننا لا نرى الجاذبية التي تدفعها إلى ذلك. هكذا هو عمل القدر الذي يسيّر حياتنا إذ لا يمكننا رؤيته مباشرة بل نرى آثاره ونتائجه بوضوح. بخلاف معظم أوراق التاروت الأخرى، فإن دولاب الحظ مبيّن في الصورة وهو يحلق بين الغيوم، وهذا يدل على أنك لا تستطيع استيعابه مهما حاولت جاهداً أن تطاله.

الدولاب هو رمز لائق لقوى القدر والمصير، لأنه يستعرض كيف يسير كل شيء في الطبيعة وفق دائرة. كل شيء يحصل وفق دورات، نحن نرتقي ثم نهبط كما حالة

النقطة الموجودة على محيط الدولاب الدوار حيث تعلو مع الدولاب إلى القمة ثم تهبط معه إلى الأسفل بشكل دائم ومستمر. التغييرات التي تصيبك تعتمد طبيعتها على موقعك في الدولاب الدوار.

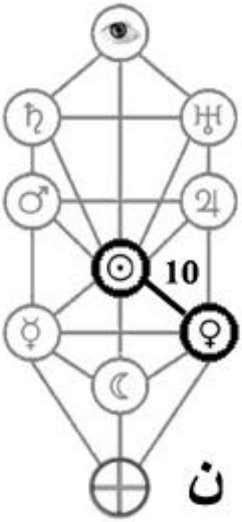

شجرة الحياة وموقع المسار الذي يمثل دولاب الحظ

يبدو بالنسبة للشخص العادي أن القدر يضرب ضربته دون أي إنذار مسبق. لكن بالنسبة للمطلعين، يمكن رؤية التأثيرات قادمة لأنهم يعلمون كيف ينظرون ومتى ينظرون إلى المسألة، فيحضرون أنفسهم لتلقي تلك التأثيرات (سلبية أم إيجابية). عبر الاستقراء الحذر والدقيق، سوف تكتشف بأن تأثيرات القدر هي أقل غموضاً، وفي يوم من الأيام لا بد أن يتمكن الجميع من استيعاب الفكرة.

هذه التركيبة الدوارة للقدر ربما تمثل الطريقة الوحيدة لفهم كيف يتجلى. بعد استيعاب الموضوع جيداً يصبح بإمكانك تحديد نهاية الحالة أو المسألة من خلال النظر إلى بداية حصولها. والأهم من ذلك، مجرّد أن فهمت حقيقة أن كل بداية تؤدي إلى نهاية ما، وأن كل نهاية هي نتيجة لبداية ما، وكذلك تمثل بذرة مزروعة لبداية جديدة، حينها تكون قد استوعبت الفكرة الجوهرية لدولاب الحظ. ومجرّد أن فهمت هذه الفكرة

جيداً سوف يفتح الكون أبوابه لك، لأنك أصبحت حاضراً لتنهل من حكمته بالكامل. لقد أنجزت هذه العقبة بنجاح ولازال أمامك دروس عظيمة لتتعلمها.

من مجموعة "كونت دي سنت جيرمان"

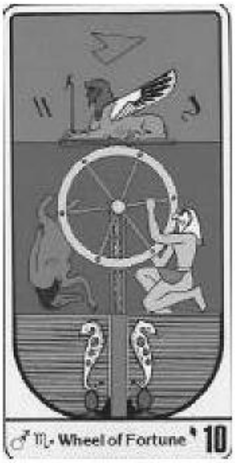

من مجموعة "ساموئيل أون وير"

مهما كان الاتجاه الذي يدفعك إليه دولاب القدر، يستحيل أن تقاوم مساره أو تغيره، لذلك عليك التعلم كيف تجاريه وتتعايش معه. إذا بدت أزمة حتمية مقبلة، تذكر بأنه مع كل أزمة تأتي الفرصة الإيجابية. عندما يتم دفعك إلى اتجاه جديد، أعلم بأن كل مسار يؤدي إلى مكان ما، حتى لو لم تعلم أين يوجد هذا المكان. عندما تسوء الأوقات، أو عندما تكون أوقات جيدة، تذكر دائماً أنها لن تدوم إلى الأبد. هكذا أحداث هي خارج سيطرتك، وإذا استطعت تقبّل هذه الحقيقة فسوف تكون رحلتك في الحياة أكثر سهولة وهناء. لكن إذا قاومت مسيرة الدولاب فسوف يسحقك. لذلك سر معه وسلّم شؤونك للقدر.

[11]
العدالة
Justice

من مجموعة "رايدر_وايت"

بما أن مجموعة التاروت ليس لها علاقة بالحياة المادية فهذا يعني بأن العدالة التي تظهرها هذه الورقة ليس لها أي علاقة بالقوانين المصنوعة بشرياً. صحيح أن بعض الأحيان نجد أن القوانين البشرية تشبه تلك التي تمثلها هذه الورقة لكن العدالة التي تتكلم عنها تتعلق بالقوانين الثابتة للكون، هي المبادئ الخفية التي تحافظ على حسن جريان الأمور وعبر تسلسلات سببية أبدية ولانهائية. هذه القوانين الكونية لا يمكن خرقها أو تحريفها، بل فقط يمكن فرضها وتطبيقها. وسيف العدالة، ذو الحدين دائماً، هو حاضر دائماً لتنفيذ العقوبة على المخطئين، وبنفس الوقت يكافئ الذين قاموا بفعل الخير.

أهم القانونين الذين تحكمهما العدالة في هذه الورقة هي في الحقيقة جانبين لعملة واحدة. أولهما هو قانون السببية الذي يقول بأن كافة الأشياء موصولة ببعضها وأن كل حالة راهنة هي نتيجة لحالات سابقة. هذه قد تعتبر فكرة غريبة بالنسبة للكثيرين حيث أحياناً نجد الأفعال التي تبدو تافهة ظاهرياً يكون لها نتائج عظيمة. تظهر ورقة العدالة حقيقة أن كل فعل تقوم به سوف يكون له في النهاية تأثير، ولن يكون لك أي فكرة عن الأحداث التي سوف ينتجها ذلك الفعل حتى يحصل فعلاً. غالباً ما يظهر في الصورة شخص جالس أمام ستار ممدود بين عمودين، هذا الستار يخفي خلفه آليات عمل الكون التي تخلق نتائج المسببات.

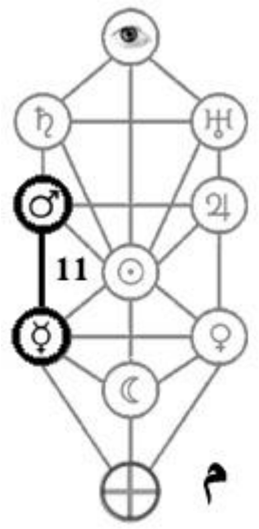

شجرة الحياة وموقع المسار الذي يمثل العدالة

من قانون السببية يبرز قانون آخر وهو قانون الكارما الذي يستعرض حقيقة أن كافة أفعالك سوف تعود إليك بطريقة أو بأخرى في نهاية الأمر. يمكنها أن تتعدل قليلاً أو يمكنها أن تقوى مع الوقت، لكن الدرس يبقى ذاته في النهاية. كما تزرع فسوف تحصد. هذا القانون هو تطوير بسيط لقانون السببية. وفق هذا القانون الجديد، لا يتوقف الأمر عند وجود تأثير لكل فعل، بل كل ما تفعله له تأثير معكوس عليك. من هنا وجب عليك الحذر في كل ما تفعله، لأن كل ما تفعله سوف يعود إليك في

النهاية. أمام العدالة الكونية، وجب عليك أن تدفع ثمن أخطاءك وتُكافئ على حسناتك. يبدو أن الحياة عادلة إذا نظرنا إليها من هذا المنظور.

من مجموعة "كونت دي سنت جيرمان"

من مجموعة "ساموبل أون وير"

بالفعل، فإن العدالة الكونية تعلمنا أكثر الدروس عدالة ولكنها بنفس الوقت أكثرها قساوة، لأن نصل سيفها له حدين. أنت لا تحصل على ما تتوقعه أو ما تريده، بل تحصل على ما تستحقه. إذا كنت تستحق أمور جيدة فسوف تُمنح لك، دون احتفالات أو تهنئة. بينما إذا كنت تستحق العقاب فسوف تتلقاه، دون شفقة أو سخرية. أنت ببساطة تتلقى ما صنعته بنفسك. إذا أردت أن يأتيك أمور خيرة فعليك أن تصنع دائماً خيارات تقود إلى هذه الأمور الخيرة. يمكنك أن تكون قديساً أو شيطان، الخيار يعود لك.

القاضي النموذجي الذي نراه في ورقة العدالة هو ليس كالقضاة الذين نراهم في المحاكم الرسمية، بل هو رمز العدالة والسلطة. كن صالحاً ومتعقلاً في كافة أحكامك، ولا تنحاز إلى أي جانب على حساب آخر، ولا تظهر الرحمة لكن بنفس الوقت لا تظهر القسوة الزائدة. قبل أن تحكم على الآخرين عليك أن تحضر نفسك للحكم على نفسك أولاً بحيث تتأكد بأنك لست مذنباً بنفس الخطايا التي تدينهم بها.

[12]

الموت

Death

من مجموعة "رايدر_وايت"

إن صورة الموت وهو قادم مقتحماً الساحة راكباً حصانه الشبحي سوف تثير الرعب في قلب كل إنسان. رغم أن لموضوع الموت نفس التأثير على معظم الناس إلا أنه وجب أن لا يكون الأمر كذلك. الناس طبيعياً يخافون المجهول، لهذا السبب نرى أن الموت يعتبر أعظم مخاوفنا لأنه يمثل أعظم المجهول. معظمنا يجهل حقيقة أن عقولنا وأرواحنا تموت دائماً وبشكل متكرر، متخلية عن معتقدات وقناعات ونماذج تفكير قديمة لتكسب بدلاً عنها أخرى جديدة. لطالما قالها الحكماء الذين يحترفون جيداً التاروت، أن ورقة الموت لا تعني الموت بعينه، بل هي ترمز إلى التحوّل.

ورقة الموت في مجموعة التاروت هي في الحقيقة ليس أكثر من عملية انتقال أو ارتقاء من مرحلة إلى أخرى في الحياة. مهما كان اعتقادك بخصوص انتقال الروح،

إن كان إلى الجنة أو العودة لتتجسّد مرة أخرى، تبقى الحقيقة الثابتة التي تقول بأن الروح تحيا أبداً. الشمعة تنطفئ لكن لأن النهار جاء. لا شيء يدمر ويفنى، لأن لا شيء يمكنه أن يتدمر أو يفنى، لا يمكن أن يحصل سوى التحوّل من حالة إلى حالة.

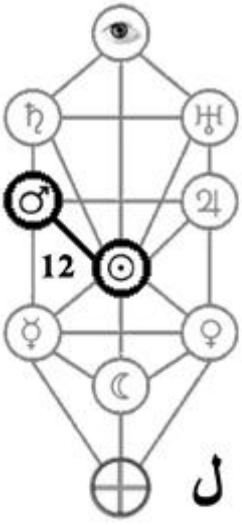

شجرة الحياة وموقع المسار الذي يمثل الموت

السبب الوحيد الذي يجعل التحوّل، الذي يُرمز له بالموت، يبدو أمراً كارثياً هو لأنه موضوع منفور ويتم محاربته من قبل أولئك الذين يخافون من التسليم بحقيقة أن التغيير هو أمر مفيد. كل تغيير يحصل لسبب ما، والموت يمثل قوة عادلة بشكل مطلق. الموت لا يفرق بين مجموعة وأخرى. الكل سواسية في عين الموت. لذلك إذا حصلت تغييرات كبيرة في حياتك فسوف يبدو ظاهرياً بأنك أنت السبب وراءها، مع أنه باطنياً يوجد قوة أخرى خفية وراءها لكنك لا تدركها أو تستوعبها. ليس هناك أي جدوى من مقاومة الموت، لأن هذا يجعل الأمر أسوأ. أنصحك أن تتصرف كما يفعل الرجل المعلّق، اقبل بفكرة أن التغيير يحصل ودعه يفعل ما عليه فعله.

كافة نماذج أوراق الموت تقريباً تبين رموز القيام من الموت أو الولادة من جديد. قد نرى رموز مثل شروق الشمس أو بيضة أو نبتة صغيرة تتبرعم على جسد ميت. كل هذه الرموز تظهر حقيقة أنه لكي نتقدم في الحياة وجب على هيئتنا القديمة أن تموت، كما تخلع الأفعة جلدها القديم لتكشف عن جلد لامع جديد. هذه هي رسالة ورقة الموت: وجب التغلب على الموت من خلال تجديد الروح، والذي يستوعب هذه الحقيقة سوف يعيش إلى الأبد.

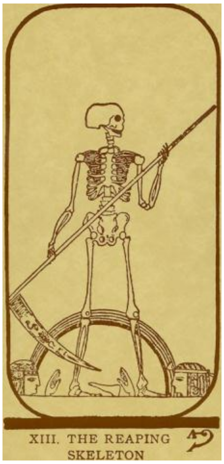

من مجموعة "كونت دي سنت جيرمان"

من مجموعة "ساموبل أون وير"

في الوقت الذي نجد فيه ورقة الرجل المعلق تتحدث عن التضحية الطوعية فإن ورقة الموت تتحدث عن التضحية الإجبارية، لكن هذا لا يعني بأن العملية ليست لصالحك. الموت ليس دمار وتلاشي كما نعتقد، بل دمار يعقبه مباشرة إعادة تجدد. حتى لو سكر أحد الأبواب أمامك فسوف تجد أن باب آخر فتح بدله. هل لديك الجرأة على الدخول عبره؟ إذا كان لديك الجرأة وهممت بالدخول، قبل أن تدخل تريث للحظة وانظر إلى الخلف. هل يوجد شيء تحمله معك ولم يعد له أي ضرورة؟ تخلى عنه فوراً قبل أن تتقدم إلى الأمام. هل عقليتك القديمة هي التي تثقل كاهلك وتبطئ من تقدمك؟ هل توقعاتك وتأملاتك المبالغ بها سبباً لخيبات أملك؟ أرميها جانباً، أو دع طاقة الموت تجليها بعيداً عنك. افتح نفسك ودع هذه الطاقة تجلي عنك كل ما

لم تعد تحتاجه، مثل الخوف والانتقام وعدم التسامح والتعصب وغيرها من ملوثات. لا يمكن للأزهار أن تتفتح في أرض مليئة بالأعشاب الضارة التي تخنق ما حولها من نباتات. والأمر ذاته مع تنورك الروحي الذي سوف تعيقه وتقيده حالات كثيرة مثل الشكّ والخوف وغيرها. دعها تذهب الآن، أو خاطر في جعلها تنشلع عنك بالقوة، مرفقة مع الألم الشديد، عندما يعود إليك الموت بعد اكتمال دورته المتكررة.

[13]
الشيطان
The Devil

من مجموعة "رايدر_وايت"

تعتبر ورقة الشيطان من بين الأوراق التي أسيء تفسيرها في مجموعة التاروت، ربما تأتي في الدرجة الثانية بعد ورقة الموت من حيث إساءة التفسير. نحن في عالمنا الدنيوي المادي لا نود فكرة أن داخل كل منا تقبع بذرة سلبية، لذلك نفترض أن أي شيء سيء يحصل فلا بد أنه من عمل شيطان يقبع هناك في الخارج، والذي وجب الخوف منه وتجنبه. لكن في الحقيقة، الناس لا تصنع الشر نتيجة وجود قوة خارج أنفسهم تتحكم بتصرفاتهم. إنهم يصنعون الشر لأن الجانب السلبي من شخصيتهم يعبر عن نفسه. إذا أنكرت وجود هذا الجانب السلبي من كيانك فهذا يجعلك تمنحه المزيد من التعزيز والقوة ليتغلب عليك في النهاية، وإذا سمحت له أن يسيطر على حياتك فهذا سيؤدي إلى دمارك الحتمي.

في الورقة الظاهرة في بداية هذا الموضوع نلاحظ الشيطان واقفاً بين الرجل والمرأة ويكيل لهما الشتائم والسباب بدلاً من منحهما البركة والدعاء الحسن (كما يفعل الكاهن الأعلى). بعد أن كان الرجل والمرأة متصلان ببعضهما بفعل الحب أصبحا الآن منفصلين لكن كل منهما متصل مع الشيطان بواسطة جنازير الشهوة والجهل. وضعية الشيطان في الصورة متطابقة مع وضعية الكاهن الأعلى، لكنها وضعية مزيفة. الكاهن الأعلى يمنح الحكمة الروحية ويشير إلينا بيد مفتوحة. أما إيماءة الشيطان فتخفي نواياه الحقيقية الممثلة بالحكمة المؤذية، وهي ليست حكمة أصلاً.

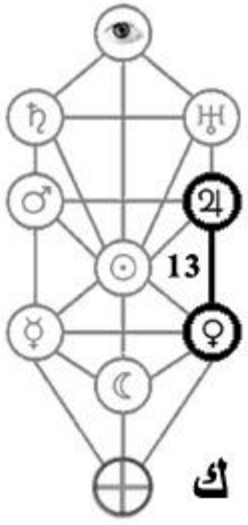

شجرة الحياة وموقع المسار الذي يمثل الشيطان

وجب التشديد مرة أخرى على حقيقة أن الشيطان لا يمثل قوة تهاجمنا من خارج أنفسنا، بل يمثل سرطان يلتهمنا من الداخل. عندما يكون الشيطان هو المسيطر فسوف ينقلب كل شيء رأساً على عقب. عندما تستسلم لشيطانك الداخلي، تكون بذلك قد استسلمت لكل قوة شريرة في العالم الخارجي والمستعدة لأذيتك. تكون أنت الذي سمحت للآخرين أن يقيدوك ويتحكمون بحياتك. سمحت لقواك الخلاقة أن تُفسد وتنقلب عليك. لكن عبر هذا كله فأنت لست ضحية أحد سوى نفسك. وفي الحقيقة، لا يمكن اعتبارك ضحية أصلاً، وأنت لست عاجزاً أيضاً.

من مجموعة "كونت دي سنت جيرمان"

من مجموعة "ساموِيل أون وير"

أهم درس يمكنك استخلاصه من ورقة الشيطان هو أنك تستطيع تحرير نفسك من أي قيود تساهم في إعاقة تقدمك، وذلك في أي وقت تختاره. الجنازير التي تربط الرجل والمرأة بالشيطان (أنظر في الورقة في بداية هذا الموضوع) هي رخوة بما يكفي لنزعها من رباطها في أي وقت. لازال يوجد بداخلك طاقة إيجابية يمكنك الاستعانة بها لكي تتحرر، لكن هذا يحصل فقط إذا تمكنت من التخلي كلياً عن الدنيوية المادية التي يجسدها الشيطان أصلاً. لكن في النهاية، أفضل طريقة لتحرير نفسك من استعباد الشيطان هي أن لا تستسلم له، بل تقبله بصفته الظلّ الأسود الذي يختفي لوحده عند حضور النور. بعد القبول بالظلّ أصبح بإمكانك السعي إلى النور. في بعض الأحيان يمكن اعتبار الجهل والمادية أدوات الشيطان، وهذه الحقيقة تكون واضحة إذا كنت تلاحق الممتلكات الدنيوية والنفوذ الدنيوي في الوقت الذي تتجاهل فيه القوة الروحية القابعة بداخلك. وكنتيجة لذلك فسوف تصاب طاقتك وقوة الخلق لديك بالشلل، وبعدها لن ترغب في استعادة السيطرة على نفسك، فتضيع شارداً وسط المغريات الدنيوية الزائفة والزائلة.

العامل الحاسم في هذه الحالة هو عقليتك وطريقة تفكيرك. إذا كنت مقتنع بأن الظلام انتصر، فسوف يحصل ذلك. إذا كنت راغب في جعل الآخرين يستغلونك ويقيدوك

فسوف يستطيعون ذلك وسوف يفعلون ذلك دون تردد. لكن لا أحد له سلطة عليك إلا إذا منحته اياها بنفسك. إذا صممت أن تحرر نفسك من قيود الجهل فأنت تستطيع ذلك وسوف تتقدم نحو النور. حوّل كل تلك الطاقة السلبية إلى إيجابية وانظر كم يمكنك فعله وإنجازه عندما تؤمن بأنك تستطيع. تذكر دائماً أن الظلّ لا يمكنه أن يوجد وحده دون وجود النور، وليس هناك شيطان سوى ذلك الذي خلقته أنت بنفسك.

[14]

الرجل المعلق

The Hanged Man

من مجموعة "رايدر_وايت"

إن السعي الحقيقي إلى حيازة الحكمة موجه نحو الداخل وليس الخارج، وهذا بالضبط ما تمثله ورقة الرجل المعلق. قد يكون الأمر محيراً في البداية والسبب هو أن الرجل المعلق يمثل ورقة متناقضة. أسرار هذه الورقة تعتبر الأكثر غرابة في مجموعة التاروت لكنها الأكثر تنويراً، وأسرارها لا يمكن كشفها عبر تعلم الدروس في العالم المادي بل عليك الالتفات إلى داخل نفسك.

الدروس التي تكشف عنها هذه الورقة هي سهلة الفهم لكن يصعب تقبلها عندما تريد تطبيقها عملياً. أنسب حل لمسألة معينة قد يكون الحل الأسهل، لكن نادراً ما يكون الحل الأفضل. عندما تتخلى عن رغبة في السيطرة على الأحداث والتحكم بها، تلاحظ أن كل شيء يبدأ بالجريان كما وجب أن يكون. في عالم تفرض عليك

ظروفه أن تجري بأسرع ما يمكن بهدف اللحاق بالأمور تجد نفسك في النهاية وبعد جري مديد أنك لازلت في مكانك. ورقة الرجل المعلق تقول لك أن تكف عن الصراع دون جدوى. قف مكانك وسوف تجد أمورك تسير إلى الأمام. قل هذه الفكرة للآخرين وسوف تبدو واضحة وجلية، لكن حاول تطبيقها عليك وسوف تجدها مستحيلة. هل فكرت في يوم من الأيام بأن سعيك المرير في الحياة ليس ضرورياً أن يكون بهذه الوتيرة السريعة جداً؟ هل خطر لك يوماً أن تذهب إلى مكان معزول في البرية دون أن تأخذ معك أي طعام أو شراب ثم جلست هناك دون حراك وقضيت فترة طويلة من الوقت دون فعل شيء؟ المنطق المألوف يقول بأنك لن تنجو من هذه الحالة المعزولة وحدك. لكن المنطق الكوني يقول أنك لن تصاب بأذى! سوف يأتي القدر بمن يطعمك ويشربك. هل تستطيع تطبيق هذه الفكرة عملياً؟ قد تبدو الفكرة مقبولة إذا كنت تؤمن بالقدر وتعرف كيف تسير مجرياته، لكن عندما يأتي وقت التطبيق العملي سوف تتردد وحتى ترفض الفكرة كلياً.

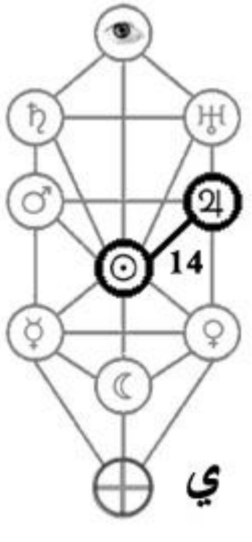

شجرة الحياة وموقع المسار الذي يمثل الرجل المعلق

لماذا هذه الحالة هكذا؟ القول للآخرين أن يعلقو أنفسهم من الشجرة هو أمر سهل، لكن لا أحد يريد تعليق نفسه فعلياً. لكن الرجل المعلق قد علق نفسه فعلياً، وانظروا

كم اكتسب من حكمة! رغم وضعيته غير المريحة فهو يبدو مبتسماً، وتحيط برأسه هالة ذهبية مشيرة إلى الإلهام السماوي والقوة السماوية. هو عاجز تماماً من الناحية الجسدية، وفي عجزه وجد القوة والمقدرة. التضحية التي قدمها تمثلت بحريته وقوته في العالم المادي، لكن كبديل لذلك مُنح الحرية الحقيقية والقوة الحقيقية على المستوى الروحي. لقد تخلى عن طريقته القديمة في النظر إلى الأشياء وبورك بعيون جديدة.

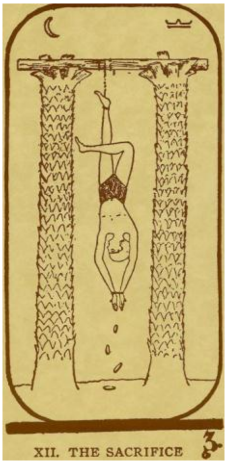

من مجموعة "كونت دي سنت جيرمان"

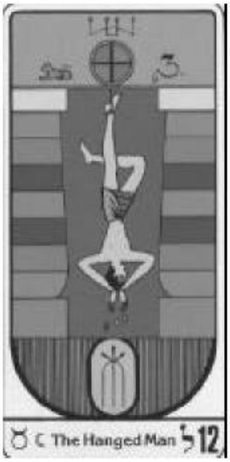

من مجموعة "ساموبل أون وير"

طبعاً، ليس كل التضحيات هي بنفس المستوى المذكور سابقاً. في كل لحظة من حياتنا نحن نقدم فيها التضحيات. من خلال اختيار تناول الطعام مع صديق بدلاً من تناوله وحدك فأنت بذلك تضحي بعزلتك. إن اختيار وظيفة معينة يعني عليك التضحية بأي رغبة في وظيفة أخرى. العامل المشترك بين كل التضحيات التي تقدمها هو أنك تمنح شيئاً مقابل شيء تريده وله قيمة مساوية لما ضحيت به.

بما أن ورقة الرجل المعلق هي ورقة التناقضات، فهي تحرضك على النظر إلى الأشياء بطريقة مختلفة كلياً. إذا كان عقلك يحثك على فعل شيء، فهذا يعني أحياناً أن عدم فعل شيء هو أفضل ما يمكن فعله. إذا كان أمراً ما له أهمية عاطفية بالنسبة لك لكنه لم يعد يخدم غايتك، ربما عليك التفكير في التخلي عنه. من خلال

محاولة فرض التغييرات بالغصب، كن واثقاً بأنها لن تحصل أبداً. هذه ليست طريقة مجدية. استرخي ودع الأمور تحصل لوحدها بدلاً من التدخل في مسارها. بدلاً من مقاومة التيار، دعه يأخذك معه أينما يجري. تذكر أن القدر أكثر حكمة منك. إن التضحية بشيء له قيمة لديك سوف يقود إلى شيء آخر أكثر قيمة.

[15]

الاعتدال

Temperance

من مجموعة "رايدر_وايت"

بعد اختبار الموت المطهّر، من الضروري أن نعيد الإعمار والتطوير على أنقاض ما تم تدميره. الآن بعد زوال العادات والقناعات والمعتقدات القديمة إلى الأبد، وجب اكتساب وتنمية عقلية جديدة لملئ الفراغ وجعلك معافى مرة أخرى. عملية البناء والموائمة هذه تمثلها ورقة الاعتدال. هذه الورقة تتعلق بعملية التعديل والموازنة، متممة خلق كيان متكامل ومعافى.

تشير ورقة الاعتدال أيضاً إلى الموائمة بين كيانين متباعدين والذين من الأفضل أن يعملان باندماج ككيان واحد. هذا ما تفعله قوة الاعتدال في المسار الذي تمثله في شجرة الحياة (الموائمة بين المقامين [٤] و[٥]). يمكن أن تتجلى قوة الاعتدال بطريقة أخرى، عندما تواجه أعمق رغباتك وكذلك أكثر المخاوف غير المعقولة، بدلاً من

التخلص منها قم بإدماجها في نفسك ودع قوتك تكبر، ذلك بفضل قوة الاعتدال التي نمت سابقاً في كيانك. إذا رميت ظلك الأسود بعيداً فهذا لن يساعدك، لكن إذا قبلته كجزء من كيانك فسوف تخضعه بذلك تحت سيطرتك. التناغم الكامل مع النفس يعتبر أحد الدروس المهمة في هذه الورقة.

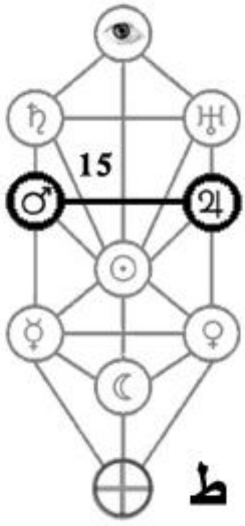

شجرة الحياة وموقع المسار الذي يمثل الاعتدال

تمثل ورقة الاعتدال أيضاً تقديراً للموازنة عبر اختبار المتعاكسات. فمثلاً، أن تقضي وقتاً في أعتم الليالي ومن ثم في النهار الساطع فتكون قد اختبرت وتمتعت بروعة كل من الشفق عند الغروب وكذلك الفجر عند الشروق. فقط عند رؤية واختبار كلا الجانبين، الموجب والسالب، تستطيع إدماج كلاهما في شخصيتك. هناك جانب آخر من الدرس الذي تقدمه ورقة الاعتدال، وهو أن لا تسعى إلى أن تصبح إيجابي بالكامل، حتى لو بدا الأمر أنه يمثل هدف خير. الحياة تسعى إلى الموازنة، وبالتالي إذا سعيت لأن تكون كائن إيجابي فحسب فهذا يجعلك تصارع مجرى التيار على طول الطريق. من الأفضل أن تلتزم بالاعتدال بين نقيضين وتجري مع التيار.

من مجموعة "كونت دي سنت جيرمان"

من مجموعة "ساموبل أون وير"

يمكن أن يبرز موضوع الاعتدال في جانب علاقاتك مع الآخرين وكذلك علاقتك مع نفسك. ففي الحالة الأولى لا بد من حاجة للموازنة والاعتدال. لكن على الأغلب، قبل أن تحقق الوئام في علاقاتك مع الناس المحيطين بك عليك أولاً صنع السلام مع نفسك. يمكن لعدم التوان الداخلي أن يتجلى في العالم المادي إذا لم يتم معالجته بداخلك. إذا كانت تتملكك عقلية متفائلة تجعلك تعتقد بأنك منيع لا تُهزم فهذا سوف يقود حتماً إلى مشاكل. والأمر سوف يسوء أكثر إذا كانت تتملكك عقلية متشائمة أو موسوسة كجنون الاضطهاد مثلاً. أفضل طريقة لتحقيق التوازن هي عبر الاستماع إلى الصوت الداخلي بحثاً عن إرشاد. إن قوتك الداخلية مستعدة دائماً لمساندتك إن كان في علاج جروحك أو تعزيز قوتك.

[16]

القمر

The Moon

(الفجر الكاذب Twilight)

من مجموعة "رايدر_وايت"

هناك مقولة شهيرة تقول: قد تكون الاشياء بخلاف ما تبدو عليه، وفي حضور تأثير القمر فإن هذه المقولة السابقة تبدو صحيحة. تحت ضوء القمر، الأشياء التي نراها خيرة في النهار سوف تبدو فجأة بأنها خطيرة ومؤذية. حتى المصطلح "ضوء القمر" هو مصطلح مضلّل لأن القمر لا يشعّ الضوء من نفسه بل يعكسه من نور الشمس.

تعتبر ورقة القمر من بين أوراق التاروت القليلة التي تحوي رموز حيوانية مهمة. في معظم أوراق القمر في المجموعات المختلفة نراها تظهر كلب وذئب، وهما كائنين مختلفين لكن من نفس الفصيلة، لكن الأول أليف والثاني متوحش. كلاهما يعويان باتجاه القمر، وإذا كان هناك إنسان في المشهد فلا بد من أنه متأثر بطريقة ما أيضاً. مهما كان موقعك في الترتيب الاجتماعي أو التطوري فهذا لا يمنعك من

التعرض للوهم والانخداع. القمر يشعّ بنفس الضوء على الجميع، لكن ما تراه عندما يلمس الضوء عيونك يعتمد على من تكون وليس على ما تراه.

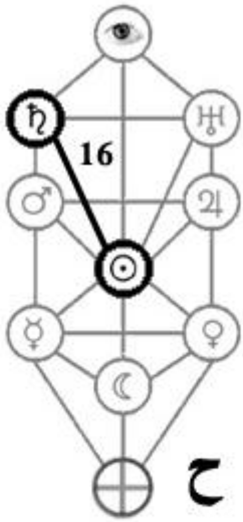

شجرة الحياة وموقع المسار الذي يمثل القمر

ورقة القمر ترمز إلى خصوبة الخيال بدلاً من خصوبة الجسد. سرطان البحر، الذي يظهر في معظم أوراق القمر في المجموعات المختلفة، يرمز إلى بروز العقل الباطن وطغيانه على العقل الواعي. وفي هكذا حالات، حيث يكون فيها العقل الواعي معتمداً كلياً على العقل الباطن، سوف نواجه الكثير من الأوهام والانخداع. لم يعد بمقدورك معرفة أيها حقيقي وأيها وهمي ناتج من تجلي المخاوف والرغبات.

المحنة التي يمثلها القمر تمثل آخر التحديات التي تفرضها أوراق التاروت، حيث عليك السير في الظلام دون معرفة إن كان الدرب الذي تسير عليه بأنه الحقيقي. لا يوجد أي نور للشمس لكي يرشدك، ولا أي نقطة علام على رؤوس التلال لتوجّه مسارك، لا أحد ترافقه والسير معه. هذه رحلة وجب أن تسيرها وحيداً، في الظلام وبدون أي خريطة أو بوصلة. عليك التعلم كيف تعتمد على نورك الداخلي ليرشدك

إلى الدرب الصحيح. أي تردد أو شكّ سوف يؤدي إلى انطفاء النور إلى الأبد. لكن إذا آمنت فسوف يبقى النور مشعاً إلى الأبد، ويكون ساطع كما نور الشمس التي سوف تطلع بعد انتهاء هذا الليل.

من مجموعة "كونت دي سنت جيرمان"

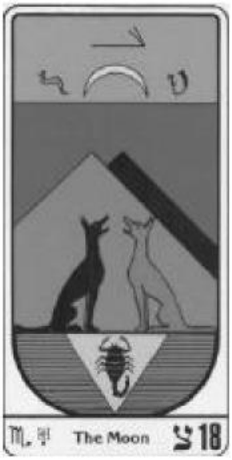

من مجموعة "ساموئيل أون وير"

هذه درب صعبة لدرجة أنك لست واثقاً من المسار إذا كان صحيحاً أم لا، لكن مع ذلك أنت تسير عبر الدرب. من الممكن أن تكون قد أضعت الطريق، وتتعثر هنا وهناك في الظلام. إذا توقفت وانتظرت طلوع الشمس فقد يكون الدرب قد تغير وتكون الفرصة ضاعت منك. لذلك ماذا عليك أن تفعل؟ ورقة القمر تمثل الحدس والقوى الباطنية، لذلك تخلى عن الكتل الفكرية الثقيلة لعقلك الواعي ودع البديهة ترشدك. هذا لا يكشف لك الطريق فحسب، بل في حالات كثيرة أيضاً، سوف تتعلم دروس كثيرة حول نفسك والتي ستكون ذات قيمة في رحلاتك عبر دروب مستقبلية.

[17]
البرج
The Tower

من مجموعة "رايدر_وايت"

أحياناً، عندما يتم القبول والترحيب بالحكمة والتنور الإلهي، فسوف يدخلان إلى حياة الفرد بسهولة ويسر كما جريان النهر الهادئ. لكن في معظم الأحيان، يتم سد جريان الحكمة إلى حياة الفرد لفترة طويلة وهذا يجعلها كما النهر الذي تتجمع مياهه إلى درجة تجعله ينفلت في فترة من الفترات فتتدفق مياهه بعنف فتخلق فيضان هائل يؤدي إلى سحق أي شيء يقف في طريقه، وهذا لا يستثني الفرد المتلقي لتلك الحكمة. هكذا هي طاقة الورقة التي تحمل رمزية البرج، وهي طاقة مشابهة جداً لطاقة الموت حيث كلاهما يمثلان قوة هدامة ثم خلاقة. عندما يكون البناء قديم ومتداع للسقوط، وجب حينها هدمه لكي ينشأ مكانه بناء آخر جديد. هذا ما تشير إليه ورقة البرج. عندما تصبح القناعات والمواقف بالية ومتقادمة، عليك التخلي عنها إن أعجبك ذلك أم لا.

في معظم الحالات تكون الحالة الأخيرة هي السائدة، أي أنك لا تريد أن تتخلى عن عقليتك المتقادمة وتتشبث بها كالطفل الذي يتشبث بلعبته الغالية على قلبه. لكن جميع محاولاتك للاحتفاض بالقديم سوف تذهب سدى، حيث التغيير الكارثي سوف يحصل وسوف يشلع منك وبشكل أليم كل ما رفضت التخلي عنه من تلقاء نفسك. لكن هناك غاية عليا وراء هذه العملية. إن قوة الروح والعقل أعظم بكثير من طاقة أي شيء مادي، ويمكن لهذه القوة الروحية العقلية أن ترافقك دائماً وإلى أي مكان. إذا عدنا إلى لعبة الطفل التي يتشبث بها، فهي تؤخذ منه لكي يجد مصدر متعته في داخله بدلاً من إيجادها في شيء مادي يقبع خارجه.

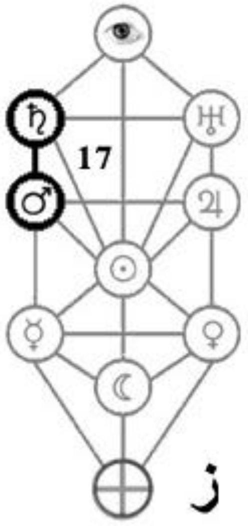

شجرة الحياة وموقع المسار الذي يمثل البرج

إذا كنت تؤمن بأن الأشياء المادية هي أكثر قوة من العقل والروح فسوف تبني لنفسك برج من الأوهام فوق أساس رخو وغير ثابت. إذا بقي هذا البرج قائماً لفترة من الوقت ولم ينهار لوحده، سوف تقوم أنت في النهاية بهدمه. البرج لن ينهدم لأن القدر أقرّ بذلك بل لأن شيئاً بداخلك لن يعد يتحمل العبئ الثقيل الذي عليه تحمله. آجلاً أم عاجلاً سوف يستسلم. هذا اختبار مهين والدرس المستخلص منه يقول بأن لا أحد

منيع ولا يُقهر. المشكلة مع معظم الناس هي أنهم يركزون على السلبيات ويتجاهلون الفرصة العظيمة التي مُنحت لهم.

النيران المشتعلة في البرج سوف تحرق كل ما هو سلبي ومتقادم، لكنها تترك كل ما هو إيجابي وكل ما هو ضروري لبدئ حياتك مرة أخرى وتعوض عن كل ما تم فقدانه في العملية.

من مجموعة "كونت دي سنت جيرمان"

من مجموعة "ساموبل أون وير"

إن انهيار البرج هو تعبير عن انهيار الحصن المنيع للـ"أنا" الدنيوية لديك. عندما تبني جدار بهدف إخفاء أسرارك أو بهدف حجب "الذات" الحقيقية عنك، عليك أن تعلم أنه آجلاً أم عاجلاً سوف ينهار هذا الجدار. الأوهام والأحلام غير المجدية معرضة للتلاشي بفعل القوة التي تمثلها ورقة البرج. هذه القوة تشتت تلك الأوهام كما يفعل نور الشمس بالضباب. الأوهام والأحلام لن تنفعك حيث أنت ذاهب، لذلك من الأفضل أن تتخلى عنها الآن. لا تضع ثقتك في الأوهام أبداً.

[18]

النجم

The Star

من مجموعة "رايدر_وايت"

أينما تبدو الآمال بأنها ضاعت فسوف تظهر مرة أخرى لتثبت بأنك في الحقيقة لم تفقد شيء، ربما باستثناء رؤيتك لدرب التنور. وفي غياب تلك الرؤية، سوف يتكفل النجم بإنارة ذلك الدرب. نور هذا النجم ليس قوي الإشعاع كما ذلك العائد للبرق الذي ضرب البرج، بل هو نور لطيف الإشعاع يمنح الدفئ والاسترخاء بدلاً من الحرق والتدمير. عليك أن تتذكر أن كلا هذين الطاقتين المشعتين تأتيان من نفس المكان: السماء الإلهية. بعد أن يعمل نور البرق في ورقة البرج بتدمير الدرب المزيفة التي كنت تتبعها، يقوم نور النجم اللطيف والودود بإعادتك إلى الدرب الصحيحة.

ورقة النجم تحوي رمزاً مشابهاً لورقة الاعتدال، حيث نجد فتاة بقرب بركة الماء تحمل كأسين. لكن بينما نجد الكأسين في ورقة الاعتدال يُسكبان في بعضهما البعض،

نجدهما في ورقة النجم يُسكبان في مياه الروح الإلهية الأزلية. عندما تعجز عن مساعدة نفسك، يقول لك النجم أن تلتجئ إلى السماء بحثاً عن إرشاد. أو بمعنى أدقّ، ابحث عن الشرارة المقدسة الكامنة بداخلك والتي لم تستطع سابقاً إدراكها. كل منا لديه قطعة من هذا النجم في أعماقه، وهي تنتظر لتبعث بنورها خارجاً لتنير العالم الخارجي.

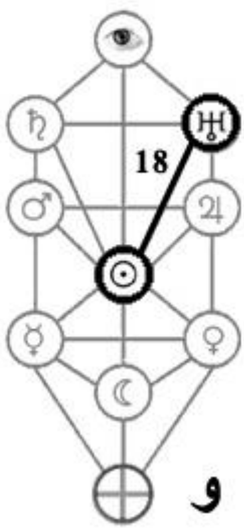

شجرة الحياة وموقع المسار الذي يمثل النجم

ورقة النجم هي ورقة الإيمان بكل من قوتك الذاتية وكذلك بقوى أعظم من قوتك بكثير. عندما يعمل دمار البرج بمسح كل السلبيات من حياتك، فتصبح بعدها بحاجة إلى ملئ الفراغ، والإيمان هو أهم الأشياء التي وجب البدء منها. لكن ما هو الإيمان تحديداً؟ قد يُقال بأن الإيمان هو اعتقاد واعي باختبار لاواعي لا ندركه مباشرة، لكننا نستطيع الشعور بتأثيراته. هذا التعريف الأخير يناسب كل من الإيمان بإله أعلى وكذلك الإيمان بقدراتنا الخاصة. إن الإيمان بأي قوة سوف يسمح لتلك القوة أن تتجلى في حياتنا. إن الإيمان بأن شيئاً سوف يحصل هو طريقة أكيدة لجعل ذلك الشيء يحصل فعلاً.

يوجد الكثير من الصور الرمزية المختلفة على ورقة النجم في مجموعات التاروت المختلفة، لكن الصورة الأكثر إثارة هي تلك العائدة لمجموعة "رايدر– وايت" (وهي التي استخدمها للشرح) والتي تبين بركة ماء في منتصف المشهد، ويوجد مرأة عارية تركع بجانب البركة. لاحظ كيف قدمها اليمنى تتكئ على الماء لكنها لا تغرق فيه. مجرّد أن تجلى الإيمان بكامل قوته، تصبح بركة اللاوعي قابلة لدعم العقل الواعي. معجزة المشي على الماء تجلت هنا رمزياً بحيث تشير إلى إمكانية الوثوق بقوة أخرى، إن كانت قوة الإله الأعلى أو بقوتك الذاتية. مجرّد أن تحققت هذه الثقة فسوف يصبح أي شيء ممكناً.

من مجموعة "كونت دي سنت جيرمان"

من مجموعة "ساموبل أون وير"

النجم يمثل منارة للأمل والإلهام. يكشف في الأوقات المظلمة عن وجود طريقة للخلاص، ويقول لك أن لا تقلق، لأن التنوّر والحرية هما في منال اليد. كل ما تحتاجه هو شيء ما تؤمن به. لذلك ثق بنفسك، وضع ثقتك في القوى التي تعتقد بأنها تحكم الكون، وذلك لتساعدك في المرور عبر الفترات الصعبة بأمان. دع الطاقة اللانهائية للنحم تمنحك الدفئ وتعيد الشباب لروحك، ولمنح القوة ووضوح الغاية التان تحتاجهما للاستمرار في رحلتك.

وجب أن نتذكر بأن النجم لا يمثل غايتنا النهائية حيث هناك المزيد في الدرب. لكن أهميته تكمن في أنه يمنحنا الأمل وقوة الإيمان لتساعدانا على الاستمرار في الدرب. من دون أمل لا نستطيع إنجاز شيء، لكن الأمل هو البداية فقط. الآن بعد أن تم إلهامك، لازال أمامك الكثير من العمل. عليك دمج صلابة الوجود المادي مع سيولة ماء عواطفك مع لمعان روحك المشعّة. أنظر حينها إلى المعجزات التي سوف تتجلى أمامك.

[19]

الولادة من جديد

Rebirth

من مجموعة "رايدر_وايت"

أساء الكثيرون تسمية هذه الورقة، إذ نسبوا إليها اسم يوم الحساب وهذا ناتج من تأثير الفكر الكنسي على فلسفة التاروت خلال العصور الوسطى. القيامة موجودة لكن أسيء تفسيرها بشكل كبير في التفسيرات اللاهوتية لكافة الأديان. كان القدماء يعتبرونها القيامة من الموت، وهذه الفكرة الأخيرة بقيت غامضة بالنسبة للكثيرين أيضاً فأسيء تفسيرها مرة أخرى، حيث المعنى الفعلي للقيامة من الموت يعتمد على مفهوم كان مألوف جيداً في المدارس السرية التي ازدهرت في القدم، يتحدث هذا المفهوم عن الولادة الجديدة. والولادة الجديدة أو الولادة من جديد تعني التحوّل من حالة إلى حالة. وهذا بالضبط ما تقصده هذه الورقة التي تستحق تسمية الولادة من جديد بدلاً من يوم الحساب. في المدارس الفلسفية القديمة، كانوا يعتبرون الحياة الدنيوية والانغماس بمسراتها بأنه موت، بينما الصحوة الروحية تعتبر ولادة بعد الموت. بهذا المعنى أيضاً يمكن أن ننظر إلى هذه الورقة.

ورقة الولادة من جديد هي ورقة أخرى تتحدث عن التحوّل، إلى جانب ورقة الموت وورقة البرج، لكن طاقتها ليست عنيفة ولا كارثية رغم حقيقة أن قوتها أعظم بكثير. هذه هي طاقة الخلق بدون تدمير، بالتالي عملها مستحيل على المستوى المادي لكنها بكل تأكيد ممكنة التجلي على المستوى الروحي. هي تعني الولادة من جديد، لكن ليس من خلال التخلي عن السلبية بل من خلال إدماج كامل أقسام النفس. في هذه المرحلة تكون الروح قد تطهرت واستعادت كامل روعتها دون أي زيادة أو نقصان. كيان الروح بقي كما هو لكنها أصبحت مختلفة تماماً بعد اكتساب الحكمة من الاختبارات التي خاضتها.

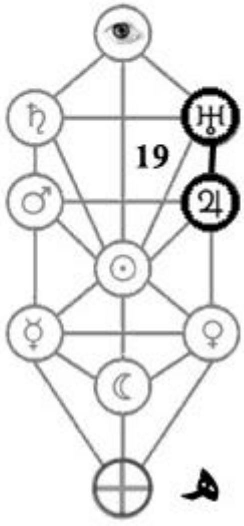

شجرة الحياة وموقع المسار الذي يمثل الولادة من جديد

الولادة من جديد ترمز أيضاً إلى اتحاد الكيان المادي مع الكيان الروحي فأصبحا يمثلان كيان واحد. الموتى الثلاثة، الذين يظهرون في معظم نماذج ورقة الولادة من جديد، يمثلون هذا الاندماج بين المادي والروحي، حيث قيامة الرجل الميت في الصورة ترمز إلى تجدد العقل الواعي، وقيامة المرأة الميتة ترمز إلى تجدد اللاوعي، والولد في الصورة يمثل إبن الشمس (النفحة الشمسية)، وهو الولد الأبدي في داخلنا. نراهم في الصورة وهم يوحدون صوتهم في تمجيد الكائن الملائكي في السماء. بعد

التطهير والترميم غير المدمر، أصبح كل من المادة والعقل والروح تمثل جميعاً كيان واحد.. الآن وإلى الأبد.

من مجموعة "كونت دي سنت جيرمان"

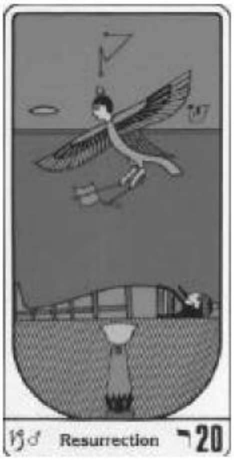

من مجموعة "ساموبل أون وير"

بعد أن تحوّل وصار صفيحته بيضاء تماماً، أصبح بإمكان المريد الآن الدخول إلى العالم السماوي دون مواجهة أي عقبات.

[20]

عالم النور

The World Of Light

من مجموعة "رايدر_وايت"

بعد الاتحاد بين الوعي واللاوعي، وبين العقل والجسد والروح، كل ما بقي الآن هو الاندماج مع المقدس. لقد انتهت رحلة المريد وقد استحقّ الخلود بعد أن جاهد وطوّر نفسه عبر المراحل المختلفة لهذه الرحلة. يبدو أن رحلة الأبله ليست عملاً أحمقاً في النهاية. هو الوحيد في هذا العالم الذي انتصر بحق، حاز على مرتبة الألوهية.

الصورة في ورقة عالم النور تظهر أربعة كائنات تحيط بالأكليل. الثور يرمز إلى المادة، الأسد يرمز إلى الطاقة، النسر يرمز إلى الزمان، والإنسان يرمز إلى المكان. تمثل هذه الكائنات مجتمعة وحدة الخلق ومصدر السيطرة على كل شيء في الكون. أما الفتاة الراقصة داخل حلقة الأكليل، فتمثل المحتوى العذري لعالم النور. هي تحمل بيدها لفافتان مشابهتان تماماً لتلك التي يحملها الساحر، اللفافة ترمز للمعرفة أو

العلم. لكن في هذه المرحلة لم يعد هناك أي داعي لعلم ممارسة الظواهر السحرية، لأن الفتاة أصبحت مندمجة مع مصدر القوة السحرية.

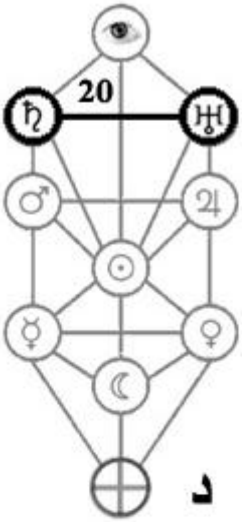

شجرة الحياة وموقع المسار الذي يمثل عالم النور

يمكن اعتبار هذا العالم النوراني بأنه مكان للراحة، المكان الذي يتوسط الحياة والموت، حيث تقبع فيه الروح منتظرة لأن تعود وتتجسّد في العالم المادي. ولفترة وجيزة جداً تصبح واحدة مع هذا العالم الجليل. كل الدروس التي اكتسبتها الروح، من خلال المهمات التي أنجزتها على طول الطريق، أثمرت الآن وجلبت لها الازدهار. لقد آن الوقت لأن تتمتع بالحكمة التي اكتسبتها والتي زادت من نشوة الازدهار الذي تعيشه في عالم النور. لكن مكوث الروح في هذا العالم الجليل لن يطول، حيث سوف تبدأ قريباً رحلة العودة للتجلي مرة أخرى. صحيح أن الرحلة الحالية صارت في نهايتها، لكن هذه حالة مؤقتة، حيث وجب التحرّك من جديد. قد تكون حركتها باتجاه عالم آخر أكثر رقياً من العالم المادي الذي انطلقت منه، لكن المهم أن رحلة الروح لن تنتهي أبداً. لا بد من وجود بداية جديدة عند نهاية الرحلة القديمة. خطة الرحلة

الجديد قد وضعت، وعند الانتهاء منها لا بد من وجود رحلة أخرى، وعند نهايتها من المؤكد وجود رحلة أخرى بعدها.. وهكذا.

من مجموعة "كونت دي سنت جيرمان"

من مجموعة "ساموبل أون وير"

بعد أن تلمح الكائن المقدس القابع وسط عالم النور، لا بد من أن تعود وتتجسّد من جديد، لكن هذه المرة تكون واثقاً من قناعتك وقدرتك على رؤية الله مرة أخرى بعد نجاحك في الرحلة القادمة. دورة الرحلات هي لا نهائية، هذا ما يشير إليه أكليل الزهور في الصورة والمربوط حوله شرائط القوة الإلهية، ويدور حول نفسه حتى الأزل. داخل حلقة الأكليل يقبع عالم النور والذي يبدو أن أجواءه مختلفة عن الأجواء التي خارج الحلقة. السكون والسلام التام الذي يسود عالم النور هو كذلك لأن القوى الأربعة، الممثلة بالكائنات المختلفة، ليس لها تأثير فيه، إذ تأثيراتها تتوقف عند الحدود الخارجية لأكليل الزهور.

[21]

الشمس

The Sun

من مجموعة "رايدر_وايت"

نظر القدماء إلى الشمس على أنها مانحة الحياة والنور، ونلاحظ أن كافة الأديان القديمة لديها آلهة للشمس. هذا الكوكب العجيب الذي يمنح النور والصفاء بعد فترة من الظلام والحيرة والإرباك، وبهذا المعنى يُعتبر إله الشمس بأنه المخلّص، جالب السلام والفترات الجيدة بعد فترة ملؤها المحن والبؤس. بالإضافة إلى ذلك، ترمز الشمس إلى التحمّل والإخلاص والموثوقية، حيث مهما كان وضعك كاحلاً ومهما كانت مشاكلك كثيرة، تبقى الشمس دائمة الشروق في الصباح بعد فترة الليل المظلم. كل هذه الصفات، وأكثر بكثير، تعبر عنها ورقة الشمس في مجموعة التاروت.

نور الشمس ليس لامع جداً ولكنه بنفس الوقت ليس ضعيف التوهّج. هو حار بما يكفي لكي يمنح الدفئ لكن ليس ليحرق ويكوي. هذا التوازن بين طرفين متناقضين يمثل الغاية النهائية للمريد السائر على درب الخلاص. في هذا المستوى الراقي من

التطوّر الروحي لا يوجد شيء خارج سيطرتك. في ورقة الشمس التابعة لمجموعة "رايدر_وايت" (المبينة في بداية الموضوع) يوجد رمزية قوية تشير إلى هذه الحقيقة. نلاحظ أن نباتات دوار الشمس الموجودة في الخلفية ليست موجهة نحو الشمس كما عليها فعله طبيعياً، بل هي موجهة إلى الطفل الراكب على الحصان. هو الذي يحوز قوة السيطرة على العالم المادي (هو يمثل النفحة الشمسية).

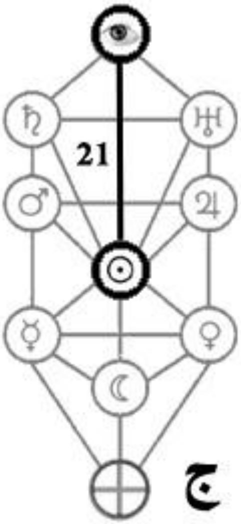

شجرة الحياة وموقع المسار الذي يمثل الشمس

لقد مرّت محنة التأثير السلبي للقمر، وها أنت خرجت من المحنة إلى النور، أكثر قوة وأكثر حكمة. لقد انتهت الحرب وفتحت طريق للسلام، استبُدل الكره بالحب، والخوف اندثر أمام الشجاعة. هذه فترة حقيقية للاحتفال! انتصار الخير على الشرّ ليس أمراً نألفه في حياتنا اليومية في هذا العالم، وعندما يحصل هذا الانتصار عليك أن تكون ممتناً وسعيداً بأن النور قد دخل حياتك. إن صعود الشمس في الصورة يرمز إلى أنك أكملت اختباراتك ومهماتك التي خضتها في ظلام الليل، والدفئ الذي تمنحه الشمس يمثل المكافئة لك على عدم خضوعك للخوف كالجبان خلال رحلتك في الظلام، ولم تهرب عندما سنحت لك الفرص العديدة، ولم تحاول الاختباء من الحكمة التي أصبحت الآن ملكك بجدارة.

بشكل عام فإن للشمس معاني كثيرة، لكن في موضوعنا تحديداً، وكما ترمز في ورقة الشمس، فهي ترمز للنجاح والإتمام، ترمز إلى الفلاح والازدهار، ترمز إلى نهاية إيجابية لرحلة المريد. هي تعني إكتمال المهمة بنجاح. لقد انتهى المريد من رحلته بنجاح، وسوف يتمتع الآن بفترة من النور والسلام والاسترخاء والراحة. ها قد لاقى النجاح بعد أن وثق بطاقته الخلاقة وكان جريئاً في استخدامها. ها هو الآن يشعّ مع حيوية الشمس التي نورها لا يضاهى صفاءه والتي قوتها هي مطلقة.

من مجموعة "كونت دي سنت جيرمان"

من مجموعة "ساموبل أون وير"

هذه القوة والصفاوة هي متوفرة للجميع، لكن بشرط أن يسمحوا لنورها أن ينوّرهم. فلتبدأ بالعمل على نفسك الآن. إذا كان هناك مناطق مظلمة داخل كيانك، سوف يكشف عنها نور الشمس فتتمكن بعدها من تحديدها ومن ثم معالجتها. يمكن لضباب الحيرة أن يُحرق ويندثر بفعل نور الشمس، ولهيبها سوف يطرد الخوف وكل أنواع الرعب التي يجسدها ظلام الليل. الحالات الميؤوسة سوف تزول مجرّد أن تشعّ الشمس بنورها على الدرب الصحيح، والحل الصحيح. دع نور الشمس يدخل ويتغلغل في كيانك واستمتع بقوته العجيبة، لكن لا تكتفي بالتمتع بالفكرة فقط، بل قم بتطبيقها عملياً، واسحب قوتها إليك. إن قوة الشمس هي قوة حقيقية.

يجدر الملاحظة إلى أن الشمس المقصودة هنا هي الشمس الباطنية التي تقبع في الجانب العلوي من كياننا. للتوسع في الموضع أكثر، يرجى الاطلاع على الجزء العاشر من مجموعة "من نحن" والذي بعنوان "شمس الشموس".

....

ملاحظة: هذا مجرد اختصار شديد للسمات والخصائص التي تمثلها المسارات في شجرة الحياة. وجب الملاحظة أن المعاني الفعلية لهذه الأوراق هي عميقة جداً وباطنية جداً بحيث يصعب التعبير عنها بكلمات مكتوبة وقابلة للفهم والاستيعاب بالطريقة المألوفة، خصوصاً بالنسبة لمن يتعرف على هذا المجال حديثاً. وقد شرحتها مستخدماً كلمات وعبارات وتصورات يمكن فهمها واستيعابها من قبل كل من يطلع على هكذا بحث للمرة الأولى. ربما أخصص لهذا البحث كتاب قائم بذاته، لكن ما يهمنا الآن هو الخطوة الأولى في هذا الدرب، والممثلة بورقة الساحر، والجزئين التاليين هما مكرسان كلياً لهذه الورقة تحديداً.

في الجزء التالي

كما أسلفت سابقاً، فإن كامل الجزئين التاليين يتمحوران حول ورقة واحدة من مجموعة التاروت، وهي ورقة <u>الساحر</u>. هذه الورقة لا تمثل أي مسار من مسارات الشجرة بل تمثل المقام العاشر فيها، وهو المقام الذي يمثل التجسيد المادي. والذي يجعل هذا المقام ذات أهمية لدرجة تمثله ورقة تاروت هو أنه مقام مركّب، أي هو مؤلف من أربعة مبادئ أساسية والتي نشير إليها بالعناصر الأربعة. وفقاً لهذه الطريقة في الارتقاء، على المريد أن يوالف بين كامل مكونات تجسيده المادي لكي يستطيع التقدم إلى الأمام بنجاح في هذه الدرب. أي عليه معالجة العناصر الاربعة بطريقة معينة.

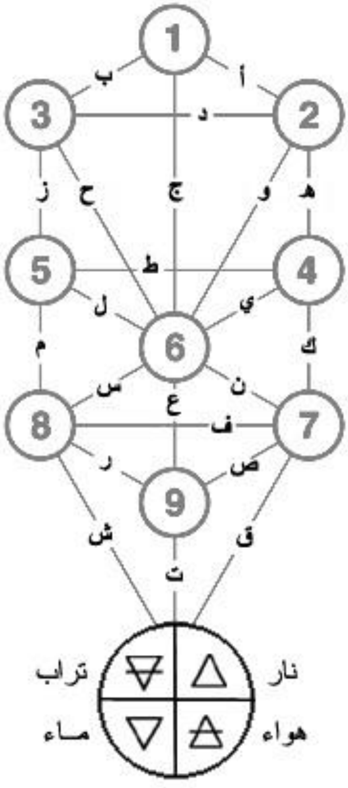

ورقة <u>الساحر</u> تمثل المقام العاشر في مخطط شجرة الحياة، وهو المقام الذي يقبع في الأسفل، ويمثل البوابة التي يدخل منها المريد لتسلق مقامات الشجرة ومساراتها. قبل أن ينجح في تجاوز هذه المرحلة عليه أولاً احتراف التعامل مع العناصر الأربعة.

أوّل ما وجب معرفته هو أن العلم الهرمزي يمثل في الحقيقة مسيرة مكرسة لغاية التطور والارتقاء الروحي. هذا الدرب يساهم في تنمية ملكات النفس ويسمح لها بالارتقاء إلى أبعاد عليا. لكن قبل أن يتمكن المريد في النجاح بهذا المسعى عليه ضبط وتعديل تجسيده المادي بطريقة خاصة ومدروسة. وهذه الطريقة بالذات تجعل الكثير من القوى والقدرات تتجلى لديه، لكن آلية التدريب تجعلها تفعل ذلك بطريقة منضبطة وقابلة للسيطرة. لهذا السبب أشاروا إلى ورقة التاروت التي تمثل هذه المرحلة باسم الساحر.

لكن يوجد فرق كبير بين السيّد الهرمزي وبين المشعوذين العاديين. المشعوذون على الأغلب ينجزون أعمالهم من خلال إتلاء بعض الأقسام أو التراتيل المختلفة والتي تحفّز الإرادة، المدعومة من طاقة مشحونة عاطفياً، على إنجاز بعض من الظواهر الخارقة والتي تكون بمعظمها موجهة لغايات دنيوية. المشعوذون يجهلون تماماً عن المبادئ التي تتجلى خلال العمل الذي تعلموه بالوراثة والتقليد الأعمى. لكن السيد الهرمزي يختلف تماماً بطريقته. هو يفهم تلك الأسرار والمبادئ الخفية للكون، والتي بعد معرفتها واتقان تطبيقها بشكل عملي يمكنه خلق ظواهر غريبة تفوق مستوى استيعاب الإنسان العادي فيعتبرها معجزات. مع أنه في الحقيقة، صناعة هكذا ظواهر وإنجازات خارقة، والتي يسميها الهرمزي عمليات، هي مجرّد تطبيقات عملية للمعرفة والحكمة الحقيقية التي تكشف عن الطبيعة الفعلية للكون.

العناصر الأربعة

نلاحظ في ورقة الساحر على الطاولة أمامه وجود أربعة أشياء: الصولجان (عصى خشبية) الذي يمثّل عنصر النار، والسيف الذي يمثّل عنصر الهواء، والجرّة (أو الكأس في بعض الصور) التي تمثّل عنصر الماء، والعملة النقدية (دينار) تمثّل التراب. هذه القوى الأربعة هي التي وجب على المريد أن يعالجها بطريقة مناسبة في كيانه بحيث يكون محضراً نفسه ليتمكن من الارتقاء عبر المسارات التالية في الشجرة.

فلسفة العناصر الأربعة كانت سائدة في كل مكان في العالم القديم. حتى الفلاسفة والأطباء والكيميائيين المشهورين عبر التاريخ عملوا بها ووفقها في كل مشاريعهم البحثية وإنجازاتهم المختلفة. لكن مفهوم العناصر الأربعة هو بدعة بشرية، لكنه بدعة مجدية وعملية حيث بواسطتها تمكن الإنسان من وصف آلية عمل الكون وما فيه من خلق. لكن رغم أن هذا المفهوم يمثل بدعة بشرية إلا أن هذا لا يمنعه من وصف واقع حقيقي. وهذا الوصف قد أثبت جدواه بجدارة في كافة المجالات. هذا المفهوم منحنا أداة ناجعة لنستطيع التعامل مع القوى الفعلية في الوجود والتي لا يمكننا وصفها وتعريفها تحديداً وبدقة فلجأنا إلى الإشارة إليها برموز [النار] و[الهواء] و[الماء] و[التراب].

القوى التي ترمز إليها هذه العناصر الأربعة هي موجودة فعلياً مهما كانت الأحوال، إن وصفناها أم لا، أو إذا أدركناها أم لا. لقد شرحتها على طريقتي الخاصة في الجزئين الثامن والتاسع من مجموعة "من نحن" بهدف توضيح الفكرة للقارئ الكريم. فيما يلي فكرة وجيزة عن الموضوع:

كل حدث في الطبيعة مؤلف من أربعة مراحل. إذا قمنا بركل كرة قدم فسوف تنطلق مدفوعة بالاتجاه الذي حددناه. سوف تسير الكرة متسارعة لمسافة معيّنة محافظة على توجهها. ثم ما تلبث أن تبدأ بالتباطؤ تدريجياً بفعل قانون العطالة، إلى أن تتوقف تماماً.

إذاً، يمكن استخلاص الحالات الأربعة التي مرّت بها الكرة على الشكل التالي:
[١] الركلة تمثّل قوة الدفع أو المحرّك الأوّل، وهذا وضع الكرة في [حالة انطلاق].
[٢] سير الكرة متسارعة لمسافة معيّنة بفعل قوة الزخم وضعها في [حالة حركة].
[٣] تباطؤ الكرة بفعل قوة العطالة وضعها في [حالة كبح] أو تقييد. تنتهي عند مرحلة رابعة هي [٤] حالة التوقف مما يتطلب الأمر دفعة جديدة لتنطلق مرة ثانية.

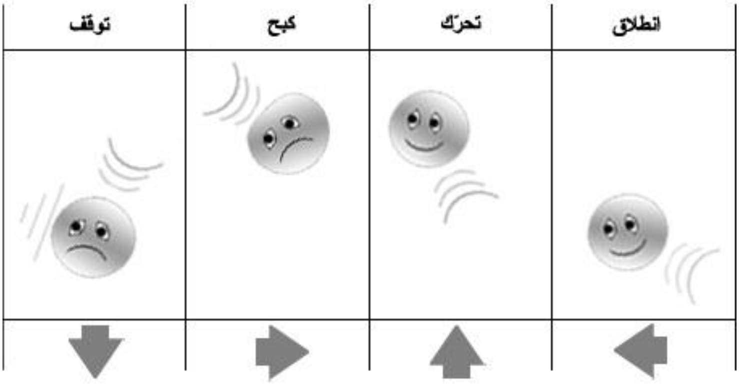

بعد انطلاقها ثم تحرّكها تصاعدياً ثم تباطؤها، يوجد مرحلة تتوقف فيها الكرة تماماً

يمكن توضيح هذه الحركة الرباعية من خلال مثال آخر يستخدمه علم الفيزياء العصري، وهو مثال العجلة الدوّارة حول محور. إذا دفعت العجلة بيدك فسوف تبدأ بالدوران، ستستمرّ بحالة دوران تلقائي لفترة من الوقت (زخم) قبل أن تبدأ بالتباطؤ التدريجي (عطالة) إلى أن تتوقف تماماً.

المجريات الكونية تشبه حالة الكرة تماماً، أو دوران العجلة. لكن الفرق هو أنه في حالة المجريات الكونية، بعد مرحلة التوقف، يتم تحريك الأشياء من جديد، فتنطلق متحرّكة بشكل تصاعدي، ثم تتباطئ، ثم تتوقف، فيتم دفعها مجدداً.. وهكذا حتى لا نهاية. فيشكّل مسارها التصاعدي والتنازلي خط متموّج لا نهاية له.

الجسيمات الذريّة تقوم بنفس الحركة الرباعية (ذبذبة)، والتي تُعتبر العامل الأساسي في المحافظة على صلابة المادة. ظاهرة الذبذبة تمثّل هذه الحركة الرباعية أصلاً. كل الظواهر المتجلية حولنا، والسائرة وفق الإيقاع الثلاثي: [الولادة، النمو، والتلاشي] والمتبوع بمرحلة التوقف أو الموت، ثم الانطلاق أو الولادة من جديد، هي تعبير عن إرادة إلاهية تجسّد نفسها في عملية الإيقاع المتصاعد للوعي. تدفع دائماً بالكرة إلى الأمام كلما توقفت.

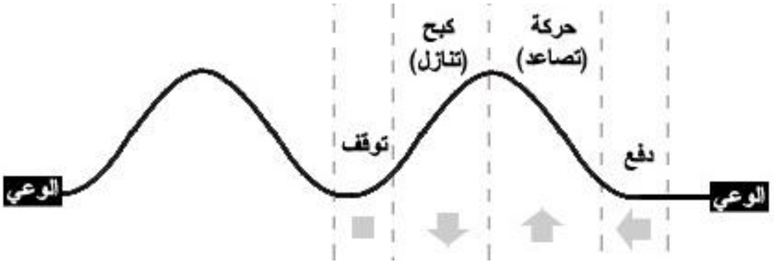

الصعود والهبوط الدائم للمحتوى الأثيري الواعي يشكّل موجة بيانية غير منتهية

هذه الحركة (رباعية المراحل) الدائمة والمستمرّة متجلية في كامل الكون وعلى كافة المستويات. تبدأ أولاً بشكل بسيط، ثم تتخذ تدريجياً أنماط أكثر تعقيداً، فيبدأ ظهور أشكال مركّبة وبُنى معقّدة. ومع تسلسل العملية من المستوى البسيط إلى المستوى المعقّد يبدأ ظهور المكونات المناسبة لتجلّي الحياة العضوية. ثم تتجلى الحياة ذات التكوينات المعقّدة التي يتعذّر استيعابها.. وهكذا إلى لانهاية. إنها مسيرة لانهائية، متدرّجة ومتراكبة من الحياة والكينونة، من الشكل والهيئة، والتنوّع اللامحدود.

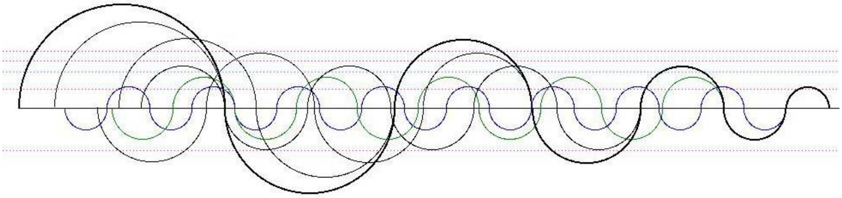

هذه الحركة الرباعية الدائمة تبدأ أولاً بشكل بسيط، ثم تتخذ تدريجياً أنماط أكثر تعقيداً

من خلال الاطلاع على الحقائق السابقة أصبح سهلاً الآن استيعاب حقيقة وجود أربعة قوى أساسية متجلية في الكون. ويمكن التعرف عليها بسهولة من خلال تقسيم مراحل الحركة الرباعية والنظر في كل منها على حداها:

١. مرحلة الدفع: وهذا يعني عامل محفّز، ويُشار إليه بعنصر النار، وبعض الصفات المرادفة في الطبيعة هي: انطلاق . بدء . دفع . تحريك . استهلالية . خلق . ولادة.. إلى آخره.

٢ـ مرحلة الحركة: وهذا يعني عامل حركة، ويُشار إليه بعنصر الهواء، وبعض الصفات المرادفة في الطبيعة هي: تصاعد . تغيير . شطح . استقلالية . نشاط . استمرارية . نمو.. إلى آخره.

٣. مرحلة الكبح: وهذا يعني عامل العطالة (أي تعطيل الحركة أو استيعابها)، ويُشار إليه بعنصر الماء، وبعض الصفات المرادفة في الطبيعة هي: هبوط . نهاية . كبح . تقييد . تباطؤ . ذبول . تلاشي.. إلى آخره.

٤ـ مرحلة التوقف: وهذا يعني عامل الجمود الكامل، ويُشار إليه بعنصر التراب، وبعض الصفات المرادفة في الطبيعة هي: موت، جمود، تكاثف، ثقل، تكتّل،.. إلى آخره. وفي الحقيقة، هذا العنصر الأخير هو منتوج العناصر الثلاثة السابقة.

كل شيء متجسّد في الوجود، مهما كان موقعه في سلّم التجلّي بين مستوى الطاقة والمادة، هو ناتج من تفاعل العناصر الأربعة، وتختلف الأشياء عن بعضها نتيجة اختلاف معايير هذه العناصر خلال تفاعلها.

المادة إذاً، مهما كان نوعها، تتألف من ثلاثة عناصر أساسية: [١] العنصر المهيمن، ويُعتبر العنصر المحفّز لكنه ذو قطبية حيادية. [٢] عنصر نشِط، ويُعتبر العنصر الفاعل وبالتالي يمثّل القطبية الموجبة (+). [٣] عنصر مقيّد، وهو العنصر المنفعل أو المؤطّر للفعل المبذول، وبالتالي يمثّل القطبية السالبة (−). فيما يلي بعض الأمثلة على التجليات المختلفة لهذه المكونات الثالوثية في المادة:

١ـ المكوّن المهيمن: يمكن أن يكون محفّز، طاغي، خلاق، محرّك أوّل، موجّه، مُطلق.. إلى آخره. وهو ذو طبيعة حيادية لكنه طاغي على المكونين الآخرين (المتنافرين في القطبية).

٢. المكوّن النشط: هو موجب القطبية وبالتالي يمكن أن يلعب دور الدافع، المتمدّد، الضاغط، المشعّ، المتحرّك،.. إلى آخره.

٣ـ المكـوّن المقيّـد: هـو سـالب القطبيـة وبالتـالي يمكـن أن يلعـب دور السـاحب، المُستقطب، الجاذب، البؤري، المستوعب، المعطّل (العطالة)،.. إلى آخره.

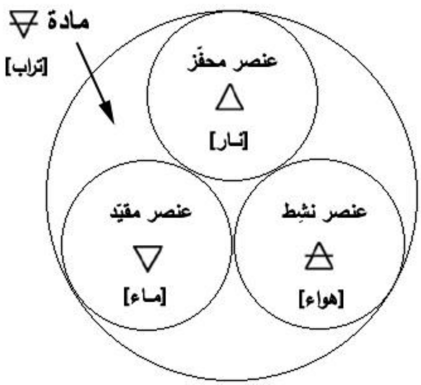

كل مادة، مهما كان نوعها تتألف من ثلاثة قوى أو مكونات أساسية تحدد نوعها وشكلها ومفعولها ونشاطها: عنصر محفّز (نار)، عنصر متحرّك (هواء)، عنصر مقيّد (ماء).

عنصر التراب هو الوحيد الذي يتجلى بصيغة مادية لأنه محكوم بعاملي المكان والزمان، وبسبب طبيعته الكهرومغناطيسية، بينما العناصر الثلاثة الأخرى تقبع في الخفاء، واختلاف معاييرها وشدة تفاعلها هو الذي يحدد المظهر النهائي لعنصر التراب (المادة)

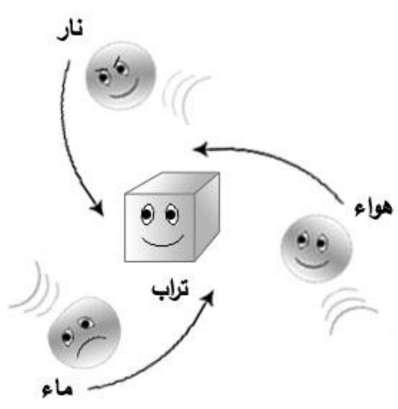

إذاً، وفقاً للتعاليم السريّة، المادة الصلبة تمثّل عنصر التراب. وتُحدّد سمات المادة (شكلها، مادتها، خواصها،.. إلى آخره) وفقاً لدرجة شدة العنصر المتحرّك (الهواء) ودرجة مرونة العنصر المقيّد (الماء) وقوة دفع العنصر المحفّز (النار). (كما في الشكل التالي).

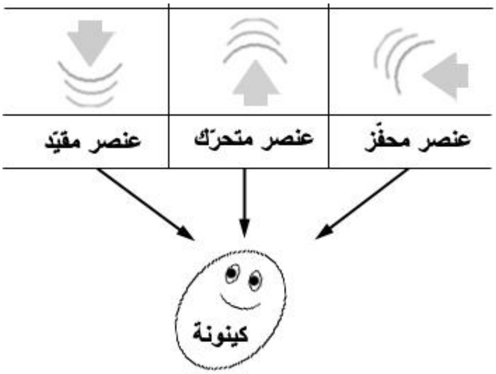

العناصر المحدّدة لخواص المادة وفقاً للتعاليم السريّة

هذه المسألة الأخيرة تتطلّب شرح مستفيض ينتمي إلى موضوع آخر، لكن خلاصة الفكرة هي أن الكينونة التي يمثّل [العنصر المحفّز] ٦٠% من مكوناتها، و[العنصر المتحرّك] يمثّل ١٥%، و[العنصر المقيّد] ٢٥%، سوف يختلف التجسيد المادي الذي تولّده من حيث الشكل والبنية والأداء الوظيفي بالمقارنة مع تجسيد مادي آخر تولّده كينونة أخرى يمثّل فيها [العنصر المحفّز] ٣٠% و[العنصر المتحرّك] ٥٠% و[العنصر المقيّد] ٢٠%.

هكذا كان يتعامل علماء الخيمياء مع المادة في العصور القديمة، وكانوا يستخدمون مصطلحات [النار] (عنصر محفّز)، و[الهواء] (عنصر متحرّك)، و[الماء] (عنصر مقيّد)، و[التراب] (مجموع تفاعل العناصر الثلاثة السابقة في الكينونة). وهذه المصطلحات (نار، هواء، ماء، تراب) لازلنا نألفها جميعاً في الأدبيات القديمة رغم جهلنا الكامل لمضمونها العلمي الحقيقي.

ضبط وتنظيم العناصر الأربعة في كيان المريد

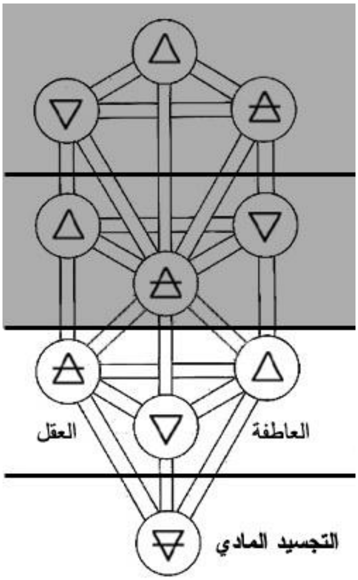

تكون مجريات التدريب في الجزء التالي بالاستناد على المنطق السابق (مفهوم العناصر الأربعة)، أي يجري التدريب بالاستناد على هذا المنطق بالذات من أجل ضبط وإصلاح كيان المريد على كل من المستوى الجسدي والنفسي (عاطفة) والروحي (الفكر)، من خلال معالجة المقامات الثلاثة الدنيا في الشجرة (كما في الشكل). وبعد ضبطها بالطريقة المرجوة يصبح كيان المريد مناسباً ومتوافقاً مع القوى العليا لديه حيث يمكنها أن تتجلى عبره بسهولة ووفق الرغبة.

مسألة الحصول على تعاليم أصيلة

خلال انحدارها عبر كل تلك العصور الطويلة، وانتقالها من ثقافة إلى أخرى، تعرضت التعاليم الأصلية إلى الكثير من التشويه والتحريف وحتى التسخيف. أصبح من الصعب إيجاد تعاليم نقية ومستقيمة وذات نتائج عملية ومجدية. من أجل الحصول على التعاليم الصحيحة والمناسبة لإنجاز الغاية المرجوة علينا إيجاد مرجع تعليمي أصيل، لكن هذا صعب المنال، وبالتالي وجب الاعتماد على أكثر من مرجع لكي نكون في النهاية منهج تدريبي كامل متكامل وهذا ما شرعت إلى تحقيقه. أهم المراجع التي اعتمدت عليها هو كتاب بعنوان "مدخل إلى الهرمزية" Initiation Into Hermetics. مؤلف هذا الكتاب اسمه "فرانز باردون" Franz Bardon وعاش في تشيكوسلوفاكيا في بدايات القرن الماضي (وُلد في العام ١٩٠٩م ومات في العام ١٩٥٨م). بالرغم من أنه مجهول لدى أغلبية الناس، لأن مجال عمله ليس مألوف عموماً، إلا انه يعتبر من أعظم المعلمين الهرمزيين في القرن العشرين.

نُشر هذا الكتاب لأوّل مرة باللغة الألمانية في العام ١٩٥٦م، أي قبل وفاته بسنتين. هذا الكتاب يوصف التمارين والتدريبات الضرورية التي تمكن الفرد من أن يصبح تجاوزي هرمزي بجدارة. يبدأ الكتاب بقسم نظري مختصر، ثم يتبعه القسم الأكبر والذي يتألف من مجموعة متسلسلة من التمارين العملية والمقسومة إلى عدة خطوات متتالية. في كل خطوة من الخطوات نجد ثلاثة تمارين: روحية، نفسية، وجسدية. هذه الطريقة تضمن للطالب تقدم متوازن في مسيرته. يعتبر التوازن والاتزان من بين الشروط المهمة في الأعمال التجاوزية الهرمزية.

صحيح أنني اتبعت نفس الخطة المتبعة في هذا الكتاب المذكور سابقاً، لكنني أجريت الكثير من التعديلات وحتى التغييرات الشاملة. وجب معرفة حقيقة أن الكتب المترجمة غالباً ما تكون بعض المفاهيم فيها محرفة أو حتى خاطئة، لكن ليس بسبب سوء نية المترجم بل بسبب جهله بالمجال الذي يقوم بترجمته. إن ترجمة مفاهيم ماورائية من لغة إلى أخرى قد يؤدي إلى حصول تحريف في معانيها الحقيقية. الكتب التي اقتبست منها هي مكتوبة باللغة الإنكليزية، لكن أغلبها هي مترجمة أصلاً من لغات أخرى، وهذا لا يمنع وجود الكثير من أخطاء الترجمة. لهذا السبب قمت بتصحيح تلك الأخطاء بالاعتماد على معرفتي المتعمقة بهذا المجال. بالإضافة إلى أن الكتب الأصلية تكون خالية تماماً من الصور التوضيحية، وقد ساهمت في إدخال بعض الصور التوضيحية وكذلك الملاحظات التوضيحية الطويلة، وذلك لخدمة القارئ في فهم الأفكار بطريقة صحيحة وواضحة. المهم أن الكتاب الذي ستحصلون عليه هو كامل متكامل ومفاهيمه صحيحة وسليمة وهذا ما سعيت جاهداً إلى تحقيقه، لأن الترجمة الحرفية لن تجدي نفعاً في هذا المجال بالذات.

الأمر الأهم هو أن ممارسة الأعمال التجاوزية الهرمزية تتوافق مع أي فلسفة يتبعها الطالب مسبقاً في حياته. بالإضافة إلى أنها لا تتبع أي عقيدة دينية بعينها، لكن رغم ذلك نجدها متوافقة مع كل الأديان تقريباً.

الفلسفة الهرمزية تهدف أولاً وأخيراً للارتقاء الروحي

وفقاً لمسيرة التدريب الهرمزي على الارتقاء الروحي، فإن القدرات الخفية التي تتجلى لدى المريد تعتبر مجرّد تأثيرات جانبية، تظهر خلال قيام المريد بإجراءات معينة لتصيحيح الجوانب المختلفة من كيانه. لكن يمكن اعتبار هذه القدرات بوصلة ترشد إلى الطريق نحو الارتقاء الروحي. هذه القدرات مخصصة لغايات نبيلة فقط، وكذلك لخدمة الإنسانية جمعاء. لهذا السبب هي تتجلى فقط عند التجاوزي الحقيقي، والذي هو حكيم ونبيل بطبعه، ولهذا نجدهم نادرين جداً في هذه الأيام.

الكثير من الناس كونوا انطباع عن الإنسان التجاوزي المتقدم جداً في هذا المجال بحيث يظنوه يصنع السحر دائماً وباستمرار، مستعرضاً قوته الهائلة التي اكتسبها أمام الناس وفي أي مناسبة أو فرصة سانحة، لكن هذه ليست الحقيقة إطلاقاً. لأنك تحوز على قدرة استثنائية لتحقيق غاياتك المختلفة لا يعني أنه عليك فعل ذلك متى ما كان وأينما كان، وهذا لأنه ملتزم بمبادئ وضوابط تردعه عن فعل ذلك. أوّل ما وجب معرفته هو أن المنتسب إلى مدرسة هرمزية ليس هدفه الرئيسي هو اكتساب القدرات الخارقة، بل هو يكتسبها بصفتها ممثلة لمسار في الدرب وعليه المرور عبره مكملاً طريقه إلى مرتبات روحية أسمى وإنجازات أرقى وأكثر عظمة. سبق وذكرت أن الهدف الرئيسي للمدرسة الهرمزية هو روحاني بطبيعته، لكن الدرب المؤدية إلى ذلك الهدف الأسمى تحتوي على الكثير من القدرات الخفية التي هي ضرورية لإكمال المسيرة إلى النهاية. دون تعلم وممارسة تلك القدرات، خلال دخول المريد في مراحل تحوّل مختلفة تكسبه المزيد من المعرفة والتنور، فسوف يعيق هذا الأمر تقدمه إلى المستويات العليا.

بالتالي، إن حيازة القدرات المختلفة الموصوفة في الجزئين التاليين من هذا الكتاب وجب أن لا تمثل أهدافاً نهائية للسعي وراءها، بل مجرّد اختبارات مثيرة وممتعة متواجدة على جانب طريق طويل نحو الارتقاء الروحي. قد يمضي الفرد عقود طويلة

من حياته، وحتى حياته بالكامل، ساعياً ليتعلم بعض القدرات الخارقة التي يستعرضها أمام الناس ليدهشهم ويثير إعجابهم، لكن القيام بهذا العمل سوف يؤخر تجلي تلك القدرات بدلاً من تعجيلها. هذه بكل بساطة تمثل الطريق الأطول للارتقاء. أما الطريق الأقصر والأسهل فهي عندما لا يتلهى الفرد كثيراً بموضوع استعراض القدرات وبدلاً من ذلك يركّز على الهدف النهائي المتمثل بالارتقاء الروحي الذي تكون فيه إنجازاته أرقى وأكثر عظمة.

خاتمة

نحن موجودون في هذا العالم المادي لكي نتعلم وننمو ونرتقي على المستوى الروحي. طبيعة الواقع الذي ننشط فيه الآن تكشف عن كيفية تعلم الدروس المقدرة لنا بطريقة سليمة. هذا لأنه في مكان ما قبل ولادتنا، قمنا باختيار جدول ظروف حياتنا والذي يسهّل مسيرة تطورنا الروحي. مسيرة هذا التطور تتقدم أكثر عندما يكون هناك استخدام كامل لمصادرنا المتوفرة، إن كانت مادية أو تجاوزية.

إن محاولة التطور بالاعتماد فقط على المصادر المادية لكياننا وما يرافقها من صيغ ونماذج وتوجهات سوف ينتج معاناة وتباطؤ وعقبات غير ضرورية. وعلى الجانب الآخر، إن محاولة التطور بالاعتماد على المصادر التجاوزية لكياننا سوف يؤدي إلى حالة ركود وكسل. لكن عن طريق دمج الطريقتين معاً لتشكل صيغة متوازنة في مواجهة الحياة سوف ينتج بيئة مناسبة للتعلم والتطور. نحن موجودون في هذا العالم المادي لسبب مهم جداً، وهو التعلم والنمو والتطور عبر وسائط مادية وتجاوزية معاً، وذلك بهدف تغيير أنفسنا والبيئة المحيطة بحيث نجعلها تتوافق بأكبر قدر ممكن مع الخطة الإلهية المرسومة. لكن إذا سعينا إلى تغيير البيئة المحيطة دون محاولة تغيير أنفسنا فسوف يؤدي ذلك إلى حالة عدم مسؤولية وامتناع عن التعلم. وعلى الجانب الآخر، إذا سعينا إلى تغيير أنفسنا دون محاولة تغيير البيئة المحيطة فهذا عمل أناني مناقض تماماً للغاية الفعلية لوجودنا. التغيير المقصود في البيئة المحيطة هو مجرد تجسيد مادي لسبب تجاوزي إيجابي ناتج من تفاعل طاقات عليا لكنه يؤدي عبر التسلسل التنازلي إلى فعل فردي يصنع تغييراً في البيئة المحيطة بحيث يهدف إلى تسهيل عملية نمو وتطور الجميع. تغيير الفرد لنفسه يعني النمو الشخصي من خلال اكتساب المعرفة والدراية وزيادة الوعي. الغاية الأساسية للوجود المادي هي خلق مسرح كبير يجمع الكائنات المختلفة في موقع زماني ومكاني واحد لكي تتفاعل ومن ثم تنمو وتتطور عبر هذا التفاعل. بالتالي فإن الغاية من الوجود المادي بالنسبة

لكل فرد هي لكي ينمو ويتطور من خلال مساعدة الآخرين على النمو والتطور مهما اختلفت القطبيات.

طبيعة الهدف من واقعنا تفرض حقيقة أنه ليس كافياً تغيير العالم من خلال إحداث تغيير في حالتنا الداخلية من الناحية الروحية والنفسية. نحن نستطيع فعلاً أن نحدث تغيير في واقعنا، لكن تغيير حالتنا الداخلية لا تكفي. أي بمعنى آخر، هناك أشياء وجوانب معينة لا نستطيع تغييرها في حياتنا من مجرد تغيير داخلنا. نحن بحاجة إلى اكتساب المعرفة وكذلك علينا تطبيق هذه المعرفة التي اكتسبناها بشكل عملي وفعال، حينها فقط نستطيع إجراء تغيير كامل وشامل.

كما ذكرت سابقاً، نحن نتجسّد في الحياة لكي نتعلم مجموعة من الدروس المصاغة مسبقاً. وكل فرد له دروسه المصاغة خصيصاً لحالته وموقع ومرتبته. وبالتزامن، تقوم النفس العليا (الشمس الباطنية) لدينا بتوجيه جريان حياتنا من مستواها المثالي بحيث تجعلنا نختبر تلك الدروس الواحد تلو الآخر. أي كلما نصبح حاضرين لتعلم أحد الدروس تقوم النفس العليا بتجسيد المواقف والظروف المناسبة التي علينا اختبارها لكي نتعلم منها الدرس المعني. الإرادة الحرة التي نحوزها تترك لنا الخيار متى وكيف وأين نختبر هذه الدروس فعلياً على أرض الواقع. بالإضافة إلى نقطة مهمة جداً، وهي أن إرادتنا الحرة هي التي تقرر إذا كان علينا تعلم تلك الدروس بالطريقة الصعبة والناتجة من الجهل، أو بالطريقة السهلة والناتجة من المعرفة وزيادة الإدراك.

في الحالة المثالية، علينا تعلم تلك الدروس بأسهل طريقة ممكنة، وهي الطريقة المتناغمة مع عقلية النفس العليا، وهي أن نكون في حالة ارتقاء روحي وإلمام معرفي وقوة بصيرة وفطنة. لكن في الواقع، غالباً ما يتوه الفرد بحيث يشرد عن الطريق، وذلك بسبب الإرادة الحرة التي منحت له لكن جهله وعدم درايته بالواقع دفعاه إلى ارتكاب الأخطاء. لكن في النهاية، لا يوجد شيء اسمه طريق خاطئ في الحياة، كافة التوجهات التي يتخذها الفرد سوف تقوده في النهاية إلى اختبار نفس الدروس

المقدرة له. لكن المشكلة تكمن في المسافة التي ابتعد فيها الفرد عن الطريق الرئيسي، حيث كلما كانت المسافة أكبر كلما زاد الألم والمعاناة خلال اختبار الدرس المقدر له.

الاستخدام السليم للمعرفة التجاوزية يساعد الفرد على تعلم الدروس بأسهل طريقة ممكنة. لأن تعلم الدروس هو الأمر الأهم في الحياة، وبالتالي ليس هناك أي قيمة في كيفية تعلمها إن كانت بالطريقة الصعبة أو السهلة، فهذه الحالات تعود إلى اختيار الفرد وإرادته الحرة. العامل الحاسم الذي يقرر الصعوبة أو السهولة في تعلم الدروس هو المعرفة. إذا كنت تحوز على معرفة أصيلة تستعين بها في خوضك معترك الحياة فسوف تكون رحلتك في تعلم دروس الحياة سهلة وممتعة.

الحالة التعيسة التي يعاني منها معظم الناس تتمثل في كونهم يملكون الآن كمية أكبر من جانبهم المادي على حساب جانبهم الواعي. ويعود ذلك إلى فقدانهم للذاكرة على المستوى الروحي، بالإضافة إلى التنويم المغناطيسي الذي يتعرض له الفرد منذ ولادته إلى بيئته الاجتماعية ومن ثم إلى السجن الكبير الذي فرضه علينا المسيطرون على العالم من خلال المنطق العلمي والسياسي والاقتصادي وغيرها، وكلا الجانبين يعملان كل بطريقته الخاصة على قمع الوعي لدى الفرد وترك كمية كبيرة من الإرادة الحرة لديه دون تفعيل واستخدام. الحل المثالي لهذه المسألة هو اكتساب المعرفة لكي يُفسح المجال لإطلاق ما تبقى من الإرادة المقموعة في داخله.

....

انتهى